



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م  
التبليغ والتوعية  
بالتبليغ والتوعية

# مُرُورُ عَلى الْقُرْآنِ

الجزء الخامس عشر

سُورَةُ الْمَائِدَةِ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ - سُورَةُ الْغُرَانِ

دار الفكار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١١	من هدى القرآن المجلد ١٥
١١	اشاره
١٢	اشاره
١٤	سوره الحديد
١٤	اشاره
١٦	فضل السوره:
١٨	الإطار العام
٢١	[سوره الحديد (٥٧): الآيات ١ الى ٦]
٢١	اشاره
٢٢	هُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
٢٢	هدى من الآيات:
٢٣	بينات من الآيات:
٣٤	[سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٥]
٣٤	اشاره
٣٤	اللغه
٣٦	آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا
٣٦	هدى من الآيات:
٣٧	بينات من الآيات:
٦٣	[سوره الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٤]
٦٣	اشاره
٦٣	اللغه
٦٥	وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ
٦٥	هدى من الآيات:

٦٦ ..... بينات من الآيات:

٦٦ ..... اشاره

٨٣ ..... أولاً: ما هي حقيقته الدنيا؟

٨٥ ..... ساعات الدنيا خير من ساعات الآخرة:

٩٣ ..... ثانياً: ما هي أهدافه في الدنيا و كيف يصل بها؟

٩٨ ..... ثالثاً: ما هو الموقف السليم من متغيرات الدنيا؟

١٠٥ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٢٥ الى ٢٩]

١٠٥ ..... اشاره

١٠٥ ..... اللغه

١٠٧ ..... لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

١٠٧ ..... هدى من الآيات:

١٠٨ ..... بينات من الآيات:

١٣٦ ..... سوره المجادله

١٣٦ ..... اشاره

١٣٨ ..... فضل السوره

١٤٠ ..... الإطار العام

١٤٤ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١ الى ٦]

١٤٤ ..... اشاره

١٤٥ ..... اللغه

١٤٦ ..... وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا

١٤٦ ..... هدى من الآيات:

١٤٧ ..... بينات من الآيات:

١٦٦ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ٧ الى ١٣]

١٦٦ ..... اشاره

١٦٦ ..... اللغه

١٦٨ ..... وَ تَتَّخِذُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَ الثَّقُوفِ

١٦٨ ..... هدى من الآيات:

١٦٩ ..... بينات من الآيات:

١٨٨ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١٤ الى ٢٢]

١٨٨ ..... اشاره

١٨٨ ..... اللغه

١٩٠ ..... أُولَئِكَ جِزْبُ الشَّيْطَانِ

١٩٠ ..... هدى من الآيات:

١٩٢ ..... بينات من الآيات:

٢١٠ ..... سوره الحشر

٢١٠ ..... اشاره

٢١٢ ..... فضل السوره:

٢١٤ ..... الإطار العام

٢١٨ ..... [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ٨]

٢١٨ ..... اشاره

٢١٨ ..... اللغه

٢٢٢ ..... يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ

٢٢٢ ..... هدى من الآيات:

٢٢٥ ..... بينات من الآيات:

٢٤٨ ..... [سوره الحشر (٥٩): الآيات ٩ الى ١٧]

٢٤٨ ..... اشاره

٢٤٨ ..... اللغه

٢٥٠ ..... وَ يُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ

٢٥٠ ..... هدى من الآيات:

٢٥١ ..... بينات من الآيات:

٢٧٦ ..... [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١٨ الى ٢٤]

٢٧٦ ..... اشاره

٢٧٧ ..... لَهَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

٢٧٧ ..... هدى من الآيات:

٢٧٨ ..... بينات من الآيات:

٢٩٨ ..... سورة الممتحنه -

٢٩٨ ..... اشاره

٣٠٠ ..... فضل السوره:

٣٠٢ ..... الإطار العام

٣٠٥ ..... [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١ الى ٦]

٣٠٥ ..... اشاره

٣٠٥ ..... اللغه

٣٠٧ ..... لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ

٣٠٧ ..... هدى من الآيات:

٣٠٨ ..... بينات من الآيات:

٣٢٣ ..... [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ٧ الى ١٣]

٣٢٣ ..... اشاره

٣٢٣ ..... اللغه

٣٢٥ ..... لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

٣٢٥ ..... هدى من الآيات:

٣٢٦ ..... بينات من الآيات:

٣٤٢ ..... سورة الصف

٣٤٢ ..... اشاره

٣٤٤ ..... فضل السوره:

٣٤٦ ..... الإطار العام

٣٤٨ ..... [سوره الصف (٦١): الآيات ١ الى ٧]

٣٤٨ ..... اشاره

٣٤٨ ..... اللغه



٣٥٠ ..... يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا

٣٥٠ ..... بينات من الآيات:

٣٥٩ ..... [سوره الصف (٦١): الآيات ٨ الى ١٤]

٣٥٩ ..... اشاره

٣٥٩ ..... اللغة

٣٦١ ..... كُونُوا أَنْظَارَ اللَّهِ

٣٦١ ..... هدى من الآيات

٣٦٢ ..... بينات من الآيات:

٣٧٢ ..... سوره الجمعه

٣٧٢ ..... اشاره

٣٧٤ ..... فضل السوره:

٣٧٤ ..... الإطار العام

٣٧٨ ..... [سوره الجمعه (٦٢): الآيات ١ الى ١١]

٣٧٨ ..... اشاره

٣٧٨ ..... اللغة

٣٨٠ ..... وَ يَتْلَمَّهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

٣٨٠ ..... بينات من الآيات:

٤١٠ ..... سوره المنافقون

٤١٠ ..... اشاره

٤١٢ ..... فضل السوره:

٤١٤ ..... الإطار العام

٤١٤ ..... [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ١ الى ١١]

٤١٤ ..... اشاره

٤١٤ ..... اللغة

٤١٨ ..... وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

٤١٨ ..... بينات من الآيات:



سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره



سوره الحديد

اشاره

ص: ۳



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فضل السوره:

عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ المسبّحات كلّها قبل أن ينام (يعنى السوره التي فاتحتها التسبيح مثل الحديد و التغابن و الحشر و الجمعه) لم يمت حتى يدرك القائم، و إن مات كان في جوار رسول الله (صلى الله عليه و آله)».

نور الثقلين/ج ٥/ص ٢٣١ و

روى العرياض بن ساريه قال: «إنّ النبي (صلى الله عليه و آله) كان يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد، و يقول: إنّ فيهنّ آيه أفضل من ألف آيه».

نور الثقلين/ج ٥/ص ١٣١

ص: ٥





ترتكز أغلبه آيات السوره حول محورين رئيسيين:

الأول: الإنفاق فى سبيل الله، من دون تحديد نوع منه، فقد يتحقق بالإنفاق من النفس أو من المال أو من أى شىء آخر. و يحرضنا الذكر الحكيم على ذلك من خلال منهج واقعى و نافذ هو:

١- إن الله هو المالك الحق لكل شىء، و له الولاية التامه خلقا و قدره و علما و تدبيراً، و إنه الذى يحيى و يميت و إليه ترجع الأمور، أما نحن فلسنا سوى مستخلفين من قبله فيما ملكنا، فلا ينبغى أن نرفض أمره بالإنفاق إذ أنه هو المالك الحق.

٢- الإنفاق هو الشاهد الصادق على التزام الإنسان بالميثاق، ذلك الميثاق الذى أخذه الله عليه فى عالم الذر.

٣- لماذا يبخل الإنسان بالمال و هو لا يبقى له؟! فأما يرحل عنه أو ينتقل إلى

غيره. بلى، قد يستخلف فيه برهه من الزمن، ولكنه يموت عنه كل أهله ليعود إليه تعالى.

٤- ثم أنّ الإنفاق لا يزيد الله شيئاً وهو الغنى الحميد، إنّما النفع والضرر يعودان على الإنسان نفسه، فهو إن أنفق نعى ماله، وبنى مجتمعه، و صار إلى ثواب الله و رضوانه، أمّا إذا بخل فلن يحصد إلا التلف، و التخلف فى الدنيا، و ألوان العذاب فى الآخرة.

و تعالج السوره أيضا قضايا تتصل بالإنفاق.

الثانى: العدالة الاجتماعيه كهدف تنزلت له جميع رسالات الله، و سعى من أجله كل الأنبياء و الأولياء، كما ينبغى أن يتحرك لتحقيقه كل المؤمنين الرساليين، و لا- تقوم العدالة إلا- بالقائد الصالح (رسولا- أو وليا)، و النظام الصالح فى البعد السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى و التربوى، و بالميزان الذى يشخص المخطئ من المصيب، و بالسلاح المنفذ للنظام.

و هناك علاقته وثيقه بين محور العدالة و الإنفاق فى السوره يتمثل فى أنّ الإنفاق فى سبيل الله يساهم بصوره فعّاله فى إقامه العدالة و نصره الحق. أو ليس قام الإسلام بسيف على و مال خديجه؟ و من هذا المنطلق نهتدى إلى أفضلية الإنفاق و القتال قبل الفتح على الذى بعده.

إن الحركات الرساليه تنشأ العدالة و إقامه الحق، و الأئمه مسئوله أن تتحمل مسئوليتها الحاسمه فى دعمها و الوقوف إلى صفها بالإنفاق نصرا لله و رسله و أوليائه على الظالمين.

سوره الحديد

ص: ٩

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ  
مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ  
فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)

هدى من الآيات:

فى فاتحه سورة الحديد التى تأمرنا بالإِنفاق لتحقيق العدالة التى هى هدف رسالات الله، يذكّرنا القرآن بأنّ ما فى السموات و الأرض يسبح لله (فلا- يجوز أن نقدّس شيئاً منها) فهو العزيز الحكيم المالك للسموات و الأرض (و هو غنى عن إنفاقنا، و نحن المستفيدون من العطاء) و هو الأوّل بلا أوّل كان قبله، و الآخر فلا يتغيّر بالأزمنة سبحانه، و الظاهر على كلّ شىء بالغلبه، و الباطن العليم بكلّ شىء.

و قد خلق السموات و الأرض فى ستة أيّام، شهاده على كمال قدرته، و واسع علمه، و حسن تدبيره، و أنّه المهيم على حركة الأشياء و تطوّرها، فهو يعلم ما يدخل فى الأرض من الغيث و المواد و الأشعه، و ما يخرج منها من الأبخرة و النبات، و ما ينزل من السماء من رحمته عبر ملائكته، و ما يعرج فيها من ملائكه و أعمال و ثبات، و هو مع خلقه أنى كانوا.

و هو المالك الحق للسموات و الأرض، و إليه ترجع الأمور، فهو المقدر المدبّر و إليه المصير، و آيه تدبيره توالج الليل و النهار فى الصيف و الشتاء و علمه بذات الصدور.

كلّ ذلك يحملنا على الإنفاق فى سبيل الله، و هو موضوع الدرس التالى.

### بينات من الآيات:

[١] إنّ للكائنات شعورا يستبحن عبره بحمد ربّهن، كلّ بقدره و بلغته، إذ سواء و عين ذاتهن أو بصرن آفاق الخلق فهنّ يرين تجليات الرب، و بعجز ذاتها تستدل على قدرته تعالى، و بزوالها تستدل على بقائه سبحانه، و بحدوثها تستهدى إلى أنّه القيوم الذى لم يزل و لا يزال و لن يزول، و أمّا عن الآفاق فهى أنّى رمت ببصرها ترى آثار خلقه و تدبيره تعالى، لذا فالخلق كلّهم ينزهونه عن النقص و العيب.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ تَسْبِيحٌ قَدِيمٌ قَدَمَ كُلِّ مَخْلُوقٍ، إذ يبدأ معه منذ اللحظة الأولى التى ينشأها بارئها من بعد العدم، و لكن كيف تسبّح الأشياء ربّها؟! نتصوّر لذلك معينين:

الأول: أنّ خلقه كلّ شىء تهدى إلى نقصه و عجزه و محدوديته، و ذلك بدوره شاهد صدق على كمال خالقه و قدرته و تعالیه عن الحدّ و القيد، و بالتالى شاهد صدق على أنّه سبّوح قدّوس متعال منزّه عن أى نقص و عجز و تحديد.

الثانى: أنّ الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل لكلّ شىء إحساس بقدره يعرف

به الخالق، و لغه مخصوصه يعبر بها عن معرفته، فإذا به يسبح له.

و نحن بنظرنا و تفكرنا نهتدى إلى التسييح بالمعنى الأول، و لكننا نقصر عن فهم المعنى الثانى، يقول تعالى: **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (١)**، و قال يحدثنا عن حضاره داود عليه السلام: **وَ سَبَّخُونَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَّالِ يُسَبِّحُنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ (٢)**، و الخلق كلهم متساوون تكوينيا فى التسييح لله، و إنما يتفاوتون و يختلفون فى النوع الآخر، و إن أحدا لا يستطيع أن ينكر وجود شعور و لغه عند كل شىء، فما أوتينا من العلم إلا قليلا، و جهلنا لا يغير من الواقع شيئا، فنحن لا زلنا فى البوصه الأولى من طريق ذى آلاف الأميال فى مسيره العلم و المعرفه، قال ربنا سبحانه: **وَ مَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**، و يكفيننا عقلا و حكمه أن نعترف بأن ما لا يحط به علما قد يكون موجودا فلا نعاذى ما نجهل.

و لسنا بحاجة الى تأويل «**مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ**» لينصرف إلى ما يعقل، و ذلك لأنه يخالف ظاهر اللغه العربيه التى اعتبرت «ما» لغير العاقل، و ما دام الوجود كله يسبح لله فإن عدم تسييح الإنسان يعدّ تخلفنا عن عهده التكويني الفطرى مع ربه، و شذوذا عن واقع الكائنات.

إن من مشاكل البشر أنه ينبهر بالطبيعه أو بجانب منها، فإذا به يتخذ ما فيها إلها، و يغتر بما فيها من ظاهر الزينه و القوه و الإبداع، بينما لو تدبّر فيها مليا عرف أنها هى الأخرى تسبح بحمد ربها، فكيف يتخذها شريكا لبارئها، بل و تتأذى الطبيعه حينما يعبدها أحد من دون الله، ففى الأخبار أن البقر نكست رؤوسها منذ

ص: ١٣

١- (١) الإسراء ٤٤/

٢- (٢) الأنبياء ٧٩/



عندها الناس عند ما أضلّهم السامري، ولعلّه لذلك جاءت خاتمه الآية الكريمة تذكيرا بعزّه الله و حكمته.

وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّه كذلك سواء سبّحه الخلق أو لم يسبّحوه، فهو بذاته عزيز لا يزيده التسبيح عزّا، و حكيم تتجلى حكمته فى النظام الدقيق الذى فطر عليه خلقه و حكمه به، كما تتجلى فى تدبيره لشؤونه المختلفه، و ليس بحاجه إلى الاعتراف من قبلنا بحكمته سبحانه، كما لا تنصرف هاتان الصفتان إلى غيره لو اعتقدنا بألوهيته، و لعلّ الحكمه من بيان هاتين الصفتين أنّ الله لا يدبر الكائنات بقوته و حسب، بل بالحكمه أيضا، و أنّه يحقّ للكائنات أن يسبّحنه لأنّه تعالى مهيمن عليها بالقوه و الحكمه فهو أهل لذلك.

[٢] و تتصل الآيات بعضها حتى الآية السادسة تعرّفنا برّبنا عزّ و جلّ من خلال صفاته و أسمائه و أفعاله التى تتجلى فى الخلقه و التى تهدينا إلى أنّه يحقّ علينا تسبيحه، و إنّما يشرك الإنسان برّبّه لجهله به تعالى، أما إذا عرف عظمته و هيمنته المطلقه على الخلقه فسوف تنسف تلك المعرفه كلّ الأفكار و العقد الشركيه لديه، إنّنا نشرك ببشر أمثالنا لأنّهم أعطوا شيئا من الملك و القوه، و يحجبنا ذلك عن الإله الحق، بلى. إنّهم قد يملكون رقعته من الأرض و بعضا من النعيم، أو يكون لهم سلطان على الناس، و لكنّ ذلك كلّ محدود، لا يصيرهم آلهه، و لا يقاس بما عند الله.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِمَا فِيهِمَا، وَ هُوَ حَقًّا مَلِكٌ وَاسِعٌ مُطْلَقٌ وَ حَقِيقِي، أَمَّا تَمَلِّكُ النَّاسَ لِلْأَشْيَاءِ فَهُوَ

اعتبارى محدود زمنا لأنهم يموتون عنها، و كما لأنه قليل جدا بالنسبه إلى ملك الله الذى ينصوى تحته كل الوجود و كيفا لأن قدرتهم على التصرف فيه محدوده، و لله الملك المطلق و القدره اللامحدوده، و التى من مظاهرها الإحياء و الإماتة.

يُحْيِي وَ يُمِيتُ كيف يشاء، و متى أراد، لا- يمنعه عن ذلك مانع أبدا، و ليس لسواه هذه القدره فى الملك، و الهيمنه عليه. و ما دامت حياه الإنسان بيد الله فهل هو المالك أم الله؟ و كيف يملك شيئا من لا يملك حياته. أو ليس الإنسان يملك ما يملك بحياته التى تمكّنه من الحركة و التصرّف؟ و مع أنّ الحياه و الموت من أبرز مظاهر الملك و الهيمنه الإلهيه على الخلق، إلا أنّ قدرته تعالى ليست محدوده فى ذلك حسب، بل هى مطلقه.

وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَمَا نحن فلا نستطيع ان نفعل كلّ شىء و كيفما نشاء فيما نملك.

[٣] هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ لم يكن مثله أحد فهو أزلى، و حيث تأخر الوجود عنه فهو محدث من صنعه عزّ و جل، و تتجلى هذه الحقيقه مره اخرى حيث يصير الخلق الى العدم و يبقى وجهه تعالى، و لأنه الاول فهو الذى أحيا الخلق و أوجده، و لأنه الآخر فهو الذى يميته بقدرته و حكمته، كما انه الظاهر بلا خفاء، فالوجود كلّ آيات تهدينا إليه، لأنه القاهر فوق عباده.

□  
وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ

ظاهر بأسمائه و صفاته و تجلياته فى الوجود، تدرك ذلك حواس الإنسان، و يراه قلبه و عقله، و هو باطن بذاته التى لا يعلم كنهها أحد من خلقه، و لكن ذلك لا يعنى أنه غائب عن الخلق، بل أنه نافذ علمه الى أعماق كل شىء.

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ سعه علمه كسعه قدرته، و تكفى هذه الآيه تحسيسا للإنسان بشهود ربّه، و ردعا له عن اقتحام المعصيه. و هناك صله بين الآيتين وَ هُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ بِالآيَةِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالعزّه بالقدره المطلقه، و الحكمه بالعلم المطلق، الذى هو أبرز جوانبها و مقوماتها، و ربنا بعلمه يقدر و يقضى، و بقدرته يمضى ما قضاه.

و قد وردت بعض الاخبار فى تفسير هذه الآيه الكريمه تزيدنا بصيره بها. ذكر المفسرون دعاء عن النبى صلى الله عليه و آله اعتبروه تفسيرا للآيه، و هو

قوله: «اللهم أنت الاول فليس قبلك شىء، و أنت الاخر فليس بعدك شىء، و أنت الظاهر فليس فوقك شىء، و أنت الباطن فليس دونك شىء، اقض عنا الدين، و أغننا من الفقر» (١).

و

روى عن الامام الرضا عليه السلام و هو يبين ان الكلمات تشترك بيننا و بين ربنا اشتراكا لفظيا لا معنويا، و يستعرض بعض أسماء الله التى تختلف معانيها عما يوجد عندنا من أمثالها، الى أن قال فى معنى الظاهر و الباطن:

«و أمّا الظاهر فليس من أجل أنه علا الأشياء بر كوب فوقها و قعود عليها و تستم لذراها، و لكن ذلك لقهره و لغلته الأشياء و قدرته عليها، كقول الرجل:

ص: ١٦

ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج والغلبه، فهكذا ظهور الله على الأشياء، ووجه آخر أنه الظاهر لمن أراد، ولا يخفى عليه شيء، وأنه مدبر لكل ما برأ، فأى ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى، لأنك لا تعدم صنعته حيثما توجهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر من البارز لنفسه والمعلوم بحدّه، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى، واما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما وحفظا وتديرا، كقول القائل: أبطنته، يعنى خبرته، وعلمت مكتوم سرّه، والباطن من الغائب في الشيء المستتر، وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى « (١) ».

و

جاء عن الامام الصادق عليه السلام شرح وتوضيح لمعنى القبل والبعد فقال: «جاء خبر من الأحبار الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! متى كان ربك؟ فقال له: ثكلتك أمك! او متى لم يكن حتى متى كان؟ كان ربّي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غايه ولا منتهى لغايته، وانقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غايه « (٢) ».

و

جاء في خطبه لأمير المؤمنين عليه السلام يذكر بأسماء الله، ويبين ضمنا معانيها، ما يلي:

«الذي ليست له في اوليته نهايه، ولا في آخريته حد ولا غايه. الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان. الاول قبل كل شيء، والاخر بعد كل شيء، والظاهر على كل شيء بالقهر له « (٣) ».

ص: ١٧

١- (١) نور الثقلين/ ج ٥ ص ٢٣٤.

٢- (٢) المصدر ص ٢٣٣

٣- (٣) المصدر ٢٣٥

قال أبو يعفور: سألت الامام الصادق عليه السلام عن قول الله عز و جل: «الاول و الآخر» و قلنا: أما الاول فقد عرفناه، و أما الآخر فبين لنا تفسيره؟ فقال: «إنه ليس شيء إلا يبدأ و يتغير أو يدخله التغير و الزوال، و ينتقل من لون إلى لون، و من هيئه إلى هيئه، و من صفه إلى صفه، و من زياده إلى نقصان، و من نقصان إلى زياده، إلا رب العالمين، فإنه لم يزل و لا يزال بحاله واحده، و هو الاول قبل كل شيء، و هو الآخر على ما لم يزل، و لا تختلف عليه الصفات و الأسماء، كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذى يكون ترابا مره و مره لحما و دما و مره رفاتا و رميما، و كالبسر الذى يكون مره بلحا و مره بسرا و مره رطبا و مره تمرا، فتبدل عليه الأسماء و الصفات، و الله عز و جل بخلاف ذلك» (١).

[٤] هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فَالْخَلْقُ آيَةٌ عَلَى عِزَّتِهِ وَ قُدْرَتِهِ، وَ التَّقْدِيرُ «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» آيَةٌ لِعِلْمِهِ وَ حِكْمَتِهِ، وَ مره أخرى نطرح هذا التساؤل: لماذا خلقهما في ستة أيام، و هو القادر على خلقهما في أقل من لحظه» وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصِيرِ؟ قد سبق في سورة الأعراف بأن ذلك قد يدل على سنّه التكاملي في الخلقه حيث يبارك الله فيها و ينمّيها طورا فطورا، يوما فيوما، لحظه بلحظه، مما يجعل لعامل الزمن تأثيرا كبيرا في العالم، بتعبير آخر: الأيام الستة هي ظرف المخلوق، و لا بد أن نعرف المخلوقات من خلال ظرفها الزمني حيث نستلهم ذلك من قوله سبحانه «مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُّسَمًّى» (٢) مما يوحى بأنّ الأجل المسمى مساوق للحق في أنه جزء من حقيقته، و الله العالم.

ص: ١٨

١- (١) المصدر/ص ٢٣٢

٢- (٢) الروم/٨

كما أنّ خلق السموات والأرض في ستة أيام أصدق دلالة و أوضح شهادة على التقدير و التدبير، و في ذلك تفنيد لشبهه القائلين بالصدفة، فان كان أصل الوجود صدفة فكيف يكون تدبير أمرها و تكميل مسيرتها صدفة؟! و بتعبير آخر: عملية الخلق مستمرة و هي شاهده على الخالق سبحانه.

و بنا حيث خلق الخلق لم يعتزله أو يتركه سدى، إنّما جعله تحت تدبيره و رعايته، بلى. لقد أركز فيه سننا و أنظمه حاكمه، بل و قدر فيه كل شيء من قبل أن يبرأه، و لكن كانت له اليد العليا و البداء، لحاجه الخلق إليه، و لان كل شيء و حتى القوانين و السنن لا يقوم إلا به تعالى، و هكذا استوى على العرش.

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَ هُوَ رَمَزَ الْقُدْرَةَ وَ الْمَلِكُ وَ التَّدْبِيرَ، يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ، وَ إِلَيْهِ يَسْتَوِي الْمَلَائِكَةُ يَتَلَقُونَ أَوْامِرَ اللَّهِ لَهُمْ، وَ اسْتَوَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِ يَعْنِي سُلْطَنَتَهُ، وَ أَنَّهُ يَهَيْمُنُ عَلَى الْخَلِيقَةِ وَ يَدَبِّرُهَا، وَ لَكِنْ لَيْسَ تَدْبِيرًا اعْتِبَاطِيًّا، بَلْ حَكِيمًا قَائِمًا عَلَى أَسَاسِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ «مَا» تَدُلُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَيَّ كُلِّ شَيْءٍ يَلِجُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْغَيْثِ وَ الْأَشْعَةِ وَ الْمَوَادِّ، وَ كَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ النَّبَاتِ، وَ كَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ يَصْعَدُ إِلَيْهَا مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ. وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَّ مَا كُنْتُمْ

فى بر أو بحر، ظاهرين أو مستورين، كما قال « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (١) و ربنا ليس فقط عليم بظاهر خلقه، بل هو بصير أيضا بباطنهم، ينفذ علمه الى لطائف الأمور و مغيباتها.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يعلم ظاهر العمل، كما يبصر صاحبه، و يعلم الدوافع الحقيقيه عنده، فقد يكون ظاهره الصلاح و لكن باطنه الرياء و حبّ الشهرة و المصلحه، و يكفى بهذه الآيه أن تدفعنا إلى المزيد من العمل الصالح، و السعى نحو المزيد من الإخلاص و الإنفاق، فان مصائرنا رهينه أعمالنا، و ناقد أعمالنا بصير بصير. نعم. قد نخدم الناس أو نخدع أنفسنا بمظاهرنا و حسن أعمالنا، و لكن هل نخدع الله؟! كلاً..

[٥-٦] و هذه الآيات تعتبر تمهيدا للحديث عن الإنفاق، لأنها تعرفنا ربنا عز و جل من خلال صفاته الحسنی، و منها الغنى، فهو حين يدعوننا الى الإنفاق فليس ليربح علينا بل لنربح عليه، إذ لا يزيده إنفاقنا شيئا.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فما عسى أن يزيد إنفاقنا في ملكه؟! بل إنفاقنا لا يكون إلا في جزء من ملكه استخلفنا فيه، فهو أما من الأرض، أو من السماء، و المالك الحقيقي هو الذى خلقهما، ثم ان ظاهر الأمور بأيدينا مما يوحى بأننا نملك ناصيتها، إلا أن واقعها بيد الله فالیه ترجع الأمور، و كم يدبر العبد أمرا ينقضه تدبير الله؟ و كم يقدر شيئا يقيله

ص: ٢٠

منه أمر الله؟ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ و نهتدى من هذا المقطع إلى أن المالك الاول هو الله حين ابتدع كل شىء ابتداء، و خلقه بعد العدم، و انه المالك فى المستقبل، و هو المالك الآن، لأنه الأحد، العالم بكل شىء، كما أنه القادر على التصرف فيه كيف و متى شاء. إنه الذى يमित و يحيى، و لك ان تلقى ببصرك فى آفاق الخليقه ابتداء من نفسك لترى آثار الحكمة و التدبير الالهى المنطبعة فى كل شىء، بلى. قد تنكر دور الارادة الالهيه فى دقائق حياتك، زاعما بأنك الذى تصنع كل شىء فيها، و لكن من الذى يحرك ملايين المجرات السابحه فى الفضاء بهذا النظام الدقيق؟ و من الذى يبدل الفصول و الليل و النهار؟ إنه الله.

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ فاذا ولج أحدهما فى الآخر أخذ منه و استطال عليه، و هذا التناقص و التزايد المستمر و المتقابل فى الحركة اليوميه للأرض حول نفسها و بسبب حركتها حول الشمس ينتهى الى تبدل الفصول، فاذا بالليل يلج فى النهار الى الأقصى فى منتصف الشتاء، بينما يلج النهار الى الأقصى فى منتصف الصيف، و يتعادلان فى الربيع و الخريف تقريبا.

وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنَّ عِلْمَهُ لَا يَقِفُ عِنْدَ مَا يَظْهَرُهُ الْإِنْسَانُ دليلا على ما فى قلبه، و علامه على نيته، إنما ينفذ الى ذات الصدور نفسها، و لعل سائلا يقول: ما هى العلاقة بين شطرى الآيه، أو بتعبير آخر: ما هى علاقته بإيلاج الليل فى النهار و العكس بعلم الله ما فى



الصدور؟ والجواب: إنّ الاثنين يحتاجان الى اللطف و العلم و الحكمة، ثم أنّه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فتدبيره لشؤون الكون لا يصرفه عن علم أدقّ الأمور، إنّما يهيمن على كل شيء، و ذلك يسير على الله.. كما تحتمل الآية ردًا على الذين قالوا بأنّ الله تفرّغ للأمور الكبيره كحركة الكواكب و الأرض و فوض سائر الشؤون الى خلقه.

أشاره

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِحُكْمِهِ وَقَدْ آخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيْنَا آيَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَارْؤُفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِيَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنِ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُذَلَّفُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يَتَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَكُنَّا مَعَكُمْ فَتُنَّكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَتَرْتَبَّضْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)

اللغة

١١ [يقرض]: القرض ما تعطيه غيرك ليقتضيه، وأصله القطع فهو قطعه عن مالكه بإذنه على ضمان رد مثله.

١٣]نقتبس]:نستضيء،الافتباس أخذ النار،و يقال قبسته نارا و اقتبسته علما.

١٤]و تربصتم]:أى تربصتم بالمؤمنين الدوائر،وقيل:لم تسارعوا فى إطاعه أوامر الله لأنّ التربص الترقب و الانتظار.

ص:٢٤

هدى من الآيات:

توجهنا هذه الآيات إلى الإيمان بالله و بالرسول، و تأمرنا بالإنفاق باعتباره من أعظم ثمرات الايمان، و لما فيه الأجر الكبير، و هو محك الميثاق الذى أخذ من كلّ الناس فى عالم الذر، و هو بند من بنود العهد الذى قطعه المسلم على نفسه عند بيعته للقيادة الرسالية.. و لا يحدد القرآن نوعا من الإنفاق بذاته، و ان كان الظاهر هو إنفاق المال، كما لا يدعو الى كميته معينه من الإنفاق، لان الأهم الكيف و ليس الكم، لذلك نجد تفريقا بين الإنفاق استجابته لأمر الله و دعوه الرسول إذا كان قبل الفتح و إذا كان بعده، و التأكيد على ان الاول هو الأفضل عند الله، لأنه الأصعب، إذ يتعرّض المؤمن يومئذ لكثير من الصعاب كضغط السلطه التى تعتبر الإنفاق من أجل الحق جريمه تستحق العقاب، و ضغط المجتمع المثبط الذى يعتبره مغرما و سفها، اما بعد الفتح فتنتفى الكثير من الضغوط، و ربما يصير الإنفاق بابا الى الشهره، و تأكيدا على النوع فى الإنفاق يدعونا ربنا الى قرض حسن فى سبيله، لا لحاجه منه

اليه، وانما لكى يردده علينا أضعافا مضاعفه فى الدنيا، وليجعله نورا فى الآخرة و ثوابا و فوزا عظيما.

ثم ينقل لنا الوحى مشهدا من الآخرة، حيث المؤمنون و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم التى مدّوها بالإنفاق و القرض الحسن فى سبيل الله، فهم فى نعيم الجنة خالدون، بينما يتخبط المنافقون الذين بخلوا أو أنفقوا لغير وجهه تعالى فى ظلمات و عذاب مقيم، و هنالك لا يقبل منهم فديه فى مقابل الخلاص من العذاب، و لو كان قدرها ملء الأرض ذهابا، بينما كان بإمكانهم ان يعتقوا أنفسهم من جهنم بإنفاق حسن محدود فى الدنيا لوجه الله و طاعه لرسوله و أوليائه، لكنهم فتنوا أنفسهم و ترَبَّصوا و ارتابوا و غرتهم الامانى و خدعهم الشيطان.

### بينات من الآيات:

[٧] بعد ان عرّفنا ربنا نفسه من خلال صفاته كالقدره على كل شىء، و العلم بكل شىء، و انه الاول و الآخر و الظاهر و الباطن، و انه الخالق الذى له الملك الواسع و بيده التدبير، يدعوننا الى الايمان به تعالى، معتبرا ذلك أساسا للايمان. أو ليس الايمان الحق هو الذى يقوم على المعرفة؟ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا يَسْأَلُ الْبَعْضُ: هل الخطاب موجه الى المؤمنين فهو تحصيل حاصل لأنهم مؤمنون، أم هو موجه لغير المؤمنين فهو غير جائز لان الأمر يلزم المؤمن فقط؟! و الجواب: أولا: إنّ الايمان درجات فيصح ان يكون الخطاب للمؤمنين يدعوهم الى درجه أرفع من الايمان، و الإنفاق المأمور به فى الآيه هو أحد درجات الايمان، فليس كل المؤمنين منفقين.

و ثانيا: إنّ الأمر بالايمن و الإنفاق قائم و ملزم حتى لغير المؤمن، فان كان مسلما لما يدخل الايمان قلبه فدعوته لذلك جائزه، و لو افترضناه كافرا فهي قائمه و ملزمه أيضا، فهذا رسول الله صلى الله عليه و آله يدعو الكافرين و المشركين الى التوحيد بما اشتهر عنه:

«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، فلا يعنى ذلك أنّ أمره صلى الله عليه و آله قبيح، و لا أن دعوته غير ملزمه، فالأمر حينما يكون عقليا يلزم كل ذى عقل، و حينما يكون شرعيا يلزم كل من بلغته الحججه و لو لم يدعن، و الدليل الى ذلك توعد الله المخالفين لأوامره بالعذاب، و الأمر بالايمن- و من ثم الإنفاق- يتسم بالعقلانيه، كما هو مقتضى الشريعة.

و إذا كانت المعرفه مرتكز الايمان فانّ الايمان مرتكز الإنفاق، إذ لا قيمه لانفاق بغير إيمان، و لغير وجه الله، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» \* مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ « (١)، و الايمان ليس يوجه الإنفاق الى أهدافه الصحيحه، و يجعله ضمن منطلقاته و دافعه المطلوبه و حسب، بل هو الذى يعطى الإنسان الاراده و القدره على تجاوز حرص النفس و شحها و سائر الضغوط و الحوافز المعاكسه، فالمؤمن يعطى فى سبيل الله لاعتقاده بأن ذلك يؤدى الى النماء، و الى الجنه، و الى رضوان الله و هو الأهم، فلا يعتبر إنفاقه خساره، بل هو ربح فى الواقع و المستقبل، ثم هب أنه لم يحصل على نماء فى الدنيا فأنه سوف يجد أجرا كريما فى الآخرة.

و من الحوافز الموضوعيه الى الإنفاق بالاضافه الى الايمان هو المعرفه الراسخه باننا لا ننفق من عند أنفسنا، إنما ننفق من ملك الله الذى استخلفنا فيه، فلما ذا الشح

ص: ٢٧

ما دام الأمر بالإنفاق هو المالك؟ لذلك يؤكد القرآن قائلا:

﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ وَ قَدْ قِيلَ فِي «مستخلفين» معنيان أحدهما: أنّ الإنسان يأتي خلفا لسلف في الملك، فيكون المعنى: أنفقوا من قبل أن يستخلف الله أحدا غيركم باماتتكم، أو نقل مالكم إليه، والثاني: إنكم لستم المالك الحقيقي بل الله، وإنما أذن لكم بالتصرف فيه، و خولكم صلاحه العمل فيه، كما لو كنتم خلفاءه فيه، وكلا المعنيين سواء في التحريض على الإنفاق، ولكن الأول أظهر لقوله تعالى: وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١).

فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ أما الذي يؤمن ولا ينفق فإن كان امتنع عن الإنفاق الواجب فله العذاب، وان كان مستحبا فإن أجره لن يكون كأجر المنفقين.

[٨] ولماذا يرفض الإنسان الايمان بربه و هو الذي خلقه و يرزقه و يراعه؟! وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ هذه الدعوه ليست بدعه و لا باطلا، إنما تتفق مع الحق المودع في فطره كل خلق منذ عهده مع ربه. قال تعالى:

ص: ٢٨

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ \* وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١).

وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَى ان كُنْتُمْ أُعْطِيتُمْ المِيثَاقَ الاول بالطاعه لله و للرسول فأنفقوا.

قال البعض: إن ميثاق عالم الذر لا يصلح للتحريض، لاننا لا نتذكر ذلك الميثاق فكيف يكون حجه علينا؟ قال عطاء و مجاهد و الكلبي و المقاتلات: يريد حين أخرجهم من ظهر آدم، و قال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ»، و ردّ عليهم الفخر الرازى: و هذا ضعيف، و ذلك لأنه تعالى إنّما ذكر أخذ الميثاق ليكون ذلك سببا فى انه لم يبق لهم عذر فى ترك الايمان بعد ذلك، و أخذ الميثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غير معلوم للقوم إلا- بقول الرسول (و مضى يردّ على رأيه حتى قال: فعلمنا أنّ تفسير الآية بهذا المعنى غير جائز (٢)، و الحال أنّ الله لم يأخذ الميثاق و يشهد بنى آدم على أنفسهم إلا لكى يستأديه فى يوم من الأيام عبر رسله و أوليائه، و حججه، و هو مودع فى قلوبهم بصوره معرفه و ايمان فطرى، و الشاهد و المتقدم من سوره الأعراف ظاهر و ظهير لهذا المعنى.

و يحتمل ان يكون معنى الايمان هو الجانب العملى منه المتمثل فى الإنفاق، فىكون المعنى: إن كنتم مؤمنين حقا استجبوا لدعوه الرسول بالإنفاق.

و قال البعض: إنّ معنى الآية: آمنوا إن كنتم ممن تكفيه هذه الشواهد.

[٩] و مره أخرى نتساءل: لماذا يرفض الإنسان الايمان، انه ليس خساره، بل هو ربح عظيم، لأنه يخرج من الظلمات الى النور، من ظلمات الظلم الى نور

ص: ٢٩

١-١) الأعراف ١٧٢-١٧٤

٢-٢) التفسير الكبير عند تفسير الآية.



العدالة، و من ظلمات العقائد السخيفه التي تحجب العقل عن الحقائق الى نور الحنفية السمحاء التي تثيره الى معرفتها، و من ظلمات العقد النفسية التي تسلبه لذة الحياه الى نور الوعي، و كل ذلك يتم برسالة الله الى الإنسان.

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ القرآن يرسم لنا خريطه شامله متكامله و صحيحه لجوانب الحياه، و يحرر العقل و النفس من الأفكار الضالّه و العقد. إنه يزكي النفس من الحسد و الحقد و سوء الظن و الشك، و هذه كلها ظلمات، و في المقابل يزرع فيها الوثام و المحبّه و حسن الظن و الالفه، كما أنّ من أهم الظلمات التي تستهدف الرسالات الالهيه إخراج الناس منها هي الانظمه الفاسده التي تتسلط على رقاب الناس، و تمنع الامه من التقدم، و على الناس أن يعلموا بان الايمان الأصيل، و الإنفاق الذي تدعوهم اليه القيادات و الحركات الرساليه يهدف تحريرهم من تلك الظلمات الى نور دوله الحقّ و العدل، و هذا لا- شك يكلفهم شيئا من التضحيات، و لكن ليعلموا أنه في صالحهم و لخيرهم في الدنيا و الآخرة. إنّ الايمان و الإنفاق يستهدفان بناء مجتمع متحضّر نفسيا و اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا.. كل ذلك من رأفه الله و رحمته بعباده.

وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ بلى. إنّ الايمان يحملنا بعض المسؤوليه، و نحتاج حتى نلتزم به أن نخالف أهواءنا، و لكنّه ليس مغرما كما يتصوّره البعض، فقد يطالبنا بالإنفاق و لكن ليس ليستنفع به الله سبحانه و تعالى، انما ليعود النفع علينا نحن البشر، و ذلك لأنه يزكي نفوسنا و يربينا، و يبني مجتمعا متكاملا قويا، و ينمى اقتصادنا، إضافة الى كونه يسبب رضى الله و ثوابه فى الآخرة، و قد قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

و تَرْكِيهِمْ بِهَا وَ صَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)، وقال:

يَمَحِقُ اللَّهُ الرَّبَابَةَ وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ (٢)، وقال: قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣).

و لنا أن نلمس حقيقه الرساله، و رافه الله و رحمته عن قرب، لو رجعنا الى الوراء قليلا- في الزمن لنقارن بين واقعين في تجمع واحد كان يعيش على شبه الجزيره العربيه، واقعه قبل الإسلام، و واقعه بعده، لقد كان قبله مجتمعا ضعيفا متمزقا عرضه للطامعين و عرضه للتناحر و الحروب، فأصبح قويا متحدا و رمزا للتحضر، و قال تعالى مشيرا الى هذه النعمه العظيمة: « وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (٤)، و

قالت فاطمه الزهراء عليه السلام تعكس محتوى هذه الآيه و شبيهاتها: «ابتعثه إتماما لأمره، و عزيمه على إمضاء حكمه، و إنفاذا لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابده لاوثانها، منكره لله مع عرفانها، فأنازل الله بأبي محمد صلى الله عليه و آله ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها، و جلى عن الأبصار غممها، و قام فى الناس بالهدايه، فأنقذهم من الغوايه، و بصيرهم من العمايه، و هداهم إلى الدين القويم، و دعاهم الى الطريق المستقيم.. إلى أن تقول: و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقه الشارب، و نهزه الطامع، و قبسه العجلان، و موطئ الاقدام، تشربون الطرق، و تقتاتون القدر، أذله خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمد صلى الله عليه و آله بعد اللتيا و التى » (٥).

ص: ٣١

١- (١) التوبه ١٠٣/

٢- (٢) البقره ٢٧٦/

٣- (٣) سبأ ٣٩/

٤- (٤) آل عمران ١٠٣/

٥- (٥) الإحتجاج/ ج ١ ص ٩٩-١٠٠

[١٠] فلما ذا لا يتبع البشر الآيات و يطبقونها إذا كانت تخرجهم من الظلمات الى النور؟ هل الظلمه خير من النور؟! أم العذاب خير من رافه الله و رحمته؟! وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُل نِعْمه هى أمانه بيد الإنسان، روحه و جسده و ماله و كل شىء، و يأتى يوم تسترد هذه الامانه منه لتعود الى مالکها و هو الله، ليسأل كل واحد عن موقفه منها، « ثُمَّ لَتَسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » (١)، « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ » (٢). و لماذا يمسیک مال الله و أمانته دون أمره، أ فلا يستحق بعدها الجزاء؟ « وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ » (٣)؟! و كما يختلف الإنفاق فى سبيل الله عن الإنفاق لأغراض أخرى، بأن الأول مقبول مجزى عليه، و الآخر مردود و ربما معاقب بسببه، فإن الأول يتفاضل على بعضه أيضا، نظرا لمستوى إيمان صاحبه، و للظروف و المعطيات المحيطه به، فالذى ينفق قبل الفتح و الانتصار لا شك أنه أعظم درجه و فضلا، و ذلك لاسباب أهمها:

١- سبقه الى الحق و العمل الصالح، و لعل الكثير من اللاحقين إنما اهدوا بسببه، فهو يصدق عليه

حديث الرسول صلى الله عليه و آله: «من سنَّ سنَّه حسنه فله أجرها، و أجر من عمل بها الى يوم القيامة، لا ينقصهم من أجرهم شيئا»، كما أنه مصداق لقوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (٤).

٢- دوره فى إقامة حكومه الله فى المجتمع، و هو لا شك فضل كبير، و الكثير من

ص: ٣٢

١- ١) التكاثر ٨/

٢- ٢) الصافات ٢٤/.

٣- ٣) النساء ٣٩/

٤- ٤) الواقعة ١٠-١١/

الإنفاق و القتال الذى يلى الفتح إنما بفضل الانتصار الذى ارتفع بسببه الحرج، و صلحت الظروف المضاده، و الكثير من الناس مستعدون للإنفاق فى ظل المجتمع المسلم أكثر من استعدادهم للإنفاق فى ظل الحركة بالذات إذا كانوا يستضعفونها، و لعلّه لو لم ينبر لدعم رساله أولئك السابقون ما كانت تقوم لها قائمه.

٣- لأنّ الإنفاق و القتال قبل الفتح أكثر صعوبه و تحديا بالنسبه للإنسان، فقد يجر عليه الكثير من الويلات و المشاكل، إذا عرفه أعداء رساله كالانظمه الفاسده، و يكفيه فضيله أنّه يقاوم به فى ظروف أكثر معاكسه و تحديا، حيث الناس كلّهم متقاعسون، و النبى صلى الله عليه و آله يشير الى هذه الحقيقه إذ يقول:

«خير الأعمال أحمرها».

أما بعد الانتصار و الفتح فقد يكون الإنفاق سيلا الى المجد الاجتماعى.

إنّ الإنفاق قبل الفتح يدلّ على عمق الايمان، لان على المنفق يومئذ أن يجتاز ثلاث عقبات: عقبه حب المال، و عقبه الضغوط السياسيه، و عقبه التحديات الاجتماعيه.. كذلك يكون إقدامه على القتال و إنفاقه نابعا حينها من روح ايمانيه خالصه، و ليس من اختلاط الدوافع و الدواعى.

لا- يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَ لَكِن لَّا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّفَاضُلُ سَبَبًا لِلتَّعَالَى عِنْدَ فَتَاهُ، و لا للياس و الاحساس بالضعه عند الأخرى، كما لا يعنى أن اللاحقين لا حظّ و لا فضل لهم، كلاً..

وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ يَعْنِي الْجَنَّةَ وَ الرِّضَا وَ الْجَزَاءَ، وَ يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ فِي نَهَايَةِ آيَةِ أَنَّ التَّفَاضُلَ لَيْسَ

لمجرد الانتماء الى صفوف المجاهدين الرساليين قبل الفتح، ولا لعوامل ذاتيه تنحصر في ذلك الجيل، كلاً.. إنما التفاضل بالأعمال الصالحة التي يحيط بها علم الله.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ إِذْ لَا يَكْفَى أَنْ يَقْتَاتَ الْجِيلُ السَّابِقَ بِأَمْجَادِهِ الْغَابِرِ، وَيَتَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ اعْتِمَادًا عَلَى ذَلِكَ التَّفْضِيلِ، وَ لَعَلَّ فِي هَذِهِ الْخَاتِمَةِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنْ صِرَاعِ الْأَجْيَالِ، فَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَعْتَرِفُ فِيهِ بَوْجُودُ الْأَجْيَالِ بَلْ بِتَمَايُزِهَا، لَا يَدْعُوهَا لِلصِّرَاعِ، بَلْ يَدْفَعُهَا بِاتِّجَاهِ الْإِلْتِحَامِ وَ التَّعَاوُنِ وَ التَّسَابُقِ الْبِنَاءِ فِي مِيدَانِ السَّعْيِ وَ الْعَمَلِ.

[١١] وَ يَجَادِلُ الْبَعْضُ: مَا دَامَ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَمَّا ذَا يَأْمُرُنَا بِالْإِنْفَاقِ؟ وَ يَقُولُ رَبَّنَا عَنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ نَطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (١)، كُلُّ ذَلِكَ تَبَرِيرًا لِتَخْلُفِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَ سَعْيًا لِلتَّمَلُّصِ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَ لَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْرِكُونَ غِنَى اللَّهِ، وَ أَنَّهُ إِنَّمَا فَرَضَ الْإِنْفَاقَ لِيَتَلَى عِبَادَهُ وَ يَسْتَأْدِبَهُمْ مِيثَاقَهُ بِالطَّاعَةِ لَهُ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أسهروا عيونكم، و أضمروا بطونكم، و استعملوا أقدامكم، و أنفقوا أموالكم، و خذوا من أجسادكم فجدوا بها على أنفسكم، و لا تبخلوا بها عنها، فقد قال تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَ قَالَ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ، فلم يستنصركم من ذل، و لم يستقرضكم من قل، استنصركم و له جنود السماوات و الأرض، و استقرضكم و له خزائن السماوات و الأرض، و هو الغني الحميد، و إنما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً، فبادروا

ص: ٣٤

بأعمالكم تكونوا من جيران الله في داره « (١).

نعم. إنَّه تعالى لا- يحتاج إلينا، ولا- لأحد من خلقه، وإنَّ ما نملك من شىء فهو من فضله و رزقه، و دعوته لنا الى الإنفاق فى صالحنا، فبالإنفاق فى سبيله نعالج مشاكلنا الاقتصادية و السياسيه و الاجتماعيه، و نركى أنفسنا، و فى الآخره أجر و ثواب عظيمان، فلنستمع لندائه، و لنستجب دعوته:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا إِنَّهُ لَا يُرِيدُنَا أَنْ نَنْفِقَ كُلَّ أَمْوَالِنَا فِي سَبِيلِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُ بَعْضَهَا، فَالْقَرْضُ هُوَ الْاِقْتِطَاعُ، وَ لَعَلَّ فِي الْكَلِمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى الصَّعُوبَةِ الَّتِي يُوَاجِهُهَا الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْإِنْفَاقِ وَ الَّتِي تُشَبِّهُ الْقَرْضَ. أَوْ لَيْسَ يُرِيدُ مُخَالَفَةَ هَوَاهُ، وَ حَبَهُ لِلْمَالِ؟ أَذِنَ فَلْيَحْمَلْ، وَ لِيَعْلَمْ أَنَّهُ فِي صَالِحِهِ دُنْيَا وَ آخِرَهُ.

و ربنا لا يريد اى إنفاق، انما الإنفاق الحسن، و لا يكون كذلك الا إذا اشتمل على المواصفات التاليه:

١- أن يكون من المال الحلال..

قال أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام فى قوله عز و جل: « أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ » فقال: « كان القوم قد كسبوا كاسب سوء فى الجاهليه، فلما أسلموا أرادوا ان يخرجوها من أموالهم فيتصدقوا بها، فأبى الله عز و جل ان يخرجوا إلا- من أطيب ما كسبوا » (٢) و فى قوله تعالى: « وَ لَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ قَالَ: « كان الناس حين أسلموا عندهم مكاسب من الربا، و من أموال خبيثه، فكان الرجل يتعمدها من بين ماله فتصدق بها، فنهاهم الله

ص: ٣٥

١- ١) نهج/ج ١٨٣ ص ٢٦٧

٢- ٢) وسائل/ج ٦ ص ٣٢٥

عن ذلك، و ان الصدقه لا تصلح الا من كسب طيب « (١) و

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ» (٢)، و لعلّ تأكيد الأحاديث و الآيات على هذا الشرط لاین البعض يحاول تبرير مكاسبه الحرام، و الالتفاف على الشرع بمختلف الحيل، كانفاق بعضها فى بناء المساجد و الحسينيات، و المساهمه فى المشاريع الخيرية، و لكن ليعلم هؤلاء ان ذلك لا يخلعهم عن المسئوليه أمام الله، و لا يعود عليهم بالنفع.

٢- أن يكون مخلصا لوجه الله، قال تعالى: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٣)**، و هذه سيره أوليائه عليه السلام: **وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مَشِيكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا\* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُورًا\* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (٤)**، أمّا إذا أنفق الإنسان تزلفا الى الطاغوت، أو طمعا فى منصب، و قضاء حاجه لدى القيادة الرساليه، أو رثاء الناس و لهثا وراء الشهرة و السمعه، فهذا ليس قرضا حسنا، إنما هو سىء يستوجب العقاب، لأنه قد يكون طريقا الى الفساد و الإفساد فى المجتمع، و على القيادة الرساليه ان تتنبه لهذه النوعيه من أصحاب الأموال، الذين يتظاهرون بدعم الحركه و الدوله الاسلاميه، و لكنهم فى الواقع لا يريدون من وراء ذلك الا بلوغ مصالحهم، و التغطية على أخطائهم و تلاعبهم بالاقتصاد و المجتمع، و لا ريب ان الكلام الحسن خير من هذا النوع من الإنفاق، و قد قال الله تعالى:

ص: ٣٦

١- ١) تفسير العياشى/ ج ١ ص ١٤٩

٢- ٢) مجمع البيان/ ج ٩ عند الآيه

٣- ٣) المائده ٢٧/

٤- ٤) الإنسان ٨/ ١٠-

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ رِزَاءً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صِلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١).

٣- أن يصيب الإنفاق موارده المشروعه، فيكون الإنسان أقرض الله بالفعل، بلى. ليس مطلوباً منه أن يفتش عن عقائد الناس و يحقق معهم، ولكن ينبغي له أن يعلم أين يضع ماله، و

في الخبر المشهور: «لا تجوز قدما عبد على الصراط حتى يسأل عن خمس (منها: ) و عن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه» و قال الله عز و جل: **إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ (٢) و**

قال الامام الصادق عليه السلام: «لو أن الناس أخذوا ما أمرهم الله به فأنفقوه فيما نهاهم عنه ما قبله منهم، و لو أخذوا ما نهاهم عنه فأنفقوه فيما أمرهم الله به ما قبله منهم، حتى يأخذوه من حق، و ينفقوه في حق» (٣).

بالطبع الثواب يكون على النية، و الإنسان مطالب أن يعمل بالظاهر، و لكنه إذا أخلص نيته و أصحاب هدفه فهو أجزل ثواباً من الذي يخلص و لا يصيب، بالذات إذا كان ذلك يسبب الإهمال، فان الإنفاق إذا أخطأ موارده قد يؤدي الى حالات سلبية معاكسه اجتماعياً و سياسياً و اقتصادياً.

و من أهم الموارد الامام المعصوم و من يخلفه في قياده المجتمع المسلم أو التجمع الرسالي الذي يجاهد من أجل اقامه حكم الله، و تحرير البلاد و العباد من ربه الظلم و الفساد و التبعية،

قال الامام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْ خَلْقَهُ مَا

ص: ٣٧

١- (١) البقره ٢٦٢-٢٦٤

٢- (٢) البقره ٢٧١/

٣- (٣) وسائل/ ج ٦ ص ٣٢٦



فى أيدىهم قرضا من حاجه به الى ذلك، و ما كان لله من حق فأنما هو لولئيه « (١) و

فى روضه الكافى عن أبى الحسن الماضى عليه السلام فى قوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ (الآيه) قال: «صله الامام فى دوله الفساق» (٢).

و لتعلم الامه انها كلما دعمت الحركات الرساليه و القيادات الصالحه كلما تقدمت نحو النصر، و ساهمت فى استقلال طلائعها المجاهده، فهناك الكثير من المشاريع فى طريق الجهاد و النصر تنتظر العون الذى يصيرها واقعا على الأرض، و زوجه الرسول الأكرم خديجه بنت خويلد (عليهما السلام) أسوه حسنه لنا. فلقد و هبت مالها للإسلام ابتغاء مرضاه الله، و جهادا فى سبيله، و إذا كانت هذه المسؤوليه تقع على الامه فردا فردا، فانها لا ريب تتركز عند الذين أنعم الله عليهم بالثروه، و هم مطالبون أمام الله و الامه و التاريخ ان يتحملوا مسئوليتهم و يؤدوا واجبهم فى الصراع الحاسم بين الباطل (ممثلا بالأنظمه الجاهليه) و بين الحق (ممثلا بالقيادات و الحركات الرساليه و الصادقه)، و ليطمئن كل منفق أن انتصار الحق لن يكون فى صالح الامه و حسب، بل فى صالحه هو شخصيا أيضا، و أن المال الذى ينفق منه لن ينقص، بل سيبارك الله له فيه.

فِيضَاعِفَهُ فِي الدُّنْيَا. وَيَضْرِبُ الْقُرْآنَ مِثْلًا لِهَذِهِ الْمِضَاعِفَةِ إِذْ يَقُولُ: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣) و

قال الامام على عليه السلام: الصدقه تنمى

ص: ٣٨

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٣٩

٢-٢) المصدر/نقلا عن الروضه

٣-٣) البقره ٣٦١/

المال عند الله (١)، ولا يقف الجزاء عند هذا الحد، إنما تعم البركة جوانب حياته، وتمتد الى من حوله، و الى الأجيال من بعده،

قال الامام الصادق عليه السلام: «ما أحسن عبد الصدقه في الدنيا الا أحسن الله الخلافه على ولده من بعده» (٢)، وكذلك يشمل الجزاء الآخرة، فيكون هناك أكثر و أفضل.

وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ في مقابل شكر الإنسان لربه، وتصرفه الحسن في نعمه يشكره الله. ونحن نعلم كم تكون العطيه كثيره إذا امتدت بها يد الكريم من الناس، ولكننا لا نستوعب سعتها ونوعيتها إذا كانت من عند رب العالمين الذي وسعت رحمته كل شىء! و يجدر بنا في خاتمه تفسير الآيه أن نقل هنا نص كلام العلامة الطبرسي في بيان شروط القرض الحسن:

قال أهل التحقيق: القرض الحسن أن يجمع عشره أوصاف: أن يكون من الحلال، لأن

النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب»، وأن يكون من أكرم ما يملكه دون ان يقصد الردىء بالإنفاق، لقوله:

«وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»، و ان يتصدق و هو يحب المال و يرجو الحياه،

لقوله صلى الله عليه وآله لما سئل عن الصدقه: «أفضل الصدقه أن تعطيه و أنت صحيح، شحيح، تأمل العيش، و تخشى الفقر، و لا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقى قلت: لفلان كذا، و لفلان كذا»، و أن يضعه في الاخل الاحوج الاولى بأخذه، و لذلك خص الله أقواما بأخذ الصدقات و هم أهل السهمان، و ان يكتمه ما أمكن، لقوله: «وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»، و ان لا يتبعه المن و الأذى،

ص: ٣٩

١- ١) بح/ج ٧٧ ص ٢٦٨

٢- ٢) المصدر/ج ٩٦ ص ٢٦٨

لقوله: لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، و ان يقصد به وجه الله و لا يرائى بذلك لان الرياء مذموم، و ان يستحقر ما يعطى و ان كثر لان متاع الدنيا قليل، و ان يكون من أحب ماله اليه، لقوله: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ، فهذه الأوصاف العشره إذا استكملتها الصدقه كان ذلك قرضا حسنا» (١).

[١٢] و جزاء الله و أجره لا ينحصر فى الدنيا، فى الآخرة يكون الجزاء الأعظم و الأعم.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَأَنَّهُمْ بَعَثُوا أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدُّوا إِلَى تِلْكَ الدَّارِ.

و بَأَيِّمَانِهِمُ التى ما برحت حتى الرمق الأخير تنفق فى سبيل الله حيث تتحول صحيفه أعمالهم التى يحملونها بأيمانهم الى نور و بشرى بالجنه، و النور هو تجل واقعى للأعمال الصالحه، و الهدى الذى اتبعوه من آيات الرساله التى تنزلت على الأنبياء، و الامامه الصالحه التى اختاروها و سلموا لها و اتبعوا بصائرهما،

قال الامام الباقر عليه السلام: و هو يفسر الايه: أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين و بأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة (٢)، و لا غرابه فى ذلك و ربنا يصف نبيه بأنه نور و سراج منير و يقول: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا\* وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا\* (٣). و هذا النور موجود فى الدنيا، و لكن الإنسان لا يراه بعينه، انما يراه البصير بقلبه، و فى الآخرة يكشف الله عنه. و نهتدى من التدبر فى المقطع

ص: ٤٠

١-١) مجمع البيان/ج ٩ ص ٢٣٥

٢-٢) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٤٠

٣-٣) الأحزاب ٤٥-٤٦

« يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ » أنه ينبغي للمؤمن ان لا يكتفى بالنور الذى ينير له الطريق من الخارج، بل لا بد ان يكون بيده نور و عنده بصيره الاستفاده من ذلك فى الوقت المناسب.

و من دقائق التعبير هنا قوله تعالى وَ الْمُؤْمِنَاتِ دُونَ ان يكتفى بذكر المؤمنين التى هى لغه القرآن الشامله للجنسين، و ذلك لكى لا- تتصور النساء أَنَّ الْإِنْفَاقَ وَ الْجِهَادَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ وَظَائِفِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ، كَلَّا.. فَهِنَّ مَكْلُفَاتٌ بِقَدَرِهِنَّ أَيْضًا، وَ مِنْ الْخَطَأِ أَنْ تَعْتَمِدَ الْمَرْأَةُ عَلَى مَا يَقْدِمُهُ وَلِيهَا أَوْ أَقْرَبَاؤُهَا، فَلِكُلِّ عَمَلِهِ وَ سَعْيِهِ، وَ نُورِهِ وَ جَزَاؤِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

و حيث يتقدمون نحو الجنة و يعبرون الصراط تأتيهم البشاره من الله تحملها الملائكه. و أى بشرى تلك؟! إنها عظيمه حقًا.

بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ وَ مُخْتَلِفَةٌ، بِاخْتِلَافِ الْأَعْمَالِ وَ قَدَرِهَا.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ هَذِهِ مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ الْجَنَّةِ، نَعِيمٌ دَائِمٌ وَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ حَيْثُ الْخَلَاصُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَ الْوَصُولُ إِلَى أَعْظَمِ تَمَنِّيَاتِ الْإِنْسَانِ أَلَا وَ هِيَ الْخُلُودُ، وَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَشْعُرُ فِى نَفْسِهِ كَمْ يَنْغْصُ الْخَوْفَ مِنَ الْمَوْتِ وَ النِّهَايَةِ عَيْشِهِ وَ سَعَادَتِهِ، وَ قَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ الْخُلُودَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

و يبدو أن «بشراكم» مبتدأ وخبره «جنات»، كما لو قلنا: أملك السلطه.

[١٣] أما المنافقون الذين لم يتبعوا الآيات البينات، و لم يسلموا للقياده الرساليه و الإمامه الصالحه، و لم يعملوا الصالحات كالجهاد و الإنفاق، أو عملوا ذلك لغير الله، فهم يظنون فى الظلمات و العذاب، ذلك أن هذه العوامل هى التى تخرج الإنسان من الظلمات «لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» و حيث لم يتمسكوا بها لم يخرجوا منها، هكذا يقول لهم المؤمنون.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا أَىٰ انتظرونا حتى نستضيء بنوركم.

نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ و هذا لا- يمكن، لأنَّ الإنسان هو الذى يرسم مصيره بنفسه، و «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» (١)، فإن عمل الصالحات جنى النور و الثواب، و إنَّ عمل السيئات جنى الظلمه و العذاب، ثمَّ أن الآخره ليست محلاً ليستزيد فيها أحد عملاً، إنما الدنيا هى دار العمل، و هناك حساب و لا عمل، لذلك يأتيهم النداء أن عودوا إلى الدنيا.

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا و هذه الآيه لا- تخصَّ يوم القيامه، إنما تنفعنا فى الدنيا أيضاً، و ذلك بأن نعلم بأنَّها الفرصه الوحيدَه التى يمكن فيها التغيير و الرجوع عن الخطأ بالتوبه و العمل الصالح، و ربنا ينقل لنا هذه الصوره من القيامه لتتصور واقع الحسره فنسعى

ص: ٤٢



أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ و هناك يجيبهم المؤمنون بما هو قول فصل: أولاً: بيان حقيقه الانتماء، بأنه ليس مجرد التشدق اللفظي، إنما يتحقق الانتماء بالعمل المتجانس، و الخطّ المشترك، و هذا ما لم يتحقق في واقع المنافقين، لأنهم أوقعوا أنفسهم في الفتنه حين اجتنبها المؤمنون، و تربصوا حين أقدموا، و شككوا حين تيقنوا، و اغتروا بالأمانى حين سعوا، و استجابوا لنداء الشيطان حين استعاذوا منه، و أمسكوا بخلا و أمروا الناس به حين أنفقوا. و ثانياً: بيان مراحل التسافل و الهلاك عند الإنسان، و هذه أوضح آيه في القرآن من حيث ترتيبها بالتالى، و هى:

المرحله الأولى: الافتتان، و الفتن لغويًا هو وضع المعدن كالذهب فى النار، و سمى الابتلاء فتنه لأنّ الإنسان أثناءه يكتوى بنيران الحوادث و المتغيرات، و يواجه التحدّيات و الضغوط الصعبة و الحاسمه بعض الأحيان، و السؤال: كيف يفتن الإنسان نفسه؟ و نجيب: حينما يريد الإنسان أن يكون مخلصاً لرّبّه، بعيداً عن الضلاله و الانحراف، يجب أن يتجنّب مضلّات الفتن و مظانّها، فلا يدخل فيها و لا يتفاعل معها، إنّما يكون كما

نصح أمير المؤمنين عليه السلام: «كن فى الفتنه كابن اللبون، لا- ظهر فيركب، و لا ضرع فيحلب» (١)، فلا- يسافر فى البلاد التى تصرعه فيها الفتن، أو يقع فيها بيد الظالم، و لا يقرأ أو يتصفح الكتب و المجلّات التى تضلّه،

و لا يدخل فى الصراعات السياسيه و الاجتماعيه التى تضرّ بدينه،و

قد قال الإمام على عليه السلام: «لا تفتحوا ما استقبلتم من فور الفتنه، و أميطوا عن سننها، و خلّوا قصد السبيل لها» (١)، و هذا هو حال المؤمن. إنّه يحتاط لدينه، و يمشى فى الأرض كما يمشى المقاتل فى حقل الألغام، أما المنافق و الكافر الذى يبحث عن المغنم الدنيويه فإنّه يقتحم الفتن، و يخوض فيها خوضاً، لهثاً وراء الدنيا، كما تبين الآيه (٢٠).

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَيٰ أَدْخَلْتُمُوهَا فِي الْفِتْنَةِ يَارَادَتِكُمْ، بهدف اللهو و اللعب و الزينه و التفاخر و التكاثر فى حطامها و ملذّاتها، و هناك فرق بين من يتعرّض للفتنه عن غير إرادته ثم يتبع منهج الإسلام فى التعامل معها أو يدخل نفسه ليقاومها، و بين من يدخل نفسه فى الفتن بإرادته لا- ليتحدّأها، إنّما ليكون غرضاً لها، و لتكون الدنيا و الهوى غرضه من دخولها. و لعلّ الاغترار بالدنيا أظهر مصاديق فتن النفس، و فى الكلمه ظلال لمعنى أضللتهم، تشابها مع قول الله لنبيه: «وَ اخذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك» (٢) أى يضلّوك.

المرحله الثانيه: التربص.

وَ تَرَبَّصْتُمْ بتسويف الالتزام بالحق، و انتظار التغيير فى المستقبل، ذلك أنّ الإنسان مهما توغّل فى الانحراف و دخل فى الفتن، فإنّ الله يبين له الحق ليقيم عليه الحججه و لو فى

ص: ٤٥

١- ١) غرر الحكم

٢- ٢) المائده ٤٩/



لحادثات، إِمَّا بيقظه الضمير أو بموعظه داعيه، أو من خلال اصطدامه بمشكله تتبَّهه إلى خطئه، و لكنّه في الغالب لا يلزم نفسه الحقّ مباشرة، إنّما يسوّف التوبه، و يستمرّ في الفتنة حتى تفوته الفرصه، و

الإمام على عليه السلام يحدّر من هذه الحاله إذ يقول: «فاتقى عبد ربّه، نصح نفسه، و قدّم توبته، و غلب شهوته، فإنّ أجله مستور عنه، و أمله خادع له، و الشيطان موكل به، و يزيّن له المعصيه ليركبها، و يمّنيه التوبه ليسوّفها، إذا هجمت عليه ممّيته أغفل ما يكون عنها، فيا لها حسره على كلّ ذى غفله أن يكون عمره عليه حجه، و أن تؤديه أيامه إلى الشقوه» (١).

المرحله الثالثه: الارتياب و الشك.

وَ اِرْتَبْتُمْ إِنْ اللّٰهُ يَبْصِرَ الْإِنْسَانَ بِالْحَقِّ، وَ يَبَيِّنُ لَهُ الْخَطَأَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَقْدَمَ عَلَى التَّغْيِيرِ اهْتَدَى، وَ إِلَّا فَإِنَّ التَّرَبُّصَ يَحْوِلُ يَقِينَهُ إِلَى شَكِّ، وَ

الإمام على عليه السلام يقول :

«لا تجعلوا علمكم جهلا، و لا يقينكم شكّا، إذا علمتم فاعملوا، و إذا أيقنتم فاقدموا» (٢)، و الإنسان حينما يقدم عمليّا على الالتزام بالحقّ تتعمّق قناعته به، قال تعالى: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٣)، و في غير هذه الصوره يبدأ يشكّك نفسه ليتخلّص من و خز الضمير و ملامه النفس اللّوامه، فإذا نصحه إخوانه بالأوبه إلى هذه الصوره أخذته بالعزّه بالإثم، و أنكر الحقّ، و قال كما قال الكافرون للذين آمنوا: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ (٤)، و هذه الصفه تنفى انتماءهم للمؤمنين لقوله تعالى بالحصر: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

ص: ٤٦

١-١) نهج/ح ٦٤ ص ٩٥

٢-٢) نهج/حكمه ٢٧٤

٣-٣) العنكبوت ٦٩/

٤-٤) الأحقاف ١١/

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١) وادّعاء المنافقين أنّهم من المؤمنين و معهم مجرد محاوله لإلصاق أنفسهم بهم و التخلص من العذاب، و إلاّ- فهم لم يؤمنوا بالله و لا- برسوله و لم يستجيبوا لدعوته المتمثله فى الآيات البيّنات المنزله على رسوله صلى الله عليه و آله فبقوا فى الظلمات.

المرحله الرابعه: الاغترار بالأمانى، ذلك أنّ الحق واضح مبين تتلاحق أمام الإنسان آياته، و له ثقل عظيم على الواقع و منافع لا تحصى، و ينسجم مع فطره الإنسان و سنن الله فى الخليقه، و الانحراف عن مثل ذلك يتطلّب جهدا، و لا يكون إلاّ بوسائل، و من وسائله الغرور بالأمانى التى تتلاحق فى وعى المنحرفين كشلال أسود لا يكاد المبتلى به يقدر على مراجعه قراراته و التدبر فى عواقب أموره.

إن الشك و التردد إمّا يحسمه الإنسان باتجاه الحق من خلال التوبه و العمل، و إلاّ فإنه سيبقى على الباطل حتى يوافيه الأجل، و تضيع منه فرصه التغيير، بسبب الأمانى التى ينفخ فيها الشيطان، كالتشبث بالقشور و بعض الأعمال الجانيه التى يسعى البشر لتبرير أخطائه الفادحه بها، و من الأمانى أيضا النظرة الخاطئه لغفران الله، و الاعتماد على شفاعه الأولياء، و لذلك حدّر أئمه الهدى شيعتهم من المنى،

قال الإمام على عليه السلام: «و سابقوا إلى مغفره من ربكم من قبل أن يضرب بالسور، باطنه الرحمه و ظاهره العذاب، فتنادون فلا يسمع نداؤكم، و تضجّون فلا يحفل بضجيجكم» (٢)، و

قال الإمام الصادق عليه السلام: «تجنّبوا المنى فإنّها تذهب بهجه ما خوّلتم، و تستصغرون بها مواهب الله جلّ و عزّ عندكم، و تعقبكم الحسرات فيما و همتم به أنفسكم» (٣)، و إنّما ينال ما عند الله بالعمل و السعى، قال تعالى:

ص: ٤٧

١-١) الحجرات ١٥/

٢-٢) نور الثقلين / ج ٥ ص ٢٤١

٣-٣) المصدر / ص ٢٤٢

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (١)، و التمنى يوقف مسيره الإنسان باتجاه التغيير و العمل، لأنه يستبدل السعى بالأحلام و الوهم، و ربنا يستنكر على المنافقين و الكافرين تمنياتهم إذ يقول: «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى\* أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى « (٢)؟! وَ عَزَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ أَى خدعتكم، و الأمانى هى الأحلام و الظنون التى يصنعها الإنسان بخياله المنبعث من شهواته، و الذى يدخل فى هذا النفق قد لا يتخلص منه، بل يبقى فى غروره حتى الموت، و هذا ما صار إليه المنافقون.

حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ أَى نصره المؤمنين، أو أجله الذى لا- تأخير فيه، و حينها لا تنفع التوبه، فإذا جاءت المتيه بطلت الأمتيه، و قبل أن يختم ربنا الآيه يشير إلى دور الشيطان فى خدع الإنسان الذى يتمثل فى تزيين المعاصى، و تأكيد الأمنيات فى النفس، و ليس له سلطان على أحد، و

فى الدعاء بعد أن يشكو الإمام عدوه الأول إلى الله و هو النفس يقول: «إلهى أشكو إليك عدواً يضلنى، و شيطاناً يغوينى، قد ملأ بالوسواس صدرى، و أحاطت هواجسه بقلبي، (يعاضد لى الهوى): و يزین لى حبّ الدنيا، و يحول بينى و بين الطاعه و الزلفى « (٣). إن دوره الأساسى هو المعاضده و الإعانه على الانحراف، و تأكيد النصوص الإسلاميه على هذه الحقيقه (و ذكره فى هذه الآيه فى صيغه الإستدراك) كل ذلك يأتى لكى لا يعتبر البشر وسواس الشيطان تبريراً

ص: ٤٨

١- ١) النجم ٣٩/

٢- ٢) النجم ٢٣-٢٤/

٣- ٣) الصحيفه السجديه/مناجاه الشاكين

للانحراف و الضلاله، و أنه مجبور عليها.

وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ يَعْنِي الشَّيْطَانُ إِنْسِيَا كَانَ أَوْ جَنِّيَا. وَ «الغُرُور» صَيْغُهُ مَبَالِغُهُ، تَدَلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَمَلُهُ وَ دِيدَنُهُ، وَ لَا رَيْبَ أَنَّ  
الاعلام المضلل الذى ينشر ثقافه الفساد كتابه و صوراً و صوتاً، و كذلك الأنظمه الفاسده التى تركز حبّ الدنيا و اتباع الهوى فى  
المجتمع، هما من أبرز مصاديق هذه الآيه الكريمة، كما أصدقاء السوء من مصاديقها.

[١٥] و كم تكون حسره الإنسان إذا صار فى الدنيا غرضاً للفتن، و فريسه للأمانى و همزات الشيطان، و عاش بينهما مترتباً مرتاباً  
حتى يجىء أجله، و تضيع الفرصه قبل أن يخلص نفسه من النار، ليصير إلى بسئ المصير! إنه يبخل بالمال فى الدنيا، ولكنه يتمنى  
لو أن له ملء الأرض ذهباً و فضه يفتدى به نفسه يوم القيامة، « وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ  
مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يُدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ\* وَ يُدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ » (١) نعم. هناك تبدد ظنونهم و أمانيهم التى لا تغنى من الحق شيئاً. و هب أنهم كان لهم ما فى الأرض و مثلهم و أرادوا  
فدو أنفسهم فإنه لا يقبل منهم، و يأتيهم النداء بأن الدنيا هى دار العمل و لم تعملوا.

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوْا كُمْ النَّارُ فى مقابل الجنه التى يفوز بها المؤمنون و المؤمنات. و مفارقه أخرى  
أن ولى المؤمنين هو الله و الأنبياء و الأولياء و الصالحين الذين يتقدمون بهم إلى الجنه نورا يسعى بين

ص: ٤٩

أيديهم، أمّا المنافقون فلا يجدون ولياً ولا نصيراً ولا مأوى إلا النار، وحيث يبحثون عن أوليائهم الذين اتبعوهم في الدنيا من الظلمة و الشياطين فيأتيهم الجواب:

هِيَ مَوْلَاكُمْ إِنَّهُمْ رَفَضُوا دَعْوَةَ اللَّهِ «آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»، إِذْ نَافَقُوا بِدَلِّ الْإِيمَانِ، وَاتَّبَعُوا الْقِيَادَاتِ الضَّالَّةَ بِدَلِّ الطَّاعَةِ لِلرَّسُولِ، وَحَيْثُ يُقَالُ أَنَّ النَّارَ هِيَ مَوْلَاكُمْ يَعْلَمُونَ عَيْنَ الْيَقِينِ بِأَنَّهُمْ إِذْ تَوَلَّوْا الظَّالِمِينَ إِنَّمَا تَوَلَّوْا النَّارَ.

وَ بِنَسِّ الْمَصِيرِ وَ هَذَا الْمَقْطَعِ يُقَابِلُ قَوْلَهُ تَعَالَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ أَيُّ مَصِيرٍ أَسْوَأَ مِنْ ظَلَمَاتِ الْقِيَامَةِ، وَ عَذَابِ النَّارِ، وَ سَخَطِ الرَّبِّ؟! وَ هَذَا الْأَخِيرُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَصِيرُ غَرَضًا لِعُضْبِ اللَّهِ، وَ بَعِيدًا عَنْهُ، وَ

فِي الدَّعَاءِ :

«فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَ سَيِّدِي وَ مَوْلَايَ صَبْرَتَ عَلَى عَذَابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ، وَ هَبْنِي صَبْرَتَ عَلَى حَرِّ نَارِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى كِرَامَتِكَ.. وَ لِأَبْكِينَ عَلَيْكَ بَكَاءَ الْفَاقِدِينَ، وَ لِأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

وَ مَا دَامَتِ الْفِدْيَةُ لَا تُوْخَذُ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلتَقَدِّمَهَا الْآنَ، وَ نَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ صِيحَ بِهِمْ فَاتَّبَعُوا وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَّلُوا، وَ

«صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً، وَ أَعْقَبْتَهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تَجَارَهُ مَرْبِحَةً يَسِّرُهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَرِيدُواهَا، وَ أَسْرَتَهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا» (٢) بَيْنَمَا أَرَادَ الْمُنَافِقُونَ الدُّنْيَا، وَ بَقُوا فِي أَسْرِهَا حَتَّى الْآخِرِ.

ص: ٥٠

١-١) دعاء كميل للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام

٢-٢) نهج/خ ١٩٣ ص ٣٠٤

إِنَّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَاللَّسُّوْلَ إِذْ قَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلَّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرِسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكِ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١) و المتدبر يكتشف العلاقة الوثيقه فى العبارات و المعنى بين هذه الآيات و آيات هذا الدرس من سوره الحديد.

ص: ٥١

١-١ (١) الصف ١٠-١٢

إشاره

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اِغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِي الْأَرْضَ بَعِيدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اِغْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ لِبَآئِهِ ثُمَّ يَهِيجُ فَنَرَاهُ مُضِيِّمًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)

اللغه

١٦[الأمدة]: الوقت الممتد و هو المدة أى الزمان.

٢٢]نبرأها]:أى نطرها و نلقلها.

٢٣]أأوا]:أأزنوا.

ص:٥٣



هدى من الآيات:

إذا كان المنافقون يتورطون في الضلال و الانحراف الذى يستمرّ معهم حتى النهايه، بسبب نفاقهم و نفوسهم المريضه، فإذا بهم يفتنونها، و يتربصون، و يرتابون، و تغرهم الأمانى، و يتسلط عليهم الشيطان، فيصيرون، إلى بس المصير، فإن المؤمنين فى خطر آخر متمثل فى قسوه القلب بسبب طول الأمد حيث يفقدون جذوه الإيمان ثم ينتهى بهم شيئاً فشيئاً إلى تحوّل خطير يلخصه القرآن بكلمه (الفسوق)، أى الانحراف عن الطريق السليم، و بسبب الفسق و الخروج عن إطار القيم الربانيه و التعاليم القرآنيه فإنّ الدنيا تترين فى أعينهم فيتخذونها لعبا و لهوا و تفاخرا و زينه و تكاثرا فى الأموال و الأولاد، بدل أن يجعلوها ميدانا للتسابق إلى الخير، و يستبدلونها بالآخره بدل أن يجعلوها مزرعه للمستقبل، و إذا أصابت أحدهم مصيبه أكدت عنده اليأس و الأسف، و إذا أوتى خيرا و نعمه تشبث بالدنيا بصوره

و نتیجه لعاملی الیأس و حبّ الدنیا تجده یبخل بالإنفاق فی سبیل الله، لاعتقاده بأنّه لا یغیر شیئا أو یضّرّ بدنیاہ، و لا یکتفی بذلك بل یتسافل درکا آخر إلى الحضيض بمحاربتہ الإنفاق، و دعوتہ الآخرین للبخل، و هكذا ینتہی الیأس إلى الفسوق و التولّی عن الحق، و یحدث انقلابا خطیرا و جذریا فی حیاہ الإنسان، من الإیمان إلى التولّی، كما حدث لأهل الكتاب، الذین بدأوا بحرکة إلهیه یتزعمها الأنبیاء من أولى العزم و غیرهم، و إیمان صادق مخلص، ثم انتهوا لئما طال علیهم الأمد و نخر فیهم الیأس إلى حرکة و زعامه فاسقه، و أهداف خبیثه كمحاربه المؤمنین، و استغلال الشعوب و ظلمهم، و نحن نرى الآن کیف أنّ زعامه النصرانیة (الفاتیکان) و زعامه اليهودیه (الکنیست) یخطّطون جنبا إلى جنب المؤسسات الاستکباریه للقضاء علی الإسلام، الذی كانوا ینتظرونه یوما من الأیام علی أحرّ من الجمر، و لظلم البشریة التی جاءت كتب التوراه و الزبور و الإنجیل لهدايتها و سعادتها، و الإمام الصادق علیه السلام یشیر إلى ذلك الانحراف فی روایه سوف نأتی علیها فی البینات.

### بینات من الآیات:

#### إشارة

[١٧-١٦] كما الشجره إن سقاها و راعاها صاحبها نمت و أثمرت، و إن ترکها ذبلت و بیست، كذلك الإیمان إذا حافظ الإنسان علی عوامله تعمق و تجذر و نمى و أثمر، و إلا- خبأ ضوءه و صار إلى النقصان، و ذکر الله و رسالته هما وسیله نموّ الإیمان فی النفس، إذا تساقطت عنها الحجب و خشعت، أما إذا قست و تکلّست لا تنتفع بالذكر، كما لا تنتفع الشجره الیابسہ بالماء الفرات، و لذلك یحذّر الله المؤمنین من قسوه القلب، و يعاتبهم علی عدم خشوعهم لذكره و للحق، فیقول:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِتَذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ، فَجَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ يَعَاتِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقِيلَ: كَانَتْ الصَّحَابَةُ بِمَكَهَ مُجَدِّبِينَ فَلَمَّا هَاجَرُوا وَأَصَابُوا الرِّيفَ وَالنَّعْمَةَ فَتَغَيَّرُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، فَفَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَزِدَادُوا الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ وَالْإِخْلَاصَ، فِي طَوْلِ صَحْبِهِ الْكِتَابِ (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ). وَمَعَ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِلَّا أَنَّهَا تَلْتَقِي فِي نَقْطَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ أَنَّ الْآيَةَ جَاءَتْ تَعَالَجُ تَحْوَلًا سَلْبِيًّا فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا يَظْهَرُ عَنَّا اللَّهُ مِنْ خِلَالِ وَحْيِهِ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ وَتَوْجِيهِ حَرَكَتِهِ نَحْوَ الْحَقِّ وَالْأَهْدَافِ السَّامِيَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَبْدَأُ الْعِلَاجَ مِنَ الظَّوَاهِرِ، إِنَّمَا يُوَجِّهُ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى جَذُورِ الْمَشْكِلَةِ، أَلَا - وَهِيَ الْقُلُوبُ الَّتِي تَغَيَّرَ مَوْقِفُهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمِنْ تَطْبِيقِ الرَّسَالَةِ. لَقَدْ كَانُوا فِي الْبَدَأِ أُمَّةً مُؤْمِنَةً حَقًّا بِرُكْحَةِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَكَانُوا مُلْتَزِمِينَ غَايَةَ الْإِلْتِمَازِ بِالْحَقِّ، يَتَسَابَقُونَ إِلَى تَطْبِيقِ الرَّسَالَةِ، وَيَسْلَمُونَ لِمَا فِيهَا تَسْلِيمًا، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ بَدَأَ الْخُشُوعُ يَنْحَسِرُ عَنِ قُلُوبِهِمْ، كَمَا صَارُوا يَتَبَاطِئُونَ فِي تَطْبِيقِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ، وَيَتَخَلَّصُونَ عَنِ دَعْوَةِ قِيَادَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِنْفَاقِ، وَهَذَا لَا رَيْبَ إِنْ لَمْ يَبَادِرُوا إِلَى عِلَاجِهِ سَوْفَ يَخْرِجُهُمْ مِنْ دَائِرَةِ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْ لَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (١)!! فَمَاذَا إِذَا لَا تُوَجَّلُ قُلُوبُهُمْ، وَلَا يَزِدَادُونَ إِيمَانًا، وَلَا يَنْفِقُونَ؟! الْإِشْكَالُ لَيْسَ

ص: ٥٤

فى قله ذكر الله، و لا فى قله الآيات، و لا فى عدم وجود الواعظ، فهذا الرسول يصيح فيهم: آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا و يدعوهم للإيمان و الآيات بيّنه مستفيضه متواصله ينزلها الله على عبده ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكن الإشكال فى قلوبهم المريضة.

و لنا أن نعرف كم ينبغى أن يكون القلب مريضا و قاسيا حتى لا يتأثر بالقرآن إذا تدبرنا فى قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١)، فلم لا يحرض القرآن المؤمن على الخشوع، و الخشوع هو الذى يجعل الإنسان مستعدا للتسليم إلى الحق نفسيا، و تطبيقه عمليا فى الواقع؟ و تأكيد القرآن على أن ما نزل حق يهدينا إلى أن قسوه القلب تورط الإنسان فى الباطل، و هناك علاقة متينه بين ذكر الله و بين رسالته النازله من عنده، لأن الله تعالى يتجلى فى كتابه.

و فى الشطر الثانى من الآيه يلفتنا القرآن إلى تجربه أهل الكتاب لتتعظ بتجارب الأمم الأخرى. إنهم كما الأمم الإسلاميه أوتوا كتابا من عند الله، أنقذهم من الطغاه كفرعون، و أخرجهم من الظلمات إلى نور الإيمان و العلم، و لكنهم ابتلوا بقسوه القلب فما ذا كانت عاقبتهم؟ و لا يكونوا كالدّين أوتوا الكتاب من قبل و كان ينبغى أن يطبقوا ما فيه حتى يصلوا إلى أهدافهم و سعادتهم، و لكنهم كانوا لا يريدون تحمّل المسؤليه فراحوا يلتفون على آياته، و يتخلفون عن تطبيقها،

ص: ٥٧

لأنهم يريدون إيمانا بلا تكلفه و تضحيه، و مجدا بلا مشقه و سعى، فعلموه أمانى كما قال تعالى: **وَ مِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (١)**، و بدل أن تكون الرساله قائدهم و إمامهم يكتفون أنفسهم و فقها، أصبحوا يفرضون شهواتهم عليها، و يحرفون الكلم عن مواضعه، و ربما عادت بينهم كتابا مألوفاً، و جزء من التراث، فوقفوا عند حروفه و كلماته دون العمل به.

و لأنهم فعلوا ذلك ما عاد الكتاب ينفعهم فتبدل إيمانهم به إلى الشك فيه، و ارتابوا فى بشائره و وعوده، و الحق الذى اشتمل عليه، و حيث تعاقبت الأجيال الواحد تلو الآخر و هم ينتظرون شيئا من ذلك يتحقق دون جدوى- لأنهم اتخذوه أمانى و لم يسعوا إلى تطبيقه- انتهت فى نفوسهم جذوه الإيمان، بالذات و أن كل جيل يأتى يورث سلبياته الذى بعده.

**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ** لقد ابتعدوا عن الدين كل جيل بمسافه بعده عن جيل الرواد الأوائل، الذين آمنوا بالكتاب حق الإيمان، و طبّقوا ما فيه كما أراد الله، و لأنهم نبذوا الكتاب الذى به حياه القلوب ذهب خشوعهم، و

قد جاء فى الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام :

لم يزل بنو إسماعيل و لاه البيت، و يقيمون للناس حجتهم و أمر دينهم، يتوارثونه كابر عن كابر (عظيما عن عظيم) حتى كان زمن عدنان ابن أدد « **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَفَسَسَتْ قُلُوبُهُمْ** » و فسدوا، و أحدثوا فى دينهم، و أخرج بعضهم بعضا **(٢)** و إذا صحت الروايات و التفاسير التى تقول بأنّ الأمد طال على المؤمنين من أهل الكتاب فى انتظار الرسول صلى الله عليه و آله الذى ينصرهم على أعداء الله، و يخلصهم من الضلال و العذاب، فإننا نهتدى إلى أحد أسباب قسوه القلب بعد طول

ص: ٥٨

١- (١) البقره ٧٨/

٢- (٢) نور الثقلين / ج ٥٤ ص ٢٤٢

الأمد هو اليأس من روح الله، والشك في وعد الله الذى لا يخلف! وهذه المشكله يمكن أن تتورط فيها الكثير من الحركات الإسلاميه، خصوصا تلك التى تناضل من خارج الوطن، حيث يخشى أن تتناقص فيها تلك الحيويه و الفاعليه التى كانت لديها عند انطلاقها، وقد يصاب بعضهم بالاسترخاء نتيجة الرضا ببعض المكاسب الأوليه التى يحصلون عليها، فإذا بالدنيا تحلو فى أعينهم فيخلدون إلى أرض الخفض و الدّعه، و يرفضون خشونه الجهاد و عنف المواجهه و يبدءون مسيرته التبرير، و يرفعون شعار المعاذير و يحرفون الكلم عن مواضعه، كما حدث لقوم موسى عليه السلام « إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَهُ «فراحوا يجادلونه و تباطأوا فى تطبيق قراراته فَذَبَّحُوهَا وَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١)»، و مرّه أخرى حينما دعاهم إلى اقتحام بيت المقدس: قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ.. قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَذَهَبَ أَنْتَ وَ رَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢).

فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ لماذا كان طول الأمد سببا لقسوه القلب؟ لعلّ فى الآيه إشاره إلى قانون الدورات الحضاريه الذى ذهب إليه كثير من فلاسفه التاريخ فقالوا: كما الإنسان الفرد يمر بمراحل الصبا فالشباب و الكهوله ثم الشيخوخه و الهرم، كذلك المجتمع الإنسانى يمر بذات المراحل، فأيام شبابه تكون عند ما تبعث فيه فكره خلاقه فتفجّر طاقاته، و لكن مع مرور الزمن يغفلون الفكره الحضاريه التى آمنوا بها بسلبياتهم و شهواتهم، و يفقدون روح التحدى و التضحيه،

ص: ٥٩

١- (١) البقره ٦٧-٧١

٢- (٢) المائده ٢١-٢٤

و يصيرون إلى ما يشبه حاله الشيخوخه، و ربما نستوحى هذه الفكره من قوله سبحانه: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ».

و هكذا أشارت الآيه إلى هذا القانون الطبيعي لكى نتحداه، و لا ندع طول الأمد يسبب فينا قسوه القلب.

ثم إن فلاسفه التاريخ قسموا الأجيال فى كل حضاره إلى ثلاثه: جيل البناء، و جيل الرعاه، و الجيل الذى يليهما و الذى تتوقف الحضاره عندهم عن التطور و الإبداع. و لكنّ الفضل بين الأجيال الثلاثه ليس فصلا دائما، إذ قد تتعايش فى برهه زمنيه واحده نماذج من هذه الأجيال جميعا، فتجد طبقه من الناس لا يزالون فى حاله الزيادة و هم الذين قد تمكنت الفكره الحضاريه من أنفسهم، بينما تجد فى ذات الوقت طبقه من الناس منافقين يبحثون عن مصالحهم و يحرفون الكتاب بما يتلاءم و شهواتهم، و تجد آخرين ممن يعيش حاله الوسطى بين الحالتين.

بلى. إنّ الأغلّب هو تلاحق هذه الأجيال، إلاّ أن قدره الإنسان على تحدى الظروف المعاكسه، و اغراءات الدعه و الرخاء تعطى الناصحين فرصه إصلاح الناس، و مقاومه عوامل الانحراف! فقد ينبعث فى الجيل الثالث فى المسلمين و ما بعده مصلح كبير يفسر القرآن بما ينسجم و تحديات عصرهم، و يعيد إليهم نضارته و طراوته و صفاءه بعيدا عن زيف التحريفيين، و تأويل المعذرين، و لعله إلى ذلك تشير الأحاديث التى تؤكد على ظهور مجدد للدين على رأس كل قرن من الهجره النبويه الشريفه.

و الآيه الكريمه التى نفسرها لا- تستصدر حكما قطعيا واحدا على كل أهل الكتاب، إنّما تفرق فيهم بين جيل و جيل، فهناك المؤمنون حقا كما يؤكد القرآن

ذلك في مواضع منه، مثل قوله تعالى في نهايه السوره «فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ» (١) وهناك المترمتون الذين صعبوا الدين و تصوفوا، و من بينهم من قست قلوبهم، الذين يشكلون الأكتريه الساحقه فيهم! وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ إلى هنا يكون القرآن قد حذر المؤمنين من مرض القسوه الذى قد يتورطون فيه، كما بين لهم عواقبه السيئه من خلال الإشاره الى سيره أهل الكتاب، أما الآن فالسياق بآياته يشرع بمعالجه المشكله الى جنب بيان أسبابها.

المؤمنون الذين خاطبتهم الآيه السابقه لم ينحرفوا انحرافا كليا كأكثر أهل الكتاب، و انما سلبوا الخشوع، فقست قلوبهم قليلا، و دب فيهم اليأس من إصلاح أنفسهم فأخذ القرآن يعطيهم الثقه بربهم.

إِعْلَمُوا ربما ابتداء بالعلم لأن الخشيه ميراث العلم، أو لم يقل تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (٢)؟ و السؤال: ما هي تلك الحقيقه الكفيله بزراع الأمل فى نفوس المؤمنين و إنقاذهم من اليأس؟ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا أ رأيت كيف تنبسط على الصعيد حله خضراء بعد ان كانت الأرض هامده

ص: ٦١

١-١) الحديد ٢٧/

٢-٢) فاطر ٢٨/



كأنها مقبره مهجوره؟ انظر الى الحياه التى تدب فيها، و تفكر فى قدره الله، أليس الذى أحيها بقادر على ان يحيى ميت القلوب؟ فما ذا اليأس بلى. قد تحيط بالمؤمنين ألوان المشاكل، فتمسهم البأساء و الضراء، و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و يزلزلون، و ربما استطال اليأس بسبب ذلك حتى على نفوس المخلصين « حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ » (١)؟! و لكن ليعلموا أن انتصارهم حتميه فرضها الله كما فرض كتابه عليهم « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ » (٢)، نعم. قد يتأخر لحكمه يعلمها الله (كتصفيه قلوب المؤمنين من أدرانها، و لكى يكون النصر أكبر و أشمل و أنفع)، فلا ينبغي للمؤمنين المجاهد ان يقنط و ييأس لان اليأس من العوامل الرئيسيه و الخطيره التى تجمد الطاقات، و تكبل الإنسان عن السعى، لأنه معه لا- يرى فائده من التحرك، فلما ذا يسعى نحو السراب؟! و الحركة الناجحه هى التى تجنب أفرادها السقوط فى أشراكه، و تبادر الى علاج حالاته و ظواهره كلما بدت، بإعطاء المزيد من الأمل فى الله، و الثقة به، و التوكل عليه.

و لهذه الآيه الكريمة تأويل يتصل بحياه الأرض المعنويه التى تعنى اشاعه العدل و السلام فى ربوع البلاد! و معلوم انّ الله لا يحييها- حسب هذا المعنى- كما يحييها بالمعنى الاول بالمطر، بل بأيدي الصالحين من عباده، و لكنّ السؤال بماذا يحيى الله الأرض؟ إنّه لن يبعث ملائكته الشداد الغلاظ ليقوضوا الانظمه الفاسده، أو يطهروا الأرض من دنسها و رجسها، انما سيحييها وفق سننه التى فطر الوجود عليها، سيحييها بأهلها من المؤمنين المجاهدين، و القيادات الصالحه، الذين يتصدون للجهاد فى سبيل اقامه حكومه الحق و العدل على ربوع المعموره،

قال الامام

ص: ٦٢

١- (١) البقره ٢١٤/

٢- (٢) القصص ٨٥/

الباقر عليه السلام: «يحيى الله تعالى بالقائم (الأرض) بعد موتها، يعنى بموتها كفر أهلها، و الكافر ميت» (١). و

قال الامام الحسين عليه السلام: «منا اثني عشر مهديا أولهم أمير المؤمنين على ابن ابي طالب، و آخرهم التاسع من ولدى، هو القائم بالحق، به يحيى الله الأرض بعد موتها، و يظهر به الدين الحق على الدين كله و لو كره المشركون» (٢).

و هذا الوعد الالهى لا- يعنى ان نحيل المسافه بيننا و بينه ساحة للتقاعس و الامنيات الزائفه، فقامه العدل ليست من مسئوليات القائم عليه السلام وحده، انما هى تكليف كل مسلم بنص القرآن: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ (٣) و نصوص اخرى كثيره، و إذا كان هذا التأكيد على الامام قد كثر و تواتر فى تأويل هذه الآيه، فهو من باب التأكيد على الأحياء الأعظم، و الا فإصلاح الإنسان لنفسه و مجتمعه احياء أيضا كائنا من كان، بل ان تحقق الوعد الالهى بظهور القائم الذى يملأ الأرض عدلا و قسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا بإجماع المسلمين و كل المذاهب و الأديان مرهون بنا بقدر ما، لان ربنا سبحانه و تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، و لأنه جاء فى بعض النصوص انه عليه السلام لا يظهر الا بعد اكتمال أصحابه الذين هم بعدد أصحاب النبى يوم بدر (٣١٣) فردا و الله العالم.

و هب ان الحجج عليه السلام ظهر بيننا فانه سوف يقاتل بنا، و لهذا يأتى أمر الله و تأكيده على ضروره العلم بهذه الحقيقه، لان العلم يقود الى العمل و السعى، اما الامنيات فانها تكرر السلبه عند الإنسان، و تشل طاقاته العمليه، إذ لا تثير فيه

ص: ٦٣

١- ١) نور الثقلين / ج ٥ ص ٢٤٢

٢- ٢) المصدر / ص ٢٣٤

٣- ٣) التوبه / ١٢

سوى الخيال و الظنون التى لا- تغنى من الحق شيئاً، و لعل قوله تعالى إغْلَمُوا يُقال قوله أم حَسِبْتُمْ، فهو دعوه لنبذ التمنيات و الظنون، و التمسك بالمعرفة و العلم، و إذا كنا نريد التأكيد من هذه الحقيقه فنعرف كيف يحيى الله الأرض بعد موتها، فما علينا الا الرجوع بنظره موضوعيه شامله الى آياته و رسالته. من هنا يؤكد الحق تعالى بقوله:

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنِ الْعُودِ إِلَى الْآيَاتِ الشَّاهِدَةِ عَلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، سِوَاءِ الْمُتَجَلِّهِ فِي التَّارِيخِ، أَوْ فِي الْقُرْآنِ كَفَيْلِ بَانَ يَعِيدُ لِلْمُؤْمِنِينَ الثَّقَةَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَ يَصِيرُهَا عِلْمًا ثَابِتًا تَسْتَوْعِبُهُ عُقُولُهُمْ، مَعَ كَوْنِهَا عَظِيمَةً وَ كَبِيرَةً يَصْعَبُ عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ التَّسْلِيمَ لَهَا.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ حيث من أهم اهداف القرآن هو تبصير الإنسان و استثارة عقله. و توجيه الله لنا إلى آياته فور تأكيده على انه يحيى الأرض بعد موتها، يهدينا الى ان الآيات هي المنهج السليم الذى ينبغى للإنسان الانطلاق منه فى الإصلاح، سواء إصلاح القلب الذى يموت بالقسوه، أو إصلاح الأرض و المجتمع اللذان يفسدان بالجور و الظلم، كما يهدينا الى ان عدم خشوع قلوب المؤمنين و تعرضهم شيئاً فشيئاً للقسوه ناجم عن ابتعادهم عن القرآن، كما قست قلوب أهل الكتاب، و فسقوا بنبذ الكتاب وراء ظهورهم و لا سبيل لهم لعلاج هذه المشكله المستفحله إلا بالعوده الى آياته، التى تخرج من الظلمات الى النور، و قبل ان نمضى الى تفسير الايه اللاحقه هناك ثلاث ملاحظات حول الآيتين:

الاولى: ان اليأس من التغيير قد ينطلق من زاويه محدوده فى تفكير الإنسان

المؤمن (فرداً، و حركه، و أمه) و هي أنه يقيس المسافه بينه و بين التغيير، و ينظر إليها من خلال قدراته و إرادته الذاتيه، فيرى الأعداء أكثر منه عدداً و عدده و خبره، فيستنتج انه لا يمكنه تحقيق الانتصار عليهم بامكانياته المحدوده، الأمر الذى يزرع اليأس و الهزيمة فى نفسه، و ربما يقوده الى التراجع عن المسيره و الاستسلام للواقع عملياً، و هذا خطأ خطير يجب علاجه بالتوكل على الله، و الثقه بنصره، و أنه يحيى الأرض بعد موتها، و ينصر من يتحركون الى هذا الهدف بإرادته المطلقه التى لا يعجزها شىء.

الثانيه: ان الأرض بمن عليها و بما فيها تصبح ميتة فى ظل حكومات الجور، فهى تميت قلوب الناس بالتضليل، و لا تبقى لأحد منهم حرمه فى ماله، و عرضه، و لا- دمه، و إذا تَوَلَّى سَعِىٌّ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (١). ثم إنها توجه طاقات الشعوب فى دمارها، و تشعل الحروب لاطماعها الرخيصة، ثم تدفع الناس ضحايا و قرابين من أجلها، و لنا ان نتصور أحد معانى الموت فى ظلها بنظره خاطفه الى النظام الاستكبارى الذى يحكم العالم اليوم، و الى ترسانات الاسلحه المدمره، التى تكفى لتدمير الأرض أكثر من (٢٠٠) مره، و هى تزرع الآن الخوف فى كل العالم، كما تمتص ثروات الناس، و تمنعهم من الانتفاع بها فى سبيل تقدمهم و رفاههم! ثم ان مقياس الحياه و بالذات عند المؤمن ليس القيام بالوظائف الماديه الضروريه كالأكل و الشرب و التنفس و الحركه و.. إنما مقياسها على ضوء الاهداف و القيم الانسانيه و الالهيه، و ما هى قيمه الإنسان إذا جرد من حريته و كرامته؟! لا ريب ان الموت أهون عليه من الحياه بدونها، و لذلك

قال الامام الحسين عليه السلام :

إنى لا ارى الموت الا سعادته، و الحياه مع الظالمين الا برما، و

قال الامام

ص: ٦٥

على عليه السلام لأصحابه بصفين: «فالموت فى حياتكم مقهورين، و الحياه فى موتكم قاهرين» (١).

و

حينما يسأل الامام الصادق عليه السلام عن معنى الحياه بعد الموت فى الآيه يقول:

العدل بعد الجور (٢).

الثالثه: و الى جانب هذا التفسير السياسى الجاد للآيتين نجد هناك تطبيقات اخرى يتسع لها المعنى، من بينها ان القلوب تموت بالضلال و الانحراف، و لكن ليس من الصحيح ان ييأس الإنسان من التغيير و قبول ربّه التوبه، فهو واسع المغفره، إذن فلا يقنط من رحمته، فقلبه يمكن ان تعود اليه الحياه مره أخرى، لو تراجع عن خطئه، و بدأ مسيره الثوره على الذات بالتوبه و العمل بما يوافق رساله الله و آياته، و قد تناقل المفسرون ان الفضل بن يسار أحد مصاديقهما، حيث كان ضالا يقطع الطريق و قد تواعد مع جاريه، فلما أتاها من جهه الجدار متسلقا سسمع تاليا يتلوها فنزل من على الجدار و هو يقول بلى قد آن، بلى قد آن.. فتاب من ذنوبه و تحول من قاطع طريق الى مؤمن زاهد.

و كلمه أخيره:

لننظر الى الأرض القاحله التى لا- زرع و لا ضرع فيها، كيف يجعلها الله واحه خضراء بالغيث؟! العلنا نعرف المسافه الشاسعه بين الحياه و الموت، التى تشبه المسافه بين العدم و الوجود، فنزداد بهذه المعرفه ثقه بربنا العظيم و توكلا عليه لان هذه الظاهره تتجلى فيها قدرته و سائر أسمائه الحسنى، و رحمته المطلقه الكفيله بنصرنا و إيصالنا الى اهدافنا، فلا داعى اذن لليأس و القنوط، و لتفكر فى عظمه القرآن

ص: ٦٦

١- ١) نهج/ج ٥١ ص ٨٨

٢- ٢) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٤٣

الذى تغير ايه واحده منه حياه إنسان أمتهن الجريمه،الى حياه حافله بالتقوى و الكرامه!انه حقا أهل ان يأخذ بأيدينا الى العلاج و السعاده و النصر،لو رجعنا اليه،و تفكرنا فى آياته،و عملنا بمضامينها.سوف يحيل ذلنا عزه،و هزيمتنا نصرا، و قسوتنا خشوعا،و تخلفنا تقدما و حضاره،و بكلمه سوف يحول موتنا حياه.

[١٨]و يعود القرآن بعد ان حذر المؤمنين من عاقبه النفاق يوم القيامه،و من مصير أهل الكتاب فى الدنيا ليؤكد اهميه الإنفاق و معطاته ليتصل بما تقدم فى الآيات(١١،١٠،٧)و ليكون طريقا لتطهير القلب و خشوعه كما قال ربنا:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا (١)و لتتخذ مقياسا للايمان، فمتى ما تصدق المؤمنون و أنفقوا دل ذلك على صدقهم،ثم فاعليتهم بعد الجمود بسبب الانصراف إلى الدنيا،و الذى ينتهى إلى قسوه القلب.

و بما أن الآيتين السابقتين جاءتا لتنتشلا بعض المؤمنين من هذا الدرك الذى يتوسط المؤمنين الصادقين،و درك المنافقين،قبل أن يتسافلوا إلى الفسوق،حيث درك المنافقين الذين بخلوا بأموالهم،و لم ينفقوا فى سبيل الله،قال تعالى:

وَ يُقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢)،حيث كان أحدهم يعاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ وَ لنكوننَّ من الصالحين\* فلما آتاهم من فضله بخلوا به وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ\* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٣)،فكان من الطبيعى إذا أن يلحق الله بتلكما الآيتين دعوه إلى الإنفاق فى سبيله:

ص:٦٧

١- (١) التوبه ١٠٣/

٢- (٢) التوبه ٦٧/

٣- (٣) المصدر ٧٥-٧٧

إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَالصَّدَقَةَ هِيَ مَا يَصَدَّقُ بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ، فَلِأَنَّهُ الَّذِي أَمَرَ وَوَعَدَ بِالثَّوَابِ يَنْبَغُ إِلَى الْإِنْفَاقِ، وَسَمِّيَتْ الصَّدَقَةُ صَدَقَةً لِأَنَّهَا تَثْبِتُ صَدَقَ الْإِيمَانِ بِالْعَمَلِ وَتَثْبِتُهُ، وَلَا تَنْحَصِرُ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ الْمُسْتَحَبِّ وَالْفَرْضِ، إِنَّمَا تَشْمَلُ كُلَّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرَ السِّيَاقِ كَمَا الْكَلِمَةُ يَدُلُّانِ عَلَى بَذْلِ الْمَالِ، وَ

فِي الْحَدِيثِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ إِلَى غَنِيِّ أَوْ فَقِيرٍ» (١) وَ

قَالَ: إِمَاطَتُكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَنَهَيْكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَرَدُّكَ السَّلَامَ صَدَقَةٌ (٢) وَ مِنْ ذَلِكَ الْعَامِ يَخْصُ اللَّهُ الْقَرْضَ بِالذِّكْرِ، وَإِذَا كَانَ لِلْقَرْضِ الْاجْتِمَاعِيُّ الَّذِي يَسْتَهْدَفُ رَفْعَ حَاجَاتِ النَّاسِ مِمِّزُهُ عَلَى سَائِرِ الْإِنْفَاقِ، فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ فِي الْجِهَادِ أَرْفَعُ دَرَجَةً وَأَسْمَى، حَيْثُ يَبْدُو أَنَّ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْإِنْفَاقِ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ فِي الْقُرْآنِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ، حَيْثُ أَنَّهُ قَبْلَ الْفَتْحِ يَسْتَهْدَفُ إِقَامَةَ حُكْمِ اللَّهِ، بَيْنَمَا يَسْتَهْدَفُ الْإِنْفَاقُ بَعْدَهُ بِنَاءَ الْمَجْتَمَعِ.

□  
وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا قَالَ بَعْضُهُمْ: أَيْ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ تَعَالَى قَرْضًا حَسَنًا بِالصَّدَقَةِ وَ النِّفْقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، (وَ) عَنِ الْحَسَنِ: «أَيُّ كُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْقَرْضِ الْحَسَنِ فَهُوَ التَّطَوُّعُ»، (وَ) قِيلَ أَيْ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنَ الصَّدَقَةِ وَ غَيْرِهَا مُحْتَسِبًا صَادِقًا، (وَ) قِيلَ أَيْ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ، وَ تَحْطِيمِ أَرْكَانِ الْبَاطِلِ (ثُمَّ أَضَافَ) أَقُولُ: وَ الْأَخِيرُ هُوَ الْأَظْهَرُ، وَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمَفْسَرِينَ (٣) وَ بَضْمِيمُهُ الرِّوَايَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي مَعْنَى الْقَرْضِ الْوَارِدِ فِي الْآيَةِ (١١) الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ الْكَلَامِ عَنِ الْإِنْفَاقِ

ص: ٦٨

١-١) بح/ج ٩٦ ص ١٢٢

٢-٢) بح/ج ٧٥ ص ٥٠

٣-٣) تفسير البصائر/ج ٤٤ ص ٩٧

و القتال و الفتح يتأكد هذا المعنى.

يُضَاعَفُ لَهُمْ بَرَكَةٌ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ لِأَنَّ التَّكَاثُلَ الاجْتِمَاعِيَّ يَدُورُ الثَّرْوَةُ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى بِنَاءِ الْمَجْتَمَعِ اِقْتِصَادِيًّا وَ حَضَارِيًّا، قَالَ تَعَالَى: وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (١)، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ حُبَّ النَّاسِ وَ احْتِرَامَهُمْ وَ دَعَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَ فِي الْآخِرَةِ الثَّوَابِ،

فَقَدْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ: «الْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَ الصَّدَقَةُ بِعِشْرَةٍ» (٢) وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ [١٩] أَمَّا الْبَابُ الْأَوْسَعُ لِلدُّخُولِ إِلَى مَقَامِ الصَّدِيقِينَ وَ الشَّهَدَاءِ فَهُوَ التَّسْلِيمُ نَفْسِيًّا وَ عَمَلِيًّا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ الْقِيَادَاتُ الرَّسَالِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَ أَسَاسُ الْإِيمَانِ وَ الْإِنْفَاقِ يَتَكَامَلَانِ، وَ يَكْمَلَانِ شَخْصِيَّةَ الْإِنْسَانِ الرَّبَانِيَّةِ، وَ لَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ، وَ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ يَأْتِي التَّلَازُمُ الْكَثِيرُ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، أَوْ بِصِيغِ تَخْتَلَفُ كَالْإِيمَانِ وَ الْجِهَادِ أَوْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَ لَعَلَّ التَّعَرُّضَ لِمَوْضُوعِ الْإِيمَانِ بَعْدَ التَّحْرِيزِ عَلَى التَّصَدَّقِ وَ الْقَرْضِ تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّهُمَا لَا يَنْفَكَانِ عَنْ بَعْضِهِمَا.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ إِيْمَانًا تَسْلِيمًا مُطْلَقًا لِلْحَقِّ وَ عَمَلًا صَالِحًا مُخْلِصًا بِمَا فِي رِسَالَتِهِ يَسْتَمِرُّ مَعَ الْإِنْسَانِ حَتَّى الْمَوْتِ، وَ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْقُقَ ذَلِكَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ لِلْقِيَادَاتِ الرَّسَالِيَّةِ أَنْبِيَاءَ

ص: ٦٩

١- (١) الروم ٣٩/

٢- (٢) نور الثقلين/ ج ٥ ص ٢٣٩



و رسلا و أئمه و من يمثل خطهم فى الحياه قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ (١)

لأنهم حجه الله، و بابه الذى يؤتى منه، و الانتماء إليهم و التسليم لقيادتهم جزء لا يتجزأ من الإيمان الحق، الذى يرفع الإنسان إلى درجه الصديقين و الشهداء، و هل يصدق الإيمان إلا تولى الأولياء و التجرد عن كل قياده سواهم؟! و هل تتم شهاده الأمه الوسط إلا بشهاده الرسول عليها؟!... لذلك عطف الله على الإيمان به الإيمان برسله قائلا:

وَ رُسُلِهِ كُلَّهُمْ لِأَن مَسِيرَتَهُمْ وَاحِدَةٌ مُتَكَامِلَةٌ، وَ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْقِيَمِ وَ بَيِّنَاتِهِ مِنَ الْعِظَمِ وَ جَسَدِهِ مِنَ السَّيْرِ الصَّالِحِ ذَخْرٌ لِلْحَضَارَةِ يَنْبَغِي لِلْبَشَرِيَّةِ وَ بِالذَّاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، وَ إِنْ كَانَتْ الطَّاعَةُ الْعَمَلِيَّةُ تَبْقَى لِلرَّسُولِ فِيمَا تَنَاسَخَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَ إِنَّمَا تَتَابَعَتِ الرَّسَالَاتُ لِتَكْمِيلِ الْمَسِيرَةِ.

و لعلّ الحكمه فى التأكيد على الإيمان بالرسول جميعا أنه حيث انتقد آئنا أهل الكتاب و بين انحرافهم كان من الممكن أن تنصرف بعض الأذهان إلى أن الطعن متوجه إلى الرسالات، فأزال السياق هذه الشبهه بالتأكيد على ضروره الإيمان بها جميعا.

و إذا ارتفع بشر إلى مستوى الإيمان المتقدم بيانه صار صديقا أو شهيدا و شملته اشاره القرآن:

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ نَقَرْنَا فِي آيَةٍ أُخْرَى وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنٌ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٢) و أى تجمع

ص: ٧٠

١-١) النساء ٥٩/

٢-٢) النساء ٦٩/

أنبل من هؤلاء و أقرب إلى الله؟ بالطبع اختلف المفسرون و القراء عند هذه الآية فوقف بعضهم عند كلمه «الصدّيقون»، و اعتبر الواو فى قوله تعالى: وَ الشُّهَدَاءُ للاستئناف فألحق «عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» بالشهداء و أوقفه عليهم، و الذى يظهر أنّه منصرف إلى الإثنين (الصدّيقون و الشهداء)، لأنّ الشهاده فى القرآن ليست منصرفه إلى القتل بالسيف و إنّما هى تنصرف لكل من وافاه أجله مؤمنا بالله و رسله متحملا لمسؤوليته الرساليه و هى بمعنى الشهود و الحضور و الميزان و التأثير.

روى العياشى عن منهال القصاب قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) أَدَعِ اللهُ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ فَقَالَ: «إِنْ الْمُؤْمِنُ شَهِيدٌ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ» (١) و

عن الحارث بن المغيرة قال: كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ: الْعَارِفُ مِنْكُمْ هَذَا الْأَمْرَ الْمُنْتَظَرُ لَهُ، الْمَحْتَسِبُ فِيهِ الْخَيْرَ، كَمَنْ جَاهَدَ وَ اللَّهُ مَعَ قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ بِسَيْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: بِلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ كَمَنْ جَاهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) بِسَيْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْثَالِثُ: بِلِ اللَّهِ كَمَنْ اسْتَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) فِي فِسْطَاطِهِ! وَ فِيكُمْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ. قُلْتُ: وَ أَيُّ آيَةٍ جَعَلْتَ فِدَاكَ؟ قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ: وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصُّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، قَالَ: صَرْتُمْ وَ اللَّهُ شَهِدَاءُ عِنْدَ رَبِّكُمْ. (٢) و

قال الصادق عليه السلام: «نزلت هذه الآية فى المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم و أموالهم» (٣).

إنّ تصديق الشهاده الحقيقيه يتجلى فى الإيمان بالله، و الطاعه للقياده الرساليه، لأنّ المهم أن يكون الإنسان فى خدمه الدين ليكون صدّيقاً أو شهيداً ثم لا يهم أين

ص: ٧١

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٤٤

٢-٢) المصدر

٣-٣) المصدر/ج ٣ ص ٥٠٣

يكون، فقد يكون دوره ضمن أجهزه الأنظمه الفاسده و مؤسساتها لأغراض تعلمها القياده كما فعل مؤمن آل فرعون و فعلت زوجته آسيه، و قد يكون مشغولا بالقراءه و التأليف، أو سائحا فى البلاد لمصلحه العمل، أو ما أشبه.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ أَمَّا الْأَجْرُ فَيُمَثِّلُ فِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَاتِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ يَتَجَلَّى فِي النِّزَامِ الْحَيَاتِيِّ الْمَتَكَامِلِ بِمَالِهِ مِنْ مَعْطِيَاتِ حَضَارِيهِ كَرِيمِهِ. وَ أَمَّا النُّورُ فَيُمَثِّلُ فِي الْآخِرَةِ بِالضِّيَاءِ الَّذِي يَفْقَدُهُ النَّاسُ فِي الْمَحْشَرِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ ذَلِكَ الْهُدَى الَّذِي يَمْشَى عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ فِي كُلِّ حَقُولِ الْحَيَاةِ.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِرِسَالِهِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى النِّزَامِ وَ الْمَنَاهِجِ لِأَبْعَادِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ، وَ بَيْنَمَا اخْتَارُوا الْأَنْظِمَةَ الْفَاسِدَةَ الَّتِي لَا يَنْتِجُ عَنْهَا إِلَّا الدَّمَارَ وَ الْإِنْحِطَاطَ وَ الْعَذَابَ، وَ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي اخْتَارُوهُ يَهْدِيهِمْ إِلَى النَّارِ.

[٢٠] وَ حَيْثُ أَنَّ حَبَّ الدُّنْيَا رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ، فَإِنَّ الْمَوْقِفَ الْخَاطِئَ تَجَاهَهَا يَسْلُبُ الْإِنْسَانَ خَشْيَةَ الْقَلْبِ، وَ يَجْرَهُ إِلَى الْفَسُوقِ، وَ لَكِنَّ الدُّنْيَا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ مَزْرَعَةَ الْإِنْسَانَ لِلْآخِرَةِ وَ فُرْصَةً الَّتِي يَحْدُدُ فِيهَا مَسْتَقْبَلَهُ الْإِبْدَى، فَلَا بَدَّ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْهَا مَوْقِفًا سَلِيمًا، وَ هَذَا مَا تَعَالَجَهُ بِقِيَمَةِ آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ الَّتِي تَبَصِّرُنَا بِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا، وَ رِسَالَةَ الْإِنْسَانِ فِيهَا، وَ مَوْقِفَ الْمُؤْمِنِ مِنْهَا.

### أولاً: ما هي حقيقة الدنيا؟

لقد اختلفت البشريه فى الإجابة على هذا السؤال الحساس الذى يراود فردا فردا

منّا إلى مذاهب عديده:قال المثاليون أنّ الدنيا لا واقع لها و ما هي إلاّ خيال، و ذهب المتصوّفه إلى أنّ الدنيا شرح محض، و أنّ الجسم سجن الروح، و بالتالي فإنّ وظيفه الإنسان في الحياه هي السعى الحثيث و المستمر لبناء الروح على حساب الجسد، و لا بد لذلك من احتقار الدنيا و تجنب ما فيها لأنّها تغذى شهوات النفس المنبعثه من حاجات الجسم، الأمر الذي يشد الروح إلى التسافل، و يمنعها من التسامى في آفاق الملكوت المعنوى، أو الوصول إلى رضوان الله و الجنه، و قال المادّيون أنّ الدنيا وجدت بالصدفه فليس بعدها من حياه و لا -مسئوليه، انطلاقا من الكفر بالغيب، و عليه فإنّ السعيد فيها من أطلق لنفسه العنان يتلذذ من نعيمها ما يشاء، و على هذا المذهب أكثر البشريه، و بالذات إذا اعتبرنا الموقف العملي في الحياه هو المقياس.

أمّا الرسالات الإلهيه فهي تختلف عنهم جميعا، حيث اعتبرت الحياه الدنيا مرحله تتوسط حياه الدّر، و الحياه الآخره، و حيث كان الإنسان طاهرا و نظيفا و قد قطع على نفسه عهدا و ميثاقا«و قد أخذ ميثاقكم» بأن يسلم لربّه، فإنّه يجب عليه المحافظه على ذلك الطهر بالإيمان بالله و الاستجابه لدعوه الرسول، لينطلق نحو الآخره و يبلغ الجنه من عند الله و الرضوان.

إن الإنسان لن يبقى في الدنيا و لن تتوقف مسيرته بها، إنّما ينتقل إلى سفر طويل ينتهي به إلى مقرّه الأبدى، فعليه أن يكيّف نفسه وفق هذه الحقيقه، فلا ينسب ذلك السفر الحتمى، فيتعامل مع الدنيا و كأنها دار البقاء، و لا يدع استعداده لتلك الرحله الشاقه، فإذا جاءت ساعته و حل أجله و هجمت منيته، و

ليستمع إلى نصيحه إمامه أمير المؤمنين (عليه السلام) حين يخاطبه فيقول:«أما بعد فإنّ الدنيا أدبرت، و آذنت بوداع، و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع، ألا و إنّ اليوم المضممار، و غدا السباق، و السبقه الجنّه، و الغايه النار، أ فلا تائب من خطيئته قبل

مئيته، ألا- عامل لنفسه قبل يوم يؤسه، ألا- و إنكم فى أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل فى أيام أملة قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، و لم يضره أجله، و من قصر فى أيام أملة قبل حضور أجله فقد خسر عمله، و ضرّه أجله « (١)

### ساعات الدنيا خير من ساعات الآخرة:

- و بالرغم من أن ظاهر التعريف بالدنيا يحقرها فى نفوسنا، لكن ربنا لا يريد من هذا التعريف ان يحط من قدرها لكى ننصرف عنها انصراف المتصوفه، فهى ذات اهميه لكل إنسان، لأنها دار تقرير المصير الابدى، و

حينما يسأل الامام على (عليه السلام) أيهما أفضل ساعه من ساعات الدنيا أم ساعه من ساعات الآخرة فانه يجيب: ساعه من الدنيا خير من ساعات فى الآخرة، لأنه يربح بساعه دنيويه آلاف الساعات، و ربما اشترى بها الخلود فى الجنة كالحر بن يزيد الرياحى، الذى لم يكن بين توبته و شهادته الا لحظات، و انما أراد الله ان يبين لنا طبيعتها و طبيعه الإنسان حينما يحبها و يتخذها هدفا، دون مرضاه الله. و هذا يتضح من نهايه الايه، و علاقتها بالتى تليها حيث الدعوه الى التسابق نحو الخيرات، فهو تاره يتخذها هدفا فلا قيمه لها، انما هى متاع الغرور، و تاره اخرى يتخذها وسيله و ميدانا للتسابق الى مغفره الله و الجنة، فيسخر كل ما يملك من نعيمها لهذه الغايه، فهى عند ذلك ذات قيمه عظيمه.

إن الله يؤكد للمؤمنين- بالذات الفريق الذين ضعف ايمانهم نفسيا، فما عادوا يخشعون لذكر الله و آياته بالكيفيه اللازمه، و عمليا، فما عادوا يسلمون لاوامر القياده بالإنفاق مثلا، فصاروا على شفا جرف هار من القسوه و النفاق بسبب اليأس من الانتصار لتأخره، و بسبب الانصراف الى الدنيا بدل الآخرة- يؤكد لهم

ص: ٧٤

بأنها ليست سوى ميدانا للعب، و للهو، و الزينه، و التفاسر، و التكارث، و بالرغم من ان هذه الحقيقه ليست غائبه عن أذهان المؤمنين عموما إلا انها لم تتحول من الفكره الى وعى يهيمن على النفس، و بتعبير آخر لم تتحول العبره الى موعظه عمليه، و آنشد ما الفرق بين الذى يجهل وجود لغم فى طريقه فينفجر فيه، و بين الآخر الذى يحتمل ذلك أو يدرى به لكنه لا يحتاط؟! كلاهما ينتثران أشلاء فى الهواء، لان العلم بلا- اقدم يساوى الجهل، قال تعالى: **وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١)**، فلا شك اذن ان المؤمن الذى يلعب و يلهو فى الدنيا، و يتخذها زينه و تفاخرا و تكاثرا فى المال و الأولاد، و ييخل بالإنفاق فى سبيل الله حرصا و تشبثا بها، كمثل الذى يكفر بالآخره و ما فيها من الثواب و العقاب، و إلا لجعل الآخره هدفه، و بذل ما يستطيع من أجلها رغبه فى رضوان ربه و ثوابه، و خوفا من غضبه و عقابه، بل أصبح يتسابق- إذا- نحو الخيرات، لأنها الزاد و الثمن فيها، و ربما لذلك أمرنا القرآن بالعلم قائلا:

**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا هِنَا ثَلَاثَةٌ تَأْكِيدَات:** أحدهما الدعوه المؤكده الى العلم، و الثانى أداه التوكيد إن، و الثالث الحصر (إنما)، و حيث تتوالى هذه التأكيدات على حقيقه ما فهى مهمه و مهم ان يعلمها الإنسان، فما هى تلك الحقيقه؟ أن الحياه الدنيا لمن أرادها، لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ و اللعب هو العمل الباطل و بلا هدف معقول، قال تعالى يحدث عن

ص: ٧٥

إبراهيم عليه السلام: قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ (١)، وقال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢)، أى لا يعلمون الهدف الذى تنطوى عليه الحياه الدنيا، فتصبح بمجملها باطلا و لعبا و لهوا، كما ان تفرغ الدين من مضمونه و من قيمه و اهدافه عند البعض يجعلهم يتخذونه لهوا و لعبا، كما قال ربنا سبحانه عنهم: وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَ لَهْوًا، وَ غَرَّتْهُمْ الدُّنْيَا (٣).

و إنما نسمى مجموعه ممارسات لعبا لأنها غير هادفه (حتى بمقاييس أهل الدنيا) كذلك الدنيا لمن يمارسها لا لهدف أبعد منها تصبح لعبا، فإذا سأله لماذا تعمل؟ قال: لأأكل، و إذا أعدت عليه ذات السؤال و قلت: لماذا تأكل؟ قال: لكى أتقوى على العمل، و إذا سأله ثالثا: لماذا أساسا تعيش؟ قال هكذا جئت لأعيش و لا أعرف لماذا؟ أو لم تسمع شاعرهم قال:

جئت لا أعلم من أين و لكنى أتيت

و لقد أبصرت قدّامى طريقا فمشيت

و سألنى ما شيا إن شئت هذا أو أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري

و حينما يغرق فى ممارسته اللعب يتحول الى اللهو، حيث النسيان التام و الغفله عن الهدف، بلى. جاء الإنسان من عالم الذر الى الدنيا كمحطه يتزود منها، ثم

ص: ٧٦

١-١) الأنبياء ٥٥

٢-٢) الدخان ٣٩

٣-٣) الانعام ١٧٠

يوصل سفره الى الاخره، ولكنه حيث جاءها رأى الناس يلعبون، ورأى أدوات اللعب فشاركهم، فبالغ في لعبه، فنسى انه على سفر، وغفل عن مهمته.

و كل شيء يدعوننا الى الغفله، وينسينا أهدافنا فهو لهو،

قال الامام على عليه السلام :

«فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطه همها علفها، أو المرسله شغلها تقممها، تكثرش من أعلافيها، وتلهو عما يراد بها» (١). واستخدام القرآن لكلمه اللهو يأتي بهذا المعنى، قال تعالى: **الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ** \* **حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** (٢). وقال: **لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (٣)، وقال: **رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** (٤)، وقال:

**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** (٥)، وأكثر ما يتورط أحد في اللهو بسبب نسيان الموت و الاخره، و لذلك يأتي في نهايه الآيه تذكير بها عند قوله: «**وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ**»، و انطلاقا من هذا التعريف فان الغناء، و الرقص، و مجالس البطالين، و جمع المال، و ما أشبه مصاديق للهو.

و إذا لهي الإنسان نسي السفر، و نسي الاستعداد اليه، فاذا بك تراه يغرق في حب الدنيا، و ينصرف الى اهداف جانيه فيها (تسمى بالزينه)، طبيعتها الفساد و الزوال حتى بمقاييس الدنيا الزائله. أ رأيت الذين يصرفون الألوف من أموالهم على أمور كماله أو ديكوريه؟

ص: ٧٧

١-١) نهج كتاب ١٤٥/ ص ٤١٨

٢-٢) التكاثر ١-٢

٣-٣) المنافقون ٩/

٤-٤) النور ٣٧/

٥-٥) لقمان ١٦/





وَلَا تُطِغْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (١).

أما الذى يعتقد بالدنيا وحدها فسعيه سوف يكون من أجل إشباع الشهوات، و جمع الزينه، و ستزيده زينتها انغماسا فيها و بعدا عن الحق. و من مظاهر الاهتمام الزائد بالزينه التوجه الى القشور، على حساب اللباب. بينما المؤمن بالآخره يحس بالمسؤوليه فلا يسترسل فى اتباع شهواته، و لا يندفع فى الزينه التى تخالف مصالحه الحقيقيه.

وَ تَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَ التَّفَاخُرُ هُوَ الْآخِرُ مِمَّا يَتْلَهُ بِهَ الْإِنْسَانُ وَ يَسْتَعِضُ بِهَ عَنِ اهْدَافِهِ الْحَقِيقِيهِ، وَ إِذَا كَانَ اللَّعْبُ وَ اللَّهْوُ وَ الزَيْنَةُ تَحْكِي الْجَانِبَ الْفَرْدِيَّ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا، فَانِ التَّفَاخُرُ هُوَ الْجَانِبُ الْاجْتِمَاعِي لِذَاتِ الْحَالِهِ، وَ يَأْتِي التَّفَاخُرُ نَتِيجَةً مَبَاشِرَةً لِلْإِغْتِرَارِ بِالزَيْنَةِ إِذْ يَرَى الشَّخْصُ نَفْسَهُ كَامِلًا وَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ خِلَالِهَا، فَيُرَكِّبُ الْخِيَلَاءَ وَ الْفَخْرَ.

ثم تتحول هذه الحاله النفسيه الاجتماعيه الى فعل خارجى يمارسه المختال الفخور ليثبت عظمته على غيره من خلال التكاثر و التسابق المادى، قال تعالى:

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ... وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُجَادِرُهُ (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا) \* وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ (وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَيَدًا \* وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً (٢). انظر هكذا يتحول حب الدنيا و زينتها الى حاله نفسيه داخلية (الغرور و الظلم) فاجتماعيه (التباهى و التفاخر).

ص: ٧٩

١-١) الكهف ٢٨/

٢-٢) الكهف ٣٢-٣٥

وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ الْمَمْلُوكَاتِ مِنَ الْعَمَلَاتِ وَالْعَقَارَاتِ، وَالْمَشَارِيعِ وَ مَا أَشْبَهَ.

وَ الْأَوْلَادِ الْأَبْنَاءِ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ يَتَحَوَّلُ هَذَا التَّسَابِقُ صِرَاعًا بَيْنَ النَّاسِ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ، وَيُرَكِّزُ فِيهِمْ حُبَّ الدُّنْيَا ضَمَّنَ أَطْرَ سِيَاسِيهِ وَاجْتِمَاعِيهِ وَاِقْتِصَادِيهِ، وَ أَظْهَرَ صُورَهُ صِرَاعَ الْقُوَى الْأَسْتِكْبَارِيَّةِ وَتَسَابِقِهَا فِي نَهْبِ ثُرَاتِ الْعَالَمِ، وَاسْتِغْلَالِهِمْ فِي صَالِحِهَا، وَ السَّيْطَرَةَ عَلَيْهِمْ بِضَمِّهِمْ إِلَى نَفُوذِهَا.

تَعَالَوْا نَمَعْنَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي اسْتَحْوَذَتْ عَلَيَّ أَفْئِدَتِنَا (هَذَا اللَّعِبُ وَاللَّهُوُ، هَذِهِ الزَّيْنَةُ، وَ هَذَا التَّفَاخُرُ وَ التَّكَاثُرُ) مَا هِيَ عَاقِبَتُهَا؟ بَلْ مَا هِيَ حَقِيقَتُهَا بَلْ هَلْ لَهَا -أَسَاسًا- حَقِيقَةٌ أَمْ أَنِهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ تَرَاوَدُ النَّائِمِينَ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا، وَ عَرَفُوا أَنِهَا لَمْ تَكُنْ سِوَى سَرَابٍ بَقِيَعِهِ يَحْسِبُهُ الظَّمآنُ مَاءً، أَوْ حَفْنَةً رَمَادٍ فِي كَفِّ الْأَعْصَارِ.

وَ لَكِنِ أَنِّي لَنَا انْ نَفَكْرٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا -زَلْنَا فِي أَسْرِ سِحْرِهَا الْجَذَابِ؟! لَا تَكَادُ لِحِظُهُ تَمُرُ عَلَيْنَا إِلَّا وَ نَحْنُ فِي دَوَامِهِ أَمْنِيهِ نَسْعَى إِلَيْهَا، أَوْ فَتْنَهُ نَعِيشُ فِي لَهْبِهَا، أَوْ صِرَاعٍ نَحْتَرِقُ فِي أَتُونِهِ، وَ حَتَّى فِي النَّوْمِ تَلَاخُقْنَا كَوَائِيسُ النَّهَارِ فِي صُورِهِ أَحْلَامٍ مَزْعُجَةٍ! إِذَا كَيْفَ الْخِلَاصِ مِنْ أَغْلَالِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ لِنَفَكْرٍ بِحَرِيهِ وَ مَوْضُوعِيهِ فِي وَاقِعِنَا؟ إِنْ لِلْقُرْآنِ الْحَكِيمِ مَنَاهِجٌ شَتَّى تَسَاعَدُ عَلَيَّ التَّفَكْرَ السَّلِيمَ، وَ مَا يَشِيرُ إِلَيْهِ السِّيَاقُ هُنَا مِنْ أَبْرَزِهَا: انْ نَنْظُرُ إِلَى الطَّبِيعَةِ وَ دَوْرَاتِهَا السَّرِيعَةِ، وَ نَتَسَاءَلُ: أَلَيْسَتْ هَذِهِ

هى الدنيا؟! أو ليست حياه النبات فى دورتها السريعه شبيهه بحياه الإنسان فى دوره أبطأ قليلا و لكن بذات النسق، يقول عنها ربنا فى آيه كريمه: **وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** \* **الْمَالُ وَ النَّبُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَالِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا (١)!** و يقول ربنا فى هذه الآيه:

**كَمَثَلِ غَيْثٍ نَزَلَ عَلَى الْأَرْضِ، فَسَقَاهَا، وَ اخْتَلَطَ بِمَا فِيهَا مِنْ بَدْوٍ فَصَارَتْ نَبَاتًا.**

**أَعْجَبَ الْكُفَّارَ لِقَائِهِ** أى أدخل الى نفس الفلاح العجب و الاغترار به، كما تدخل زينه الدنيا فى نفوس الكافرين بالآخره، و لا شك ان هذه الحاله سوف تجعله يعتقد ببقائه، و يلهو عن نهايته حيث يصير حطاما، و النبات هو المزروعات الصغيره التى لا تبقى كالقمح و الذره، و يقال لها نباتا فى أطوارها الاولى حيث تشق التربه.

**ثُمَّ يَهِيْجُ وَ يَتَرَعَّرُ**، و يثمر حينما يبلغ أقصى القوه، و لكنه لا يبقى طويلا حتى تبدأ مسيرته الى النهايه.

**فَتَرَاهُ مُضْفَرًا** أول الأمر. و الملاحظ ان العطف جاء بالفاء و هى أقرب الحروف عطفًا.

ص: ٨١

ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا إِذَا أَكْمَلَ دَوْرَتَهُ الْحَيَاتِيَّةَ، إِذْ تَبْسُ وَتَتَكَسَّرُ أَوْرَاقُهُ وَاعْوَادُهُ، وَهَذِهِ بِالضَّبْطِ مَسِيرُهُ الْحَيَاةَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا، يَبْدَأُ طِفْلًا كَالنَّبَاتِ، ثُمَّ يَنْشَطُ وَيَهِيْجُ عِنْدَ الْمَرَاهِقَةِ وَالشَّبَابِ، وَلَكِنْكَ تَرَاهُ يَتَنَكَّسُ فِي الْخَلْقِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَيَفْقِدُ قُوَّتَهُ وَزَيْتَهُ لِيَصِيرَ كَهَلًا فَشَيْخًا عَجُوزًا قَدْ وَهِنَ عَظْمُهُ وَخَارَتْ قُوَّاهُ، وَلا يَطْوُلُ بِهِ الْأَمَدُ حَتَّى تَرَاهُ جَثَّةً هَامِدَةً مَحْمُولَةً عَلَى الْأَكْتِافِ إِلَى قَبْرِ ضَيْقٍ يَسْتَحِيلُ فِيهِ هَيْكَلًا، فَأَوْصَالًا، فَحُطَامًا، فَتَرَابًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ، فَلَمَّا ذَا يَتَشَبَّهُ الْإِنْسَانُ بِالْحُطَامِ وَالْمَتَاعِ الزَّائِلِ اذْنُ وَهُوَ مَقْبَلٌ عَلَى الْآخِرَةِ؟

### ثانيا: ما هي أهدافه في الدنيا و كيف يصل بها؟

وَ حِينَما يَطْمئنُ الْإِنْسَانُ إِلَى حَقِيقَةِ الدُّنْيَا فَسَيَعْلَمُ أَنَّ حُطَامَهَا لَيْسَ بِالذِّي يَشْبَعُ طُمُوحَاتِهِ وَ يَحْقُقُ تَطَلُّعَاتِهِ، إِنَّهُ يَرِيدُ السَّعَادَةَ وَ لا تَمُّ لَهُ فِيهَا، وَ يَرِيدُ الْخُلُودَ وَ هِيَهَاتَ ذَلِكُ؟، فَلَا بَدَّ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنِ هَدَفٍ سَامٍ يَجِدُهُ أَهْلٌ لِلسَّعْيِ لَهُ، وَ هَذَا لا يُمْكِنُ حَتَّى يَضِيفَ إِلَى عِلْمِهِ بِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا عِلْمًا بِحَقِيقَةِ الْآخِرَةِ، وَ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ يَعْطِفُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ إِعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ فَكُلْ إِنْسَانٌ يَحْسُ بِفَطْرَتِهِ، إِنَّ طُمُوحَاتِهِ أَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا وَ ما فِيهَا، وَ لَكِنَّهُ إِذَا غَفَلَ عَنِ الْآخِرَةِ فَسَيَبْقَى مَصْرًا عَلَى التَّشَبُّهِ بِالدُّنْيَا، طَمَعًا فِي تَحْقِيقِ ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهَا مِمَّا كَانَ مَتَوَاضِعًا، وَ لَذَلِكَ نَجِدُ الْقُرْآنَ يَرْسِي قَاعِدَةَ الْإِيْمَانِ بِالْآخِرَةِ فِي النَّفْسِ لِيَحْقُقَ التَّوَازِنَ الْمَطْلُوبَ فِي نَفْسِ الْبَشَرِ لِكَيْ لا- يَنْسَاقَ وَرَاءَ التَّكَاثُرِ فِي جَمْعِ حُطَامِهَا، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَحْقُقُ تَطَلُّعَاتِهِ بِذَلِكَ. كَلَّا.. أَنْتَ مَخْلُوقٌ لَمَّا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَ أَبْقَى، فَمَا

الذى يعطيك هذا التفاخر و التكاثر؟ هب انك بلغت ما بلغ سليمان ذلك النبى الكريم الذى سخرت له الريح، و استخدم الجن و علم منطق الطير، و لكن أ تعلم اين سليمان اليوم؟ و اين ملكه الكبير؟ و أين عزته الشامخه؟ أ فلا نعتبر بمصير الملوك الذين حققوا عند الناس طموحاتهم فاذا بهم ينقلون من قصورهم الى قبورهم تأكل أبدانهم الديدان قبل ان تصيح رميما ثم ترابا تذروه الريح؟ أما المؤمن بالآخره فان نفسه قانعه بما لديها، راضيه بما آتاه الله، و تائقه الى ما عنده. هل سمعت نبأ الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) كيف خرج عن أمواله جميعا لله مره و قاسم الله أمواله مرات؟ أم هل عرفت زهد الامام على عليه السلام؟ و هكذا المؤمن يستبدل الدنيا بالآخره، و لن يمتنع عن الإنفاق فى سبيل الله.

و على أساس الايمان بأن الآخره هى دار الجزاء و الخلود- فأما عذاب شديد، أو مغفره و رضوان من الله حسب ما يقدم الإنسان فى الدنيا ليوم الحساب- فانه لا ريب سيعرف أهميه الحياه الدنيا، و دورها الحاسم فى مستقبله الابدى، و حينها لن يدع الهزال و المزاح و اللعب يأخذ من وقته شيئاً، لان الغايه عظيمه، و الخطر كبير، و الفرصه قصيره، بل سوف يخشع قلبه لذكر الله خوفاً من عذابه، و طمعا فى مغفرته و رضوانه.

و أعظم هدف يسعى اليه هو الخلاص من النار، لان صراط الجنه يمر من فوقها.

أو ليس طريق الجنه محفوفاً بالمكاره التى ينبغى للإنسان تحملها و الصبر عليها، و بالشهوات التى ينبغى ان يتحداها و يجتنبها، فان لم يتحمل و لم يصبر، أو لم يتحد و يتجنب فسوف يقع فى الجحيم و قودا لنيرانها و يعذب فيها بقدر فشله؟ و هذه الغايه من أعظم طموحات المتقين «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَّ عَلَيَّ جُنُوبِهِمْ وَّ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَّ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١). و أعظم بها من غايه فاز و الله من أصابها فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ (٢).

و الهدف الآخر هو الدخول الى الجنة، و ذلك لا يمكن من دون مغفره الله و رضوانه، إذ لا يدخل أحد الجنة بعمله-بل بفضل الله-حتى الأنبياء، و ذلك لا يتحقق الا بالانابه الى الله و الاعتراف له بالخطأ، و السعى الدائب للإصلاح.

وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ هَذِهِ هِيَ الْاَهْدَافُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ السَّعْيُ مِنْ أَجْلِهَا، وَ بِهَا تَصْبِحُ الدُّنْيَا آخِرَهُ، وَ الْحَيَاةُ فِيهَا ذَاتُ مَعْنَى، وَ كُلُّ سَاعَةٍ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ سَاعَاتِ الْآخِرَةِ. أما بدونها فتصبح لعبا و لهوا، و تتحول الى أداه للغرور وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ المتاع هو الزاد، و الغرور الانخداع، قال تعالى: فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣)، و شبه ربنا الدنيا بزاد الغرور، لأنها لا تشبع عند المنخدع بها حاجه حقيقيه، إلا غروره الكاذب الباطل، الذى ينتهى عند الموت، فلا تبقى عنده ذره من غرور.

و إذا نظرنا الى حديث القرآن عن الدنيا، و الى السياق الذى تقع ضمنه فى كل مره، فاننا سوف نلاحظ ورود ذكرها فى مواضع كثيره و علاجا لمشاكل مختلفه مما يثير فينا التساؤل: لماذا؟ و قد يتكرر النص الواحد فى موارد متعدده، و سياقات مختلفه، و يجب عن ذلك

الحديث المروى عن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم):

ص: ٨٤

١-١) آل عمران ١٩١/

٢-٢) آل عمران ١٨٥/

٣-٣) لقمان ٣٣/

حب الدنيا رأس كل خطيئه فمهما وجدت انحرافاً أو خطأً في حياة الإنسان (فرداً و جماعة) فانك تجده متصلاً بحب الدنيا، و الاغترار بها.

[٢١] و إذا تحول نظر الإنسان و قلبه الى تلك الاهداف الساميه، فهو لا ريب سيتحول موقفه من الدنيا و سلوكه فيها، فالاهداف عظيمه و الفرصه قصيره، إذا لا بد من ترك اللعب و اللهو الى الجد و الاجتهاد، و ترك الزينه الى ما ينفع، و التفاخر و التكاثر فى الأموال و الأولاد الى التسابق فى الخير و الصالحات الباقيات.

إن تلك الاهداف كفيله بان تجعله فى ذروه الفاعليه، و تحيل المجتمع الى بركان متفجر من الحيويه و الاجتهاد و روادا فى فضيله التسليم للقياده الرساليه، و الاستجابه لدعوتها.

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ و انبعثوا انبعثه نحو الجنه العريضه، بدل الدنيا، و قاوموا جاذبيه الماده طلباً لرضوان الله.

وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ هَذَا هُوَ الْأَجْرُ وَ هُوَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ -النور الذى وعد به الله تعالى الصديقين و الشهداء فى الآيه (١٩).

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَمُنُّ عَلَىٰ رَبِّهِ بِالْإِيمَانِ، أو انه يحصل عليه بجهد، أو يدخل الجنه بسعيه، إنما بفضل الله و منه يحظى الإنسان بالايمن، و يدخل الجنه، بلى. ان



اراده الإنسان و سعيه ضرورى، كما قال ربنا: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١)، و لكن التوفيق الى ذلك جزء من فضله تعالى.

□  
وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ و ما دمنا فى مقام رب عظيم، ذى فضل عظيم، و مغفره عظيمه و رضوان، فمن السفه ان نرضى لأنفسنا بالأدنى، و نشتغل بالتوافه تاركين وراءنا ذلك الفضل العظيم.

و يأتى الأمر الالهى بالتسابق الذى يستهدف (المغفره و الرضوان)، و هو أعلى مراحل السعى الايجابى و حالاته، فى مقابل التكاثر فى الأموال و الأولاد، الذى يستهدف جمع أكبر قدر من حطام الدنيا، و يمثل أسفل دركات العلاقه و الانشداد بها، بالرغم من اعتقاد الإنسان بأنه يبلغ الكمال عندها. و يصل التسابق الى أقصاه حينما ينبذ المؤمنون الغرور بالعمل و الامانى، و ينطلقون من الاحساس بالتقصير، لان الاحساس بالكمال يوقفهم عن السعى و الاستزاده، و لذلك قال تعالى إِيَّاى مَغْفِرًا، و هذه من صفات المتقين

«لا يرضون من أعمالهم القليل، و لا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، و من أعمالهم مشفقون، إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول: انا أعلم بنفسى من غيرى، و ربي أعلم بى من نفسى! اللهم لا- تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى أفضل مما يظنون، و اغفر لى ما لا يعلمون» (٢) و هذه الصفه هى التى تصنع الإبداع و الفاعليه فى الفرد و المجتمع، و تجعله يتقدم الى الامام أبدا.

ص: ٨٦

١-١ (١) الإسراء ١٩

٢-٢ (٢) نهج/ح ١٩٣ ص ٣٠٤

## ثالثاً: ما هو الموقف السليم من متغيرات الدنيا؟

[٢٣-٢٢] وحيث يعيش المؤمنون في الدنيا، ويسابقون الى فضل الله، فلا بد ان يستوعبوا طبيعتها المتغيره لكي لا تترك آثارها السلبيه عليهم، ففيها الغنى و الفقر، و الشفاء و المرض، و القوه و الضعف، و النصر و الهزيمه، و الزياده و النقص، و لا بد ان يستقيموا على كل حال، فالذى يتغير مع الظروف و المتغيرات لا- يصل الى اهدافه و طموحاته، لأنه تضله النعمه بطراء، و المصيبه ياساء، أو يعطى و يسابق حيث تسود هذه الحاله المجتمع و يلقي التشجيع إليها، ولكنه يتوقف حيث توقف الآخرون، أو ثبطوه، فكيف يحصل الإنسان على الثبات؟ أولاً: بالمعرفه العميقه بطبيعته الدنيا على ضوء الآيه الكريمه إَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ... وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ وَ الرغبه فى فضل الله، مما يزهد الإنسان فيها، فلا يفرح حين تقبل عليه، و لا يحزن حين تدبر عنه، لأنها ليست بذات شأن عظيم عنده.

قال الامام على عليه السلام: الناس ثلاثه: زاهد و صابر و راغب، فاما الزاهد فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا، و لا يأسى على شيء منها فاته فهو مستريح « (١) »، و

قال عليه السلام: «الزهد كله بين كلمتين فى القرآن، قال الله تعالى: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزَّهْدَ بِطَرْفِيهِ (٢)».

و

نقل عن الإمام الباقر عليه السلام انه رأى جابر بن عبد الله (رضى) و قد تنفس الصعداء (التنفس الطويل من هم أو تعب) فقال عليه السلام: يا جابر على م تنفسك

ص: ٨٧

١- (١) نور الثقلين/ ج ٥ ص ٢٤٨

٢- (٢) المصدر/ ص ٢٤٩

أعلى الدنيا؟! فقال جابر: نعم، فقال له: «يا جابر ملاذ الدنيا سبعة:

المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمركوب، والمشموم، والمسموع، فألذّ المأكولات العسل و هو بصق من ذبابه، وأحلى المشروبات الماء، وكفى بإباحته و سباحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج و هو من لعاب دوده، وأعلى المنكوحات النساء و هو مبال فى مبال، و مثال لمثال و و انما يراد أحسن ما فى المرأه لأقبح ما فيها، وأعلى المركوبات الخيل و هو قواتل، و أجل المشمومات المسك و هو دم من سره دابه، و أجل المسموعات الغناء و الترنم و هو إثم، فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل».

قال جابر: فو الله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبى. (١).

ثانيا: الرضى و التسليم بالقضاء الذى يأذن به الله فيقع، و هو أرفع درجه من الزهد، بل أرفع درجات الايمان

لقول الامام على بن الحسين عليه السلام و قد سئل عن الزهد: «الزهد عشره أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، و أعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، و أعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضى» (٢)، و لا يسمو الإنسان اليه الا إذا آمن بأن كل ما يحدث فى الوجود بتقدير مسبق من الله (القدر)، فذلك بدل ان يؤثر فيه سلبا باتجاه الانحراف يؤكد فيه الانتماء الى مسيره الحق، و التوحيد المخلص لله بدل الشرك، و لَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (٣)، لأنهم يعتقدون بهذه الحقيقه:

ص: ٨٨

١-١) بح/ج ٧٨ ص ١١

٢-٢) بحار الأنوار/ج ٧٨ ص ١٣٦

٣-٣) البقره ١٥٥-١٥٦

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ خَارِجِيهِ مِنْ حَوْلِكُمْ، قَالَ صَاحِبُ الْمَجْمَعِ: مِثْلُ قِحَطِ الْمَطَرِ: وَقَلَهُ النَّبَاتُ، وَنَقَصَ الثَّمَرَاتِ.

وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ مَبَاشِرُهُ «مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالتَّكْلِ بِالأَوْلَادِ» (1) أَوْ مَا أَشْبَهَ.

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنَبِّئَ أَهْلَهَا فَهِيَ مَكْتُوبَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي قَدْرِ اللَّهِ قَبْلَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ لِنَفْسِهِ، وَتَحْوِلُهَا إِلَى الْوَاقِعِ أَنْمَا هُوَ تَصْوِيبٌ لِلْقَدْرِ بِإِنْفَازِ الْقَضَاءِ، وَ مِنْ الصَّعْبِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَوْعِبَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ انْطِلَاقًا مِنَ النَّظَرِ إِلَى نَفْسِهِ وَ قَدْرَاتِهِ الْمَحْدُودَةِ، وَ لَكِنَّهُ إِذَا فَكَّرَ فِيهَا مِنْ خِلَالِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَ عِلْمِهِ فَالْأَمْرُ هِينٌ عِنْدَهُ تَعَالَى.

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ « وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » « وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »؟ وَ لِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عِلَاقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالِدَعْوَةِ إِلَى التَّسَابُقِ، وَ هِيَ أَنْ التَّغْيِيرَاتِ السَّلْبِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ (الْمُصِيبَةُ) قَدْ تَصِيبُهُ بِالْإِحْبَاطِ النَّفْسِيِّ الَّذِي يَفْقَدُهُ الْفَاعِلِيَّةَ اللَّازِمَةَ لِلتَّسَابُقِ، وَ لَا شَكَّ أَنْ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدْرِ مَانِعٌ عَنِ الْإِحْبَاطِ فِي الضَّرَاءِ كَمَا هُوَ حَاجِزٌ عَنِ الْإِغْتِرَارِ فِي السَّرَاءِ.

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ

ص: ٨٩

لأن اليأس (الثبط و الهزيمة الداخليه) بسبب التغير السلبي يسلبنا الفاعليه و التحرك. و لماذا نسعى و نسابق الى هدف لا نصل اليه؟ هذا هو الاحساس و التساؤل الذى يرتسم عند المصيبه، و لكن لماذا اليأس، فالمصيبه إما بإرادته الهيه لا- سبيل فيها إلا الاعتراف بها و التسليم لأرادته ربنا و حكمته، و اما تكون بسببنا فنحن إذا قادرون على مقاومتها و تغييرها بتغيير ما فى أنفسنا. و لا داعى لليأس، فقد نجاهد العدو فنفشل و نهزم لاننا متفرقون، منهزمون نفسياً، و لكننا نستطيع الانتصار عليه إذا اعترفنا بعوامل الهزيمة عندنا فتجنبناها، و أسباب الانتصار عند العدو فأخذنا بها.

و كذلك النعمه يجب ان لا تدفعنا الى الغرور و الفخر، فنعتمد عليها بدل الاعتماد على الله، و هى لا تبقى، أو ننسى العوامل التى تسببت فيها فتزول.

وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ لِإِنَّ الْفَرْحَ (الغرور و الاحساس بالكمال) يدعوننا الى التوقف، كاليأس و لكن بصوره أخرى، حيث لا نجد دافعا الى السعى و الاستزاده، و قد بلغنا القمه عند أنفسنا، بل قد يدعوننا الى الشرك و ذلك للشعور بالاستغناء عن الله تعالى.

وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ كائنا من كان، لأنهما صفتان سلبيتان منبوذتان عنده تعالى، لا يبرهما حسب و لا نسب و لا منصب و لا فضل مادي أو معنوي. و نستلهم من الآيه:

أولاً: ان الفرح (و الاعجاب بما نملك) يسبب التكبر على الناس و الفخر.

ثانياً: ان علاجه يتم بالايمان بالقضاء و القدر، و ان ما نملك لم نحصل عليه من

عند أنفسنا بل بفضل الله سبحانه، فلا داعى للتعالي على الناس به أو الفخر و الغرور.

ثالثاً: ان من يعيش التكبر و الفخر يخسر ما آتاه الله، لاین الله لا- يحب كل مختال فخور، و إذا كانت النعمة من الله فان زوالها سيكون بيده.

[٢٤] و يضرب الله مثلا- على المختالين الذين يفخرون، و يبين لنا انعكاس فرحهم بالنعمة على نفوسهم و سلوكهم بالنسبة للإنفاق، بعد بيان انعكاسه فى النفس و المجتمع.

□  
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ و انما يبخلون لاسباب أهمها أمران، الاول: لأنهم يريدون التفاخر و التكاثر، فهم يزعمون أنّ الإنفاق يقلل ما يملكون، و

جاء فى الحديث «ما فتح على عبد بابا من أمر الدنيا إلا و فتح عليه من الحرص مثليه» (١) و الثانى: لأنهم يحسون بالاستغناء عن كل أحد، و هذا يتضح فى نفوسهم حتى يشعرون بعدم الحاجة الى ثواب الله، فاذا بهم لا يستجيبون لدعوتة بالإنفاق، و لا يدعمون مسيره الحق.

□  
وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الَّذِى لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، و انما أمر بالإنفاق لصالح الناس و لا بتلائمهم.

الْحَمِيدُ فهو يواصل فضله على عباده، و لكن لماذا يأمر الناس بالبخل؟

ص: ٩١

١- لكي يبرروا بخلهم بخلق تيار من البخلاء في المجتمع حتى لا يرى بخلهم شذوذاً.

٢- حفاظاً على الحالة الطبقيه التي تمهد لهم الاستبداد والاستغلال والفخر والخيلاء، أما إذا ردمت الهوة بين الطبقتين الأغنياء و الفقراء فعلى من يختالون ويفتخرون، و من يستغلون و يستبدون؟! و الرأسماليه الموجوده الآن هي أحد إفرازات الفلسفات و الأفكار الاغريقيه القديمه العفنه، و التي تقسم الناس الى طبقات حتميه، و ذاتها موجوده الآن في الفلسفات البرهوماتيه في الهند.

٣- كما ان المنافقين يتخذون تشييط الناس عن الإنفاق، و دعوتهم الى البخل سبيلاً للصد عن سبيل الله، و محاربه الرسول و رسالته الداعيان الى العداله و الوقوف ضد الطبقيه المقيته، و استغلال الناس و. و مما يتعارض مع مصالحهم. قال الله تعالى: هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (١) و هذه الايه تشير الى الهدف الأخير للأمر بالبخل، و لعل الايه من سوره الحديد اشاره الى دور المنافقين في محاربه رساله، و الدعوه الى التولى عن الرسول و الحق.

و في الاخبار روايات كثيره في ذم البخل و البخلاء إليك بعضها:

قال الرسول (صلى الله عليه و آله): «البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار» (٢) و

قال الامام علي (عليه السلام): «البخل جامع لمساوي العيوب، و هو زمام يقاد به الى كل سوء» (٣) و

قال: «النظر الى البخيل يقسى

ص: ٩٢

١- ١) المنافقون ٧/٨

٢- ٢) بح/ج ٣٠٨٧٣

٣- ٣) المصدر/ص ٣٠٧

قال الامام الصادق (عليه السلام): «حسب البخيل من بخله سوء الظن بربه، من أيقن بالخلف جاد بالعطيه « (٢) و

عن الامام الرضا عليه السلام :

«إياكم و البخل فانها عاهه لا تكون فى حر و لا مؤمن.إنها خلاف الايمان « (٣).

ص: ٩٣

---

١ - ١) بح/ج ٧٨ ص ٥٣

٢ - ٢) بح/ج ٧٧ ص ١٤٧

٣ - ٣) بح/ج ٧٨ ص ٣٤٦



اشاره

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْعِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

اللغه

٢٥]بأس]:عذاب بالقتل أو القصاص و نحوهما.

٢٨ [قَفِينًا] اتبعنا.

[و رهبانيته] مشتقّه من الرهبه، بمعنى ما يظهر من العباده على الجوارح من آثار رهبه القلب.

ص: ٩٥

هدى من الآيات:

إقامه العدله وفق القيم الالهيه أحد أهم و أبرز الاهداف التي تنزلت من أجلها رسالات الله، و سعى إليها الأنبياء و الرسل، كما ينبغي ان يسعى إليها كل مؤمن بل كل إنسان، و لا يجوز أن ينتظر رسولا يبعثه الله ليتحملها، فإذا لم يحدث ذلك اعتزل الواقع، و بالغ في الترهّب انتظارا للمنقذ، كما فعل الكثير من أهل الكتاب، فإن ذلك يصير بهم الى الظلم و التخلف في الدنيا، و العذاب و الغضب الإلهيين في الآخرة.. و إذا رفع رايه العدله شخص أو تجمّع فان على سائر الناس ان ينصروه ان وثقوا منه و من اهدافه، و لا يدعوه وحده في مواجهه الظالمين، فذلك هو المحك الذي يثبت شخصيه الامه الحقيقيه، كما أنه الطريق الى كفلين من رحمه الله: هدى و رحمه في الدنيا، و جنّه و مغفره في الآخرة.

[٢٥] ما هي السمات الاساسيه للحركه الصادقه؟ وما هو هدفها و المنهج الالهى الكفيل بالوصول اليه؟ و من هو المسؤول عن تطبيقه؟ عن هذه الأسئلة الحساسه تتحدّث آيه الحديد التى تنتهى إليها بصائر هذه السوره التى سميت باسمها.

إن أهم السمات فى الحركه الصادقه و التى تعد بينات على سلامتها هى التاليه:

الأولى: الانبعاث باسم الله رب العالمين، أما الانطلاقه الضاله التى تبدأ من ثقافه الشرك و الجحود فانها آيه واضحه على خطأ الحركات التى تركز عليها، و الرسل و حدهم انطلقوا باسم الله و بأمره الذى تلقوه عبر الوحي بعد اختيارهم من قبله تعالى، و حيث ختم الله عهد هذا النوع من الحركات بنبيّه محمّد صلى الله عليه و آله فان الحركه الصادقه هى التى تكون امتدادا لهم و بزعامه الأوصياء و الربانيين و العلماء بالله الأمانة على حلاله و حرامه و الأولياء و القاده الرساليين.

الثانيه: المنهج الربانى الأصيل، و المتمثل فى الرسالات التى أكملها و ختمها ربنا بالقرآن الذى حفظه من التحريف، و جعله مهيمنا على الكتب، فأنه المنهج الأصيل و الوحيد الذى يجب اتباعه، و اتباع هداه و بصائره، اما المناهج القائمه على الجهاله و الإفراط و اتباع الأهواء فهى لا تصلح و سيله مناسبه للنجاح، لأنها إذا أخرجت الناس من ظلمات فلكى تدخلهم فى مثلها، أو أنقذتهم من عبوديه فالى عبوديه مثلها أو أسوء منها.

الثالثه: الاهداف الساميه، و التى يلخصها القرآن فى العدل (قيام الناس

بالقسط)، و لكن ليس بالمفهوم الضيق له المتمثل في ردم الهوة بين الطبقات الاجتماعيه، بل التزام الحق و الإنصاف من قبل الإنسان في كل أبعاد حياته و علاقاته، في علاقته بربه و قيادته، و في علاقته بنفسه و مجتمعه، و في علاقته بالخليقه من حوله، و انما يعرف مدى قيامه بالقسط من خلال الميزان (الفطره، و العقل، و الكتاب، و القياده،...).

و الحركه الصادقه هي التي تسعى الى ذلك بالكلمه الصادقه أو بالقوه و السلاح، و هي التي يجب على الناس تبنيها، و مساعدتها، و الانتماء الى صفوفها، لأنها تجاهد للحق و من أجل سعادتهم، و لأنها المحك في نصرتهم لله و لمسيره الأنبياء و المرسلين.

و الآيه تشير الى هذه السمات إذ تقول:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا دَلِيلًا إِلَى اللَّهِ، و تعريفًا للناس به تعالى، فهم يتحملون مسئوليته محددته هي تبليغ رساله الخالق الى المخلوقين، و هدايتهم الى معرفته، و الايمان به، و العمل برسالته،

قال النبي صلى الله عليه و آله: «بعث إليهم الرسل لتكون له الحججه البالغه على خلقه، و يكون رسله إليهم شهداء عليهم، و ابعث فيهم النبيين مبشرين و منذرين ليهلك من هلك عن بينه، و يحيى من حى عن بينه، و ليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا، و يوحدوه بالالهيه بعد ما عضدوا (أشركوا)» (١)، و

قال الامام على عليه السلام: «بعث رسله بما خصهم به من وحيه، و جعلهم حججه له على خلقه، لئلا تجب الحججه لهم بترك الاعذار إليهم» (٢)، فهم

ص: ٩٨

١- ١) توحيد المفضل / ص ٤٥

٢- ٢) نهج / خ ١٤٤

الواسطه بين الخالق و المخلوق، و حبل الله الممدود من السماء الى الأرض، و لكن كيف نعرف صدقهم و صدق دعوتهم من بين القاده المنحرفين و الدعوات الضاله؟ القرآن يجيب على هذا السؤال إذ يقول:

بِالْبَيِّنَاتِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنِيَانِ يَبْدُوَانِ كَلَيْهِمَا تَشْمَلُهُمَا الْكَلِمَةُ:

١- تفاصيل الهدى، المتمثله فى الثقافه التوحيديه، و البصائر و القيم، و المناهج المنبثقه منها، و اشتمال رسالات الله على هذه التفاصيل دليل على أنها وحى من عند الله، إذ قد يهتدى بشر اوتى صفاء النفس الى بعض معانى الغيب، و لكن أنى للإنسان ان يأتي بهذه المنظومه المتكامله من البصائر الغيبية، ان ذلك الا دليل اتصاله المباشر بالوحى.

٢- الحجج و الآيات التى تهيم على النفس و العقل، كالمعاجز، و الخلوص من الهوى و المصلحه و التمحض للحق، و هذا يهدينا الى ان الرسالات الالهيه قائمه قبل كل شىء على الاقناع، لأنه الذى ينمى الايمان فى النفس، و يحركه بفاعليه أكبر، و أبقى من اى عامل آخر، و ربنا يقول: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (١)، ذلك أن الايمان الناتج من الاستجابه للبيّنات و الآيات هو الذى يخشع القلب و الجوارح لذكر الله، و يطوّعهما للرسول و لما نزل من الحق و للميزان، و بالتالى يدفع المؤمن للقيام بالقسط، و حينما يتخلف أحد من المؤمنين عن الاستجابه للرسول و للوحى فإن ذلك يدل على تزلزل فى قناعاته.

و حيث لا يؤتى الايمان ثماره الا إذا تحول الى نظام تربوى، اجتماعى،

ص: ٩٩

١- (١) فصلت ٥٣/

اقتصادي، سياسي، ثقافي شامل لجوانب الحياه، يكفل للبشريه السعاده، أنزل الله شريعته متكامله الى جانب البيئات متمثلا بالكتاب.

وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ فَإِذَا كَانَتِ الْبَيِّنَاتُ تَوْمَنُ الْقَنَاعَاتِ الْاَوَّلِيَه فَانَّ الْكِتَابَ يُؤَمِّنُ النَّظَامَ الْعَمَلِي الشَّامِل الْمُنْتَطَلِق مِنَ الْاِيْمَانِ، وَ الَّذِي يَسْتَهْدَفُ تَكْرِيسَهُ بَعْمَقُ فِي الْنَفُوسِ وَ الْوَاقِعِ، وَ الْقِيَامَ بِالْقَسْطِ- هَذَا الْهَدَفُ الْعَظِيمُ- اِنَّمَا يَسْتَمِدُّ شَرْعِيَّتَهُ وَ شَرْعَتَهُ مِنْهُ.

و مع دلالة الانزال على المعنى الظاهر من الكلمه فأنه يدل على الفرض، و كل ما نزل من الخالق الى المخلوق فهو لازم و مفروض عليه القيام به. و من البديهي ان معرفتنا بالبيئات ان الكتاب من الله تلزمنا العمل به و تنفيذه.

وَ الْمِيزَانَ الْوَسِيلَةَ الَّتِي نَعْرِفُ بِهَا مَضَامِينِ الْكِتَابِ الْخَارِجِيَه، مِمَّا يَتَكَفَّلُهُ الْقَضَاءُ فِي الْمَرَافَعَاتِ وَ الْخُصُومَاتِ.

و السؤال: ما هو الميزان؟ هل هو العقل؟ أم الامام العادل؟ أم هذه المقاييس التي يزن الناس أشياءهم بها؟ يبدو ان الميزان أساسا هو المقياس الذي نعرف به تطبيق الحكم على الواقع الخارجي، و هو لا يتم إلا بالعقل و الامام و المقياس السليم. كيف ذلك؟ اولاً: ما جاء القرآن ليلغى دور العقل، انما ليثير دفته بالاجتهاد في فهم حقائقه و أحكامه و طريقه تطبيقه، و ليقوم بدوره الحساس و الخطير في حياه البشريه.

ثانيا: ما جاء القرآن بديلا عن الامام (السلطة العادله) حيث يجب التسليم للقياده الشرعيه فى حدود قيم الكتاب، فدور الامام يكمل دور الرساله، لذلك

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إني قد تركت فيكم الثقلين، ما ان تمسّ بكم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض، و عترتى أهل بيتى. ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (١)، و قد أجمعت فرق المسلمين قاطبه على هذه الروايه، مع حكم العقل بضرورتها، اما قول الخوارج: (حسبنا كتاب الله) فإنه باطل بشهاده الكتاب، و شهاده العقل، بل و شهاده التاريخ البشرى حيث لم نعهد جماعه بلا سلطه تحكمهم، و حتى الخوارج أنفسهم ما عاشوا دون سلطه طول تاريخهم.

و ميزان الإنسان فى الدنيا هو ميزانه فى الآخره حيث يقول ربنا سبحانه: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنْثَىٰ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٢)،

قال الامام الرضا عليه السلام: «الميزان: أمير المؤمنين نصبه لخلقه»، «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ» قال: «لا تعصوا الامام» (٣).

و العقل يعكس مقاييسه التى فطر عليها على مجموعه أدوات يقيس بها الأشياء.

أ رأيت ان العقل يعرف-عبر البصر-مدى قرب أو بعد الأشياء، و لكنّه التماسا للدقه يعكس ذلك على أدوات العلم (المتر و الكيلومتر)، كما يقدر العقل على معرفه مدى حراره الجسم باللمس، و لكنّه يبدع المحرار ليكون أقرب الى الدقه، و هكذا سائر الموازين. إنّها تجليات العقل على الطبيعه، و من جهه أخرى انها

ص: ١٠١

١-١ (١) بح/ج ٢٣ ص ١٠٦ و كنز العمال/ج ص ١٧٢ و (١٨) موضعا آخر

٢-٢ (٢) الإسراء ٧١

٣-٣ (٣) نور الثقلين/ج ٥ ص ١٨٨ و قد مر فى سوره الرحمن تفصيل حول معنى الميزان



أدوات لحكم السلطه العادله، فلو لا القوانين التي تنظم علاقته و توزن مدى تطبيق القيم على الواقع لم يستطع الامام فرض العدل على الناس.. و هكذا كان الميزان أساسا هو العقل (الذى هداه الله لمعرفة المقاييس و المقادير)، و الامام الذى هو بمثابة العقل الظاهر، ثم الانظمه و الأدوات القياسيه، لأنها تهدي الناس للحق و العدل، و لذلك جاء فى التفسير: «نزل جبرئيل عليه السلام بالميزان (الكفتين و اللسان) فدفعه الى نوح، و قال: مر قومك يزنوا به» (١).

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ و إقامه الشيء تنفيذه على أصلح وجه، و منه إقامه الصلاه إذا مارسها بوجهها الصحيح. و العوامل الثلاثة (البيان، الكتاب، الميزان) يكمل بعضها بعضا، و هى كفيله بأن توفر المناخ المناسب لإقامه القسط و لتحقيق هدف رسالات الله.

و القسط - حسب الرازى - و الاقساط هو الإنصاف، و هو ان تعطى قسط غيرك كما تأخذ قسط نفسك، و العادل مقسط، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، و القاسط الجائر، قال تعالى: وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (٢).

و حسب بعض اللغويين: قسط (بالفتح) قسطا (بالكسر): عدل، و قسطا (بالفتح) و قسوطا: جار و عدل عن الحق (٣)، ثم اعتبر ذلك من الأضداد.

و أتى كان فإن مفردات استخدام الكلمه تدل على أنها ليست مجرد بسط العداله الظاهره، بل هى اقامه العداله الواقعيه التي فيها المزيد من الإنصاف، و إيتاء الحق

ص: ١٠٢

١-١) جوامع الجامع للطبرسى عند الآيه

٢-٢) تفسير الرازى/ ج ٢٩ ص ٢٤٣

٣-٣) المعجم الوسيط (قسط)

و الآيه تصرح بأن اقامه القسط تكون بيد الناس أنفسهم، فلم تقل: ليقوم الرسل بالقسط بين الناس، بل قالت: «لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»<sup>□</sup>، ولو أنّ الناس تخلوا عن مسئوليتهم تجاه العدالة فان القسط لا يقوم، لان رسالات الله توفر للناس فرصه اقامه القسط، و لم يبعث الأنبياء لفرض العدالة بالإكراه على الناس.

و قيام الناس بالقسط يعنى العدالة، و إقامه الحق فى سائر جوانب حياتهم، مع الله، و مع الرسول، و مع القيادة الشرعيه، و مع الناس، بل و مع الحياه، فيتقون الله حق تقاته، ثم يختارون الامام العدل و يسلمون له و يتبعونه،

قال الامام الرضا عليه السلام: «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ» و أقيموا الامام بالعدل (١)، و يلتزمون الحق مع أنفسهم باتباع القصد من دون افراط و لا- تفريط، و مع الناس فلا- يبخسون، و لا- يطففون، و لا يظلمون و لا يعتدون، و لا ينقضون العهد، و هكذا يلتزمون العدل فى علاقتهم مع الخليقه من حولهم، فلا يفسدون فى الأرض بعد إصلاحها، و لا يهلكون الحرث و النسل، و لا.. و لا..

و لكن تبقى شريحه من الناس تخالف الحق، من أجل هذا أنزل الله الحديد و سيله رادعه لتنفيذ القسط و إقامته بين الناس، و لا ريب ان القوه ليست الوسيله المناسبه دائما، فما يقرّه الإسلام شرعيه القوه فى الحالات الخاصه لا شريعتها.

وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

قال الامام على عليه السلام: «يعنى السلاح و غير ذلك» (٢)، مما يحقق الغرض منه،

ص: ١٠٣

١- ١) تفسير نور الثقلين/ ج ٥ ص ١٨٩.

٢- ٢) المصدر/ ص ٢٥٠

وهو الردع و تنفيذ القسط. وهذا الشطر من الآيه معطوف على (الكتاب و الميزان) و لكن الله يذكر أولاً- الهدف من الحديد. لماذا؟ يبدو لكى يبين بصيره هامه أنّ العوامل المتقدمه هى الأهم، و لا بد ان تكفى فى الظروف العاديه «ليقوم الناس (أنفسهم) بالقسط» فلا يحتاجون الى أعمال الحديد و ذلك لان القوه التنفيذيه فى الإسلام تستمد قوتها الاساسيه من الايمان لا من السيف. و هنا نتساءل: إذا لماذا أنزل الله الحديد؟ الجواب: إنّما لأولئك الجابره و الطغاه و المعاندين الذين قست قلوبهم عن وعى البيئات و الكتاب، و عارضوا الميزان و القسط، لمثل أولئك شرع الله استخدام السيف، و رغب فيه،

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال: «الخير كله فى السيف، و تحت ظل السيف، و لا يقيم الناس الا السيف» (١)، و

قال الامام على عليه السلام: «إن الله داوى هذه الامه بدوائين: السوط، و السيف، لا هواده عند الامام فيهما» (٢)، و

قال الامام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عز و جل بعث رسوله بالإسلام الى الناس عشر سنين، فأبوا ان يقبلوا حتى أمره بالقتال، فالخير فى السيف، و تحت السيف، و الأمر يعود كما بدأ» (٣)، و

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: السيف فاتق، و الدين راتق، فالدين يأمر بالمعروف، و السيف ينهى عن المنكر، قال الله تعالى: **وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ (٤).**

فيه يَأْسُ شَدِيدٌ على الذين لا- يقومون بالقسط (حيث الحدود، و القصاص، و سائر العقوبات الشرعيه)، و على الذين يظلمون و يحاربون العداله (حيث الجهاد فى سبيل الله) و استخدام الحديد كرمز للقوه، باعتباره ماده الاساسيه لصنع الاسلحه و وسائل

ص: ١٠٤

١-١) بح/ج ١٠٠ ص ٩

٢-٢) شرح ابن حديد/ج ١ ص ٢٧٥

٣-٣) فروع الكافي/ج ٥ ص ٧

٤-٤) غرر الحكم طبعه إيران المترجمه حكمه (٢١٥٧) باب الألف

القوه، و هنا يطرح السؤالين التاليين:الاول:إذا كان الإسلام يؤمن بالحرية فلما ذا القوه؟و الثانى:إذا كان الله سوف يحاسب الناس يوم القيامة فلما ذا السيف و الجهاد فى الدنيا؟و نجيب على ذلك:

أولاً:الإسلام بين الحجه و القوه:

أبرز اهداف الإسلام تحرير الإنسان من الأغلال ظاهره و باطنه،قال تعالى:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا أُولَئِكَ إِنَّكُمْ أَعْلَمُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١)، بلى.الرسول يخرج الناس من ظلمات الجهل و التخلف و الاستعباد،الى نور العلم و التحضر و الحرية، و لكن كيف؟هل بقوه المنطق أم بمنطق القوه؟لقد بينت آيات عديده أنه لا- إكراه فى الدين،و أن الرسول ليس بجبار عليهم،قال سبحانه: لا إكراه فى الدينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، و قال سبحانه: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَ عِيدِ (٢)و تطبيقاً لهذه الحقيقه فى الواقع منع ربنا الرسول و المسلمين من إكراه الناس على الدخول فى الدين الجديد،فقال: وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣).

إذا لماذا القوه؟انما ضد فريقين:الاول:الذين يصادرون حريه الناس، و يفرضون عليهم أغلالهم،الثانى:الذين يخرجون على قوانين البلاد،و يعيشون فى

ص:١٠٥

١-١) الأعراف/١٥٧

٢-٢) ق/٤٥

٣-٣) يونس/٩٩

ثانيا:الإسلام و القوّه و الحياه:

١-أمّا لماذا القوه فى الدنيا ما دام الله يحاسب الناس فى الآخره فيجزى المحسن و المسىء؟فلأنّ الابتداء لا يتم إلا عند توافر شروطه،فلو أطبقت على الأرض حكومات الضلال و أفرغت على الناس دعاياتها السّامه،دون أن تسمح لأحد بنشر الدعوه إلى الله بينهم،كيف تتمّ آئذ حجه الله على سائر العباد.

أو ليسوا كانوا يقولون:ربّنا لم تبلغنا الدعوه إليك،و لم نسمع عن رسولك شيئا؟ إذا لا بدّ أن يسعى المؤمنون لتوفير جوّ الامتحان ليهتدى من اهتدى عن بيّنه، و يضلّ من ضلّ عن بيّنه.

٢-ثم أنّ الذين يعارضون استخدام القوه من قبل المؤمنين لا ينظرون إلى الجهاد إلاّ من زاويه المضاعفات السلبيه التى تستتبعه،و بالذات من زاويه بطش الحكومات الفاسده بالمجتمع و المجاهدين أنفسهم،فى حين يجب عليهم النظر من زاويه المعطيات الإيجابيه للجهاد على صعيد الدنيا حيث الحريه و الاستقلال و الأمن و التقدم و سائر مضامين إقامه القسط و نتائجه،و على صعيد الآخره حيث رضوان الله و جنّته،و هذه بعض المنافع التى جعلها الله للحديد.

و مَنَافِعِ لِلنَّاسِ فَالحديد سلاح يساهم فى إقامه القسط،و هو فى ذات الوقت معدن يتدخّل فى كثير من الصناعات و مرافق الحياه.

و إنّ السعى لإقامه الحق و العداله بين الناس يتسبّب فى صراع مصيرى بين أنصاره و رسله(حزبه)و أنصار الباطل و أئمه(حزب الشيطان)فيميّزهم عن

بعضهما، فيحقق الهدف الأساس من حياتنا الدنيا ألا وهو الابتلاء.

□  
وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ رُسُلُهُ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ نَحْوَ تَحْقِيقِ الْغَايَةِ مِنَ الرِّسَالَاتِ وَ هِيَ إِقَامَةُ الْقِسْطِ، بَلَى. السيف وسيله ذلك، ولكن سواعد المجاهدين هي التي تحمل السيف و تحارب به الأعداء، فلا يزعم أحد أن نصره الله لدينه تتم بصوره غيبية دائما. و يعتبر المجاهدون هذه الغايه هي الأسمى لأن أعظم أهدافهم بلوغ رضوان الله سبحانه، الذي يعتبر الجهاد أقرب سبله.

و النصره الحقيقيه للحق لا- تتحقق بمجرد الانتماء إلى صفوف المؤمنين، و رفع السيف، و القتال، و حسب، كلا... فهذا المظهر المطلوب، بل المهم إلى جانب ذلك أن تكون الدوافع توحيديه نابعه من الإيمان بالله، لذلك قال ربنا:

بِالْغَيْبِ أَمَّا الَّذِي يَنْتَمِي لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يِقَاتِلُ مَعَهُمْ بِدَوَافِعِ وَ أَهْدَافِ مَادِيهِ وَ مَصْلِحِيهِ، أَوْ لِأَنَّ الْآخِرِينَ نَصَرُوهُ، أَوْ لِأَيِّ شَيْءٍ آخِرٍ لَا يَتَّصِلُ بِالْغَيْبِ، وَ هُوَ رَضِيَ اللَّهُ وَ جَنَاتِهِ، فَلَا- تشمله الآيه.. و مما يخلص دوافع الإنسان و أهدافه علمه بأنه لا ينصر ضعيفا و لا ذليلا، و أنه تعالى لم يدعه للنصره عن حاجه و عجز حتى يطلب المقابل و يفرضه عليه بعد النصر، أو يمنّ على ربّه سبحانه.

□  
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ وَ إِنَّمَا يَكْتَسِبُ الْمُجَاهِدُونَ مِنْ نَصْرَتِهِمْ لَهُ قُوَّةٌ وَ عِزٌّ.

و كلمه أخيره:

ص: ١٠٧

إن آية الحديد تشير إلى نظام التجمّع الإسلامى الذى يتمثل فى الرسول و من ينوب عنه، و فى القوى الثلاث: التشريعية، و رمزها (الكتاب) و دورها بيان الأحكام، و القوه القضائيه، و رمزها (الميزان) أمّا مهمتها فهى تطبيق الأنظمه على الواقع لتحديد المصاديق و بيان كيفية التنفيذ، و القوه التنفيذيه، و رمزها (الحديد).

كما تشير الآية إلى شعار التجمّع الإسلامى الذى يهدينا إلى وجهته و صبغته العامه و المتمثل فى قوله سبحانه: «لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ».

و خاتمه الآية تهدينا إلى الدافع الغيبي لنصره الدين، و الذى يعتبر الضمانه التنفيذيه للأحكام، و قوه التماسك الداخليه فى التجمّع الإيماني.

[٢٦] و يضرب القرآن مثلا- تاريخيا لما بينته آيه الحديد فيما يتصل بحركه الأنبياء و من يتبعهم، و ذلك من واقع نوح و إبراهيم (عليهما السلام) حيث كانا فاتحين لعهدين جديدين فى تاريخ الرسالات الإلهيه.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ النَّبِيَّ هُوَ الْقِيَادَةُ الْمَعْصُومَةُ الْمَخْتَارَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَمَّا الرِّسَالَةُ فَهِيَ فَوْقَهَا بِدَرَجَةٍ حَيْثُ أَنَّ الرِّسُولَ يَحْمِلُ رِسَالَهُ مِنْ رَبِّهِ إِلَى النَّاسِ.

و النبوه و الكتاب هما عهد الله، و لا يناله إلا الصالحون الصادقون، الذين يمتحنهم الله، قال عزّ من قائل: «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

و حيث تصدّى أبناء نوح و إبراهيم (عليهما السلام) لقياده البشريه عبر

الأجيال، و حملوا مشعل الهدايه و نهجها للأمم تلو الأمم، يظهر فضلهم على الناس.

وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ وَ لَكِن مَجْرَد كُون النَّبُوَّة وَ الْكِتَاب فِي ذُرِّيَّة نُوْح وَ إِبْرَاهِيمَ (عليهما السلام) لَا يَبْرُر نَمُوَّ الْحَالِه الْعَنْصَرِيَه عِنْد أَوْلَادِهِمْ وَ اتْبَاعِهِمْ.

فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ هُم الرسل و الأنبياء و الأوصياء و من آمن بهم و اتبعهم.

وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ضَالُونَ منحرفون، لم يلتزموا بالكتاب، و لم يقتفوا آثار الأنبياء، فالمقياس في الصلاح أو الفساد ليس الانتساب و لا- ادعاء المشايخه للصالحين، إنما المقياس الحق هو اتباع القيم الرساليه، و التزام السلوك الصالح، فلا صلاح القاده و حقانيه القيم دليل هدى الأمم و المجتمعات، و لا ضلال الأمم و المجتمعات و انحرافها دليل فسادهما، و إلى هذا يشير الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول مخاطبا المأمون و بعض العلماء في جلسته: «أما علمتم أنه وقعت الوراثه و الطهاره على المصطفين المهتدين دون سايرهم؟ قالوا: و من أين النبوه يا أبا الحسن؟ قال: قول الله عزّ و جلّ: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»، فصارت وراثه النبوه و الكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أنّ نوحا حين سأل ربّه عزّ و جلّ فقال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، و ذلك أنّ الله عزّ و جلّ وعده أن ينجيه و أهله، فقال له ربّه عزّ و جلّ:



﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ ﴿١١٠﴾ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . (١١)﴾

[٢٧] في سورة الحديد التي اتسمت بصفه الروحانيه المتساميه و التي جاءت شفاء ناجعا لمرض القسوه التي تصيب القلوب الغافله عن ذكر الله، في هذه السوره قرأنا آيه الحديد التي حدّدت هدف الرساله في إقامه القسط، و لم تستبعد الحديد كوسيله لتنفيذه. إنّه حقًا توازن حكيم بين التعالي في أفق الغيب و الحضور الفاعل في أحداث الحياه.

و لذلك أيضا يتناول السياق قصه الرهبنة التي زاغت بالنصارى عن الطريق القويم، كما انحرف اليهود من قبلهم حين ابتلوا بالنظره العنصريه. و إذا عالجت الآيه السابقه و بإشاره خاطفه عنصريه اليهود و غيرهم فإنّ هذه الآيه بيّنت بوضوح خطأ الرهبانيه، و ذكّرت كلتا الآيتين بأنّ الطريق القويم يتمثل في سنّه الأنبياء الذين توالوا على البشريه برساله واحده تحدّدت معالمها مع الزمن، و أنّ الخط الواحد و المشترك الذي تهدي إليه سيرتهم جميعا هو الميزان في قياس الحق، و هو يتمثل في القرآن كما نقرأ ذلك في آيات لاحقه.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا ﴿١١١﴾ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ يَهْدِي بِهِمُ اللَّهُ الْبَشْرِيهِ إِلَىٰ خُطِّ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ كُلَّمَا فَسَقَتْ وَ ضَلَّتْ عَنْهُ، فَهَمَّ يَتَّبِعُونَ ذَاتَ النَّهْجِ، وَ يَسْعُونَ إِلَىٰ ذَاتِ الْأَهْدَافِ، وَ بِذَاتِ الْوَسَائِلِ (البيّنات، و الكتاب، و الميزان، و الحديد)، و هكذا ينبغي أن تكون الأجيال اللاحقه في الأمه مسئوله عن مسيرتها، تفتنى أثر الرّواد الصالحين، سيرا إلى الحضاره و التكامل... و حيث تفصلها العصور و الأجيال عن أولئك (النبي و أمه الهدى) فإنّ الكتاب و الإمام خير مقياس لمعرفة المنهج القويم. بلى. إنّ

ص: ١١٠

عودتها إلى الخط السليم، وبالذات في مجتمع ذهب بعيدا في الضلال والانحراف، سيضعها أمام تحديات صعبة، ولكنها الطريق الوحيد نحو الهدى والسعادة، والنجاه من الضلال والشقاء.

وَقَفَيْنَا بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَالْإِنْجِيلَ لَمْ يَكُنْ مَغَايِرًا لَتِلْكَ الرِّسَالَاتِ، إِنَّمَا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِدَاتِ الْمَفَاهِيمِ وَالْقِيمِ، إِلَّا أَنَّ الْعَنْصَرِيَةَ الَّتِي انْحَدَرَ إِلَيْهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْإِنْجِيلِ، وَ مَا رَافَقَهَا مِنَ النَّظَرِ الْمَادِيَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ، كَانَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى جَرَعَاتٍ مِنَ الْحَنَانِ وَالْعُطْفِ وَالزَّهْدِ وَالْخُشُوعِ، وَ كَانَتْ كَلِمَاتُ الْإِنْجِيلِ تَفِيضُ بِذَلِكَ لِمَعَالِجِهِ ذَلِكَ التَّطَرُّفَ الْمَادِيَّ الطَّاعِيَّ، وَ هَكَذَا زَرَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ التَّابِعِينَ لِعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ بِلِ الزَّهْدِ وَالرَّهْبَانِيَةِ الطَّاهِرَةِ.

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً لَعَلَّ الرَّأْفَةَ هِيَ الْعُطْفُ الْقَلْبِيُّ، بَيْنَمَا الرَّحْمَةُ هِيَ الْمَظْهَرُ الْخَارِجِيُّ لَهَا مِثْلَ الْعَطَاءِ وَ خَفَضَ الْجَنَاحَ، وَ قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ الرَّأْفَةَ هِيَ مَنْعُ مَا يَضُرُّ، بَيْنَمَا الرَّحْمَةُ هِيَ تَوْفِيرُ مَا يَنْفَعُ، وَ مِثْلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِذَا ذَكَرْتَ مَفْرَدَةً مِنْهَا شَمِلَتْ مَعْنَى الْجَمِيعِ، بَيْنَمَا إِذَا أُطْلِقَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَفْرَدَةٍ دَلَّتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ عَلَى مَعْنَى خَاصَّةٍ، وَ كَانَ ذِكْرُهَا يَدُلُّ عَلَى التَّأْكِيدِ، مِمَّا يُوحِي بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْمَزِيدَ مِنَ الْعُطْفِ وَالْحَنَانِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ حَقٌّ لَهُمْ ذَلِكَ. أَوْلَمْ يَكُنْ قَائِدَهُمْ مِثْلًا أَسْمَى لِلزَّهْدِ وَالْحَنَانِ وَالْخُشُوعِ وَ التَّبَتُّلِ؟ وَ الرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ مِنْ أَظْهَرِ وَأَعْظَمِ صِفَاتِ اللَّهِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ خَلْقِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١)، وَ هَكَذَا تَسْتَهْدَفُ الرِّسَالَاتُ الْإِلَهِيَّةُ إِتْقَانِ النَّاسِ مِنَ الصِّفَاتِ

ص: ١١١

البشريه لتركز فيهم اخلاق الله ليكونوا ربيانيين. و لعل عيسى عليه السلام جاء بالرفه و الرحمه علاجا للقسوه التي اصابته بنى اسرائيل حيث قال ربنا عنهم: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . (١)

و جعل الله لهما فى قلوب أتباع المسيح عليه السلام لا يعنى أبدا أن الله يرسل نبيا باللطف و الرحمه، و يرسل الآخر بالشده و الحديد، أو أنهم لم يفرض عليهم الجهاد بالسيف و خوض اللجج لإقامه القسط إذا كانت الظروف تستدعى ذلك، بل يعنى أن الحاله الاجتماعيه المترديه فى القسوه و الفسوق لم تكن تعالج بالسيف بل بالرحمه و الرفه، و ربما الرهبانيه.

ثم يبين القرآن تجربه مهمه من تجارب أتباع عيسى عليه السلام: لقد ظهرت الجباره و الطغاه من بعد عيسى، و صارت مسيره الأ-كثريه من الناس إلى الفسوق و القسوه مما شاه لملوكهم، و اتباعا للتحريف و البدع، فاختلّفوا على مذاهب شتى، حيث سكت الأغلبيه عن الطغاه، و اتبعوا أدياء الدين، إلا أن قليلا منهم قرر التحدى و لكن كيف؟ إنهم يواجهون نوعين من التحدى: التحدى السياسى، و التحدى الاجتماعى المدعوم بقشور الدين المحرّف، و أمام كلّ ذلك يجب عليهم أن يحافظوا من جهه على مسيرتهم فلا يتابعون الطغاه أو يستسلمون للدين المحرّف، و من جهه أخرى يجب أن يحافظوا على أنفسهم الأبيادوا، فوقع اختيارهم على الرهبانيه التى تعنى توثيق العلاقه بالله، و اعتزال المجتمع الضال. هذه كانت خطتهم التى يرون فيها السبيل

ص: ١١٢

إلى أهدافهم، و هي الالتزام بالإنجيل، و اتباع عيسى، و المحافظه على أشخاصهم و حيثيات شخصيتهم أن تماث في الواقع الجديد، و يلخصها القرآن في كلمه هي رضوان الله.

وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ مَاذَا تَعْنَى هَذِهِ الْفَقْرَةُ مِنَ الْآيَةِ، فَهَلِ الرَّهْبَانِيَّةُ كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَمَاذَا تَعْنَى إِذَا كَلِمَةُ «ابْتَدَعُوهَا»، وَ هَلِ هُمُ الَّذِينَ اسْتَدْعَوْهَا، فَمَاذَا يَعْنَى إِذَا قَوْلُهُ:

«مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ»؟ الَّذِي يَبْدُو لِي: أَنَّ لَفْظَةَ الرَّهْبَانِيَّةِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً، حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَدَ فِيهَا عِبْرَ الْإِنْجِيلِ وَ عِبْرَ سِيرَةِ الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَةَ أَنْوَارٍ: نُورَ الرَّأْفَةِ وَ نُورَ الرَّحْمَةِ وَ نُورَ الْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ وَ الرَّهْبَانِيَّةِ، وَ لَكِنَّهُمْ ابْتَدَعُوا هَذِهِ الرَّهْبَانِيَّةَ وَ غَيَّرُوا فِيهَا، كَمَا أَنَّ الزَّهْدَ أَسَاسًا فَضِيلَهُ دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ إِلَّا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ابْتَدَعُوهَا وَ جَعَلُوا لَهَا وَسَائِلَ غَيْرَ لِائْتِقَانِهِ مِمَّا دَعَا أُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى التَّبَرُّكِ مِنْهُمْ.

إذا الابتداع لم يكن في أصل الرهبانية التي تعنى الخشية من الله، و إنما في فروعها من اعتزال المجتمع في الأديرة، و وضع طقوس خاصة بها، و على هذا التفسير يكون قوله سبحانه: «مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» تبياناً للابتداع حيث أن الله كتب الرهبانية عليهم بهدف ابتغاء مرضاته فما رعوها حق رعايتها فحرفوها.

و قال البعض: إن الآيه تشير إلى أنهم ابتدعوا أصل الرهبانية ابتغاء رضوان الله، و أن الله لم يكتبها عليهم.

و قالوا: ليس بالضرورة أن يكون الإبداع مكتوباً بحذافيره في رساله ليكون

مشروعاً، بل يكفي أن يكون موافقاً وقيم الرسائل والأصول والقواعد العامّة فيها، لأنّ المهم أن ينطلق من الكتاب، و ينتهي إليه، و يلتزم به بتصديق الميزان. وهذا من مرونة الدّين، و قدرته على قياده الحياه المتطوّره، و هو يؤيد الإبداع، ما دام في حدود رضوان الله و شريعته، و من هنا فإنّ الرهبانيه جيده إن لم تؤدّ إلى:

١- التشبّث بظاهر الأمور على حساب القيم.

٢- اعتزال المجتمع و تكفيره دون الشهاده عليه و السعى نحو تغيير واقعه.

٣- التقاعس عن الواجبات الاجتماعيه.

٤- ابتزاز الناس، و اكتناز الذهب و الفضة، و الصدّ عن سبيل الله.

و ما إلى ذلك، و هو إفراغ للرهبانيه من مضامينها الحقه التي تعنى الحقائق التاليه:

أ: خشيه الله، و التقرب إليه بالتبّتل، و الزهد في حطام الدنيا.

ب: الاحتياط في الدّين، و الاجتهاد في العباده و أداء حقوق الناس، و إقامه أحكام الله على وجهها الصحيح لتحقيق أهداف الدّين و مقاصد الشريعه من خلالها، و جعل رضوان الله هو الغايه دون تكريس العصبيات و الأنانيات.

ج: اعتزال الناس تمهيدا لتغييرهم، و التقيه و الهجره من أجل الجهاد، دون جعلها هدفا بذاته و وسيله لترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامه حدود الله.

فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا وَ بَلَغَ بِهِمُ الْأَمْرَ إِلَىٰ دَرَجَةِ اسْتِغْلَالِ الْعِلْمِ وَ الدِّينِ النَّاسِ بِاسْمِهَا، وَ صَدَّوْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

جاء فى مسند أحمد بن حنبل: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله فى سريره من سراياه، فقال: مرّ رجل بغار فيه شىء من ماء، فحدّث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار، فيقوّته ما كان فيه من ماء، و يصيب ما حوله من البقل، و يتخلّى عن الدنيا، فقال: لو أنّى أتيت النبى صلى الله عليه و آله فذكرت ذلك له، فإن أذن لى فعلت، و إلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبىّ الله إننى مررت بغار فيه ما يقوّتى من الماء و البقل، فحدّثتنى نفسى بأن أقيم فيه و أتخلّى عن الدنيا، قال: فقال النبى صلى الله عليه و آله: «إنّى لم أبعث باليهوديه و لا بالنصرانيه (يعنى ما عليه اليهود و النصارى من التحريف) و لكننى بعثت بالحنيفيه السمحه، و الذى نفس محمد بيده لغدوه و روحه فى سبيل الله خير من الدنيا و ما فيها، و لمقام أحدكم فى الصف الأوّل خير من صلاته ستين سنه». (٢)

و يعضد هذا ما جاءت به الروايه

عن ابن مسعود قال: «كنت رديف رسول الله صلى الله عليه و آله على الحمار فقال: يا ابن أمّ عبد! هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيه؟ فقلت: الله و رسوله أعلم، فقال: ظهرت عليهم الجبابره بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصى الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا و لم يبق للدين أحد يدعوا إليه، فتعالوا تتفرّق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى عليه السلام (يعنون محمدا صلى الله عليه و آله)، فتفرّقوا فى غيران الجبال، و أحدثوا رهبانيه، فمنهم من تمسك بدينه، و منهم من كفر، ثم تلا الآيه: وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ.... إلى آخرها ثم قال: يا ابن أمّ عبد أ تدري

ص: ١١٥

ما رهبانيه أمتي؟ قال: الهجره و الجهاد و الصلوه و الصوم و الحج و العمرة .»

و

فى حديث آخر أنه قال :«يا ابن مسعود! اختلف من كان قبلكم على اثنين و سبعين فرقه، نجا منها ثنتان و هلك سايرهم، فرقه قاتلوا الملوكة على دين عيسى فقتلوههم، و فرقه لم يكن لهم طاقه لموازاه الملوكة، و لا أن يقيموا بين ظهرانيتهم يدعونهم إلى دين الله تعالى و دين عيسى، فساحوا فى البلاد و ترهبوا، و هم الذين قال الله: وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ، ثم قال النبى صلى الله عليه و آله: من آمن بى و صدقنى و اتبعنى فقد رعاها حق رعايتها، و من لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون. (١)

و هذه الروايه فى الواقع موافقه لما نعرفه من مقاييس الشرع، و هى تفسير الروايه التى تنقلها المذاهب الإسلاميه كلها عن النبى صلى الله عليه و آله بأن الأئمه سوف تفترق بعده (٧٣) فرقه كلها هالكه إلا واحده، و هى التى تقا تل الطغاه. أما الذين يعتزلون الساحه، و يتفرجون على صراع الحقّ و الباطل، أو الذين يتبعون الملوكة و التيار العام فى المجتمع صحيحا كان أو مخطئا، فليسوا من الناجين، و من هنا يتضح لنا أنّ الحديث الذى يشير إلى أنّ الفرقة الناجيه من أمّه محمد صلى الله عليه و آله هى التى تتبع الجماعه و الأكثريه و لا تخالف الجبابره و الطغاه هو حديث موضوع على يد حكام الجور و من أيدهم من أدعياء الدين.

و مع أنّ الفرق و المذاهب التى يصير إليها الناس كثيره إلا أنّ القرآن يصنفها إلى خطين: خط الحق و خط الباطن.

فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ

ص: ١١٤

(١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٥١-٢٥٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي/ج ١٧ ص ٢٦٥

بعيسى عليه السلام و اتبعوه قبل أن يتوفاه الله، أو حافظوا على إيمانهم بعده فكانوا ممن رعى الرهبانية حق رعايتها، ولما جاء الرسول صلى الله عليه و آله آمنوا به و اتبعوه..

أَجْرُهُمْ و الأجر هو الجزاء فى مقابل شىء، و المؤمنون من أهل الكتاب يعطيهم الله أجرهم مقابل الإيمان و العمل الصالح، و ليس لمجرد انتمائهم إلى دين المسيح عليه السلام و مجتمعه و أشياعه. و ينسف القرآن النظرية العرقية و العنصريه لدى الضالين من أهل الكتاب فيقول:

وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ضَالُّونَ مُنْحَرِفُونَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، لَا تَنْفَعُهُمْ عُنُصْرِيَّتُهُمْ و لَا انْتِمَاءَاتُهُمُ اللَّفْظِيَّة.

[٢٨] و إذا كانت الرهبانية القائمه اليوم بدعه زائفه عن السبيل، فما هى الوسيله التى تقربنا إلى ربنا أكثر فأكثر لمن اشتاق إلى الزلفى إليه سبحانه، و نيل مرضاته و حبه و الدرجات العلى من جناته؟ فى خاتمه سوره الحديد-سوره التبتل و الجهاد-يبصّرنا ربنا بالوسيله التى يتخذها من شاء أن يتخذ إلى رضوان ربه سبيلا.

و يوجه ربنا الخطاب إلى المؤمنين بالله جميعا ممّا يشمل الفريق الأول من أهل الكتاب، و كذلك المؤمنين فى عهد النبى محمد صلى الله عليه و آله لا يفرّق بين أحد منهم، يدعوهم إلى صدق الإيمان و التقوى بترغيب فى رحمه و فضله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا



وإنها لكرامه أن يخص الخالق فريقا من خلقه بحديث من ذكره، وإنه لمن الشقاء أن يتلهى المؤمنون عن هذا الحديث، فلا تخشع له قلوبهم، ولا تسعى إليه جوارحهم! من هنا يسارع المؤمنون حقا عند ما يسمعون هذا النداء إلى القول: لبيك اللهم لبيك.

لماذا القرآن الكريم يخص النداء بالمؤمنين حيناً و يخاطب الناس أحيانا، علما بأن آياته تتسع كل تال لكتاب ربّه؟ ربما لأن الإيمان شرط أساسى فى الموضوع. ألا- ترى كيف أنّ القرآن يعمّم الخطاب للناس فى غير ذلك، مثل القضايا العلميه التى لا يشترط الإيمان فى تنفيذها كالنفاذ من أقطار السموات و الأرض، فيقول: يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (١)، و يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ (٢)، أو فيما يتصل بحكم يشمل الناس جميعا كالعلاقه بين الشعوب فى قوله سبحانه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (٣). أمّا هنا فإنّ العمل بالمضمون يحتاج إلى الإيمان فلا يقفز الإنسان من الكفر إلى الإيمان بالرسول، بل لا بد أن يؤمن بالله أول ثم برسوله، كذلك لا يقفز من الكفر إلى التقوى التى هى من مراحل الإيمان المتقدمه إلا بعد الإيمان بالله و الرسول.

ص: ١١٨

١-١ (١) الرحمن ٣٣/

٢-٢ (٢) الحج ٥/

٣-٣ (٣) الحجرات ١١/

اتَّقُوا اللَّهَ و بعباره: إنَّ المسافه بين الإنسان و بين الاستجابه للوحى و اتباع القياده الرساليه مليئه بالتحديات و الضغوط، و لا يقدر الإنسان على طيها إلا بزيادة التقوى التى يواجه بها أشواك الطريق.

وَ آمَنُوا بِرُسُلِهِ فَهُوَ مَحَكُّ الْإِيمَانِ وَ التَّقْوَى، و ما هى قيمه إيمان لا يتحوّل فى واقع الإنسان إلى ولاء دينى، اجتماعى، سياسى، عملى، للقياده الرساليه الصالحه، و يصوغ شخصيه الإنسان صياغه ربّانيه بعيده عن قوالب التحزّب الأعمى، و العصبية الضيقه، و القوميه المحدوده، و الوطنيه الزائفه، و... و...؟ ما قيمه الإيمان الذى لا يصنع مجتمعا صالحا، يعمر الأرض، و ينصر الضعفاء، و يقاوم الطغاه و المجرمين؟ بلى. إنّه سوف يواجه ضغوط القياдах المنحرفه، و المجتمع من حوله، و لكن ليعلم أنّ ما يجده مع التقوى و اتباع القياده خير ممّا يفوته من حطام الدنيا.

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ قِيلَ غِ الْكِفْلِ هُوَ مَا يَشُدُّ الرَّاكَبَ إِلَى سَنَامِ الْإِبْلِ، و يتكفل بإجلاسه عليها (1)، و لكل فرد كفل، فتطوّر المعنى و الاستخدام حتى أصبحت الكلمه تعنى النصيب الكامل للشخص، و الذى يتقى الله و يؤمن بالرسول ينال نصيبين و حظّين، فلا يخسر الدنيا بسبب الترهّب الزائد عن حدّه، كما هو حال بعض أهل

ص: ١١٩

---

١- ١) فى التفسير الكبير قال المفضل بن سلمه: الكفل: كساء يديره الراكب حول السنام حتى يتمكن من القعود على البعير

الكتاب، و لا يخسر الآخره بسبب الالتصاق المفرط بالدنيا، كما يستوى إلى ذلك الكثير من المؤمنين الذين قدّم لهم الله التعريف بالدنيا و الدعوه إلى الآخره فى الآيات (١٩-٢٤)، و الكثير من الناس، فالإسلام منهاج متوازن يريد لأتباعه الدنيا و الآخره،

فعن أبى الجارود قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: لقد أتى الله أهل الكتاب خيرا كثيرا، قال: و ما ذاك؟ قلت: قول الله عزّ و جلّ: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ إِلَى قَوْلِهِ: أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا قَالَ:

فقال: قد آتاكم الله كما آتاهم، ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾. (١)

وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ نَتِيجه التقوى و الإيمان بالرسول. قال البعض: أى يوم القيامة، و هو النور المذكور فى قوله: «يَسْعى نُورُهُمْ» (٢)، و لكن ما الذى يجعل هذا النور محدودا بالآخره؟ أو ليست حاجه الإنسان إلى النور قائمه فى الدنيا أيضا؟ قال تعالى:

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا (٣). هكذا بيدون أنّ النور الذى جاء فى هذه الآيه و فى تلك هو البصيره فى الحياه و التى تتمثل يوم القيامة نورا ساطعا.

لماذا جىء بنا إلى الحياه الدنيا، و ما هى أهدافنا الكبرى فيها، و ما هى سنن الله الحاكمه، و اختلاف الناس و ما هو الموقف المناسب و الموازين الحق كيف نعرف بها أمورنا؟ و عشرات من البصائر القرآنيه التى يؤتيها ربنا الذين آمنوا و اتقوا.

ص: ١٢٠

١-١) نور الثقلين / ج ٥ ص ٢٥٤

٢-٢) التفسير الكبير عند الآيه يتابع الكشاف

٣-٣) الانعام ١٤٢/

و تجسد القيادة الرسالية هذه البصائر فيما طرحه من مواقف أو تصدره من أوامر، لذلك فهي أيضا نور للمتقين المتمسكين بها.

ومع أن مصدر النور هو الوحي إلا- أننا بحاجة إلى القيادة الربانية، لأنها الأقرب إلى حقائق الوحي، فهي المرآة الصافية التي تعكس حقائقه بصدق وأمانة ووعي، وما أحوجنا إلى هذا النور ونحن نعيش في عالم كثرت فيه البدع، والمذاهب الضالة، ووسائل الاعلام والثقافة المضللة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «نُوراً تَمْشُونَ بِهِ» يعني إماما تأتمون به (١) وهكذا عن الصادق عليه السلام . وإن المهم ليس أن يتحرك الإنسان أو يمشى، إن المهم أن تكون حركته في الطريق المستقيم نحو الأهداف التي خلق من أجلها، وهو لا يصير إلى ذلك إلا- بالنور، والله هو الذي يجعله في قلبه يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ (٢)، والجعل إِمًّا يكون مباشرة عبر الوحي وإما غير مباشر عبر المقاييس والموازن التي يشخص بها القائد للناس.

و حينما يضيف الإنسان إلى إيمانه التقوى واتباع القائد الصالح فإن ذلك سيطهر قلبه وسلوكه من الانحرافات والذنوب، فالتقوى تخلص نيته وتدفعه للطاعة كما تجنبه المعصية، والقيادة تنير له الدرب ليشق طريقه على بصيره وهدى.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٢٩] التقوى هي المقياس لا الاعتبارات العرفية والعنصرية والقومية والمادية أو غيرها لأنها ساقطه في الإسلام، وتبقى قيمه واحده هي التقوى كما قال الله:

ص: ١٢١

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٥٢

٢-٢) النور/٣٥

لَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١)، و يؤكد القرآن هذه القيمه فى مئات المواضع، كما يؤكدها هنا مرتين: مره بتعميم الخطاب لكل المؤمنين، دون اشتراط صفات و اعتبارات ماديه، و مره عند ما يصرح بأن السبل مشرعه إلى فضل الله للجميع.

لِتَلَّا- يَعلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْتَدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْآيَةِ وَ جِهَانِ، يكون المعنى على الوجه الأول: لكى لا يقنطوا من روح الله و فضله فيزروا بذلك عدم إيمانهم بالرسول صلى الله عليه و آله و الكتاب الجديد، أو يبرروا عدم سعيهم إلى الرحمة و الفضل، كلاً.. فدعوه الله و وعده للجميع.

أما على الوجه الثانى فيكون المعنى: لكى لا يظن أهل الكتاب (النصارى و اليهود) أن الفضل حكر عليهم، و أن المؤمنين المسلمين لا سبيل لهم إلى فضله تعالى، كلاً..

وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ يَبْدُو أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَعِيشُونَ عَقْدَتَيْنِ خَطِيرَتَيْنِ: الْأُولَى: أَنَّهُمُ الْعَنْصُرُ الْأَسْمَى فَالْفَضْلَ لَهُمْ لَا لِغَيْرِهِمْ، الثانيه: أَنَّهُمْ لَوْ آمَنُوا لَا يَتَسَاوُونَ فِي الْفَضْلِ مَعَ السَّابِقِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ عَرَبٌ وَ هُمْ غُرَبَاءُ، أَوْ لِأَيِّ سَبَبٍ آخَرَ.

و خاتمه الآية (و ربما فاتحتها أيضاً) تنفى كلتا العقدتين، لأنَّ الفضل بيد الله فإنه يؤتیه للمسلمين كما آتاه سابقاً لأهل الكتاب عند ما آمنوا برسولهم، ثم لأنَّ الفضل بيد الله فإنه لا- يميز بين عربى و أعجمى، و سابق و لا- حق، و مواطن و أجنبى (حسب التعبير الحديث)، و قرشى و حبشى، فكل من آمن و اتقى شمله الله

ص: ١٢٢

بفضله..و بهذا نجمع بين وجهى التفسير الذين ذكرناهما آنفا حول الآية.

□ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَتَسَعُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ سَعَىٰ لَهُ سَعِيهِ، فَمَنْ أَرَادَ مَنَعَ غَيْرَهُ عَنْهُ، أَنْ تَصَوَّرَ أَنَّهُ لَا يَتَسَعُ لَهُ فَإِنَّمَا يَسْتَصْغِرُ فَضْلَ رَبِّهِ وَيَسْتَقَلُّهُ، وَهَذَا شَأْنُ النَّفُوسِ الْمَرِيضَةِ بِعَقْدِ الْإِحْسَاسِ بِالْحَقَّارَةِ وَالِدُونِيَّةِ، وَالْمَرِيضَةِ بِالْعَنْصَرِيَّةِ وَالْحَسَدِ، وَهَذَا وَذَاكَ لَا يَمْتُّ إِلَى الْإِيمَانِ بِصَلِهِ. □ وَالآيَةُ تَشْبَهُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: □ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ □ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١)، فَرَبَّنَا يَدْعُوا إِلَى التَّسَابُقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا إِلَى التَّوَقُّفِ بِسَبَبِ الْيَأْسِ، وَلَا إِلَى الصَّرَاحِ بِسَبَبِ النَّظَرِ الْعَنْصَرِيَّةِ.

و لعلّ ما ورد فى مورد نزول الآية يشير إلى بعض ما سبق ذكره..

فى مجمع البيان قال سعيد بن جبیر: بعث رسول الله صلى الله عليه و آله جعفرًا فى سبعين راكبًا إلى النجاشى يدعوه، فقدم عليه و دعاه، فاستجاب له و آمن به، فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته و هم أربعون رجلاً: ائذن لنا فنأتى هذا النبى فنسلم به، فقدموا مع جعفر، فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصه استأذنوا و قالوا: يا نبى الله إنّ لنا أموالًا و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصه فإن أذنت لنا انصرفنا فجننا بأموالنا فواسينا المسلمين بها؟ فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله تعالى فيهم: □ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ □ إلى قوله: □ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ □ فكانت النفقه التى واسوا بها المسلمين، فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله: □ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ □ بما صَبَرُوا فخرُوا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين أمّا من آمن

ص: ١٢٣

بكتابكم وكتابنا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ... الآية فجعل لهم أجرين و زادهم النور و المغفرة، ثم قال: لئلا يعلم أهل الكتاب...

و قال الكلبي: كان هؤلاء أربعة و عشرين رجلا قدموا من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و هو بمكة، لم يكونوا يهودا و لا نصارى، و كانوا على دين الأنبياء، فأسلموا، فقال لهم أبو جهل: بنس القوم أنتم و الوفد لقومكم، فردوا عليه:

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ... الآية فجعل الله لهم و لمؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام و أصحابه أجرين اثنين، فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و يقولون: نحن أفضل منكم لنا أجران و لكم أجر واحد، فنزل: لئلا يعلم أهل الكتاب... إلى آخر السورة. (١)

ص: ١٢٤

سوره المجادلہ

اشارہ

ص: ۱۲۵





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فضل السوره

فى ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (رض) بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «من قرأ سوره الحديد و المجادله فى صلاه فريضة أدمنها لم يعذبهُ الله حتى يموت أبداً، و لا يرى فى نفسه و لا فى أهله سوءاً أبداً، و لا خصاصه فى بدنه».

ثواب الأعمال و عقاب الأعمال / ص ١٤٥

ص: ١٢٧



للنفس حرم تنطوى فيه و تتحصن داخله عن بصائر الوحي و ضياء العبر و العظات، و ما لم يخرق الإنسان بعزائم اليقين حجب النفس إلى حرمها فإنه لن يفلح. و لكن كيف يتم ذلك، و بماذا؟ إنما بمعرفة الرب، و أنه سميع بصير. إن وعى شهاده الله على كل شيء كفيله بتنميه الوعي الديني في النفس، هنا لك في تلك الأغوار التي تنضج قراراتها و تتحدّد و جهتها ربما بعيدا عن وعى صاحبها، هنا لك يصلح الإيمان ما تفسده وساوس الشيطان.

و لعلّ في سوره المجادله نورا نافذا إلى ذلك البعد الباطن، إلى ذلك الغور العميق، إلى ذلك الحرم المستور في النفس البشريه، و هذا الإطار يجمع حسبما يبدو لى بين محاور السوره التي تتراءى باديئ النظر أنها متباينه. كيف ذلك؟

ألف) في فاتحه السوره و في بدايه الجزء الثامن و العشرين من الذكر الكريم يتلو علينا الرب كلمه السمع، فالله سمع قول التي جادلت الرسول في قصه الظهار و اشتكت إلى الله، و سمع تحاورها و الرسول، و إنه سميع بصير.

ب) و بعد أن يسوق الذكر أحكام الظهار و يحدّد كفّارته يقول: «ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» مِمَّا فَتِيرَ بِأَنَّهُ يَعْنِي تَنْمِيهِ رُوحَ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الْمَفْرُوضَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

فإذا الحكمة من الكفّاره تنميه روح الإيمان في النفس، على أنّ الظهار يتم في العلاقه الزوجيه التي هي من الأمور الشخصيه و المستوره عاده، و أنّه موقف خاص لا يمكن ضبطه إلا بالإيمان و بروح التقوى، كما أنّ كفّارته كبيره، و الدافع الجنسي الذي يقف الظهار دونه متصاعد، و ضمن هذه الظروف لا ينظّم العلاقه سوى الوازع النفسى الذي تصنعه معرفه الإنسان برّبّه و بأنّه سميع بصير.

ج) و بعد أن ينذر السياق الذين يتجاوزون حدود الله (و منها أحكام الشريعة في الظهار) يذكّرنا بيوم البعث حيث يتبئى الله الكافرين بما عملوا، و يبيّن أنّه قد أحصى ما لم يحفظوه و أنّه شاهد على كلّ شىء. و كلّ هذه البصائر تنمى روح التقوى في النفس ليس في أبعادها الخارجيه بل في حرمها المستور.

د) و عبر أربع آيات بينات يعالج الذكر موضوعه النجوى التي تتصل بتنميه الوعى الإيمانى في النفس، و مؤكّداً -أولاً- أنّ الله سبحانه حاضر عند كلّ نجوى، فما من نجوى ثلاثه إلا هو رابعهم، و لا خمسه إلا هو سادسهم، ثمّ ينذر الذين يتناجون بالإثم و العدوان، و يتحدّون عذاب الله، و يكفرون بالنذر قائلين:

لماذا لا يعدّنا الله بعد التناجى؟ حسبهم جهنّم، و يرسم القرآن حدود النجوى المسموح بها.. عند ما يتمّ التناجى بالبر و التقوى، و ينفى أى أثر لتناجى الكفّار، و يأمر المؤمنين بالتوكّل على الله.

و من الواضح: أنَّ التقوى هي وحدها التي تضبط النجوى من الانحراف في الإثم و العدوان و معصية الرسول، و بما أنَّ هدف تناجي الكفار تعالى يوصى ربنا المؤمنين بالتواضع لبعضهم بالتفصح في المجالس، و تركها إذا أمروا بها، و يبين أنَّ الله هو الذى يرفع المؤمنين و أهل العلم درجات (بدرجات إيمانهم و علمهم)، و أنه ليس انتخاب المجالس القريبه من قياده أو طول المكث عندها سبب تعالى كما يحسب الكفار و المنافقون.

و يأمر المؤمنين بإيتاء الصدقه قبل تناجي الرسول (لكى لا يتسابقوا إلى ذلك طلبا للفخر)، ثم يتوب عليهم رعايه لهم لأنهم أشفقوا عن تقديم الصدقات.

ه) و يعالج السياق بعدئذ موضوعه البراءه من الكفار التي تتصل أيضا بالوعى الإيماني، و ينذر المنافقين الذين يتولونهم واقعا، ثم يتخذون أيمانهم جنه حيث يحلفون على الكذب أنهم مؤمنون حقا (كل ذلك طلبا للثوره و القوه، و لا يعلمون أنهما لا تنفعانهم شيئا).

و يبين القرآن أنَّ الأموال و الأولاد لا تنفع يوم القيامه حيث يعثهم الله ليحاسبهم فإذا بهم يحلفون له عبثا كما يحلفون للمؤمنين فى الدنيا.

و) و ما يفرق بين المؤمن و المنافق ليس تلك المظاهر (مناجاه الرسول، و التقرب المكاني منه، و التأكيد على صدق الإيمان بالحلف الكاذب)، إنما هي تلك الحقائق (التحسس بشهاده الله، و الكفاره عند الظهار، و مراعاة حدود الله و أحكامه، و التواضع لأولياء الله، و البراءه من أعداء الله)، و بها يتميز حزب الشيطان عن حزب الله فإنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون، و هم الذين يتجاوزون حدود الله (و يتولون أعداء الله)، و لقد كتب الله بغلبه رسله، و أكد أنَّ المؤمنين حقا لا يتولون من حادَّ الله حتى و لو كانوا من ذوى قرباهم، لأنَّ الله قد ثبت

قلوبهم على الإيمان، و أيدهم بروح منه، و أعدّ لهم جنّات خالدين فيها، و قد رضى عنهم و رضوا عنه، و اعتبرهم من حزبه. أَلَا إِنَّ  
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

ص: ١٣٢

## [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١ الى ٦]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهِمَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ  
بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا  
وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ (٢) وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ تَوْعُظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيحًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتُومِنُوا  
بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنْ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ  
قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)



٥]كتبوا]:أى أذلهم الله و أخزاهم،و الكبت:القهر و الإذلال.

ص:١٣٤

هدى من الآيات:

فى قضيه عائليه كالظهار، و عند تحاور خاص بين الرسول و واحده من المسلمات بشأن مشكلتها هذه، ينزل الله قرآنا. أئى شهادة أكبر من شهاده الرب على الحواث الواقعه، أم أئى حضور فاعل للوحى فى يوميات الأمه! بلى. إن الله يسمع تحاورهما.

و لقد كانت العرب ترى أن الرجل إذا قال لزوجته: (أنت على كظهر أمى) حرمت عليه أبدا، و كان ينطوى هذا الحكم على ظلم كبير للمرأة التى لا تعاشر آنثذ معاشره الأزواج، و لا تسرح للترؤج من رجل آخر.

لقد كان الظهار من العادات الجاهليه التى فتت الكثير من الأسر قبل بزوغ نور الإسلام، و قد تعود عليها المجتمع، و بقى إيمان الكثير بها إلى ما بعد إسلامهم، و حيث أراد الله لرسالته أن تكون بديلا عن الجاهليه فقد نزل الوحى يدافع عن الأسره باعتبارها إذا صلحت و قويت كانت أساس بناء المجتمع و الحضاره، و من

هذا المنطلق حارب القرآن فكره الظهار، واعتبرها منكراً و قولاً زوراً، لا يبزرهم شرع الله و لا الواقع، فإن قول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي لا يصيرها أمًا له: «إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَمَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا»، يشبهه و لكن بصورة أعظم خطراً عند الله و في واقع المجتمع فكره الأدياء التي عالجها الذكر الحكيم في سورة الأحزاب. (١)

و في الوقت الذي تسفّه سورة المجادله فكره الظهار كما يتصوّرها الجاهليّون من المسلمين، بأنّها لون من الطلاق الدائم الذي لا تصح بعده الرجعه، تؤكّد هذه السورة بأنّ الرجعه ممكنه حفاظاً على كيان الأسره و المجتمع و رعايه لعواطف الإنسان، و لكنّها تفرض كفّاره عليه قبلها (تحرير رقبه، أو صيام شهرين، أو إطعام ستين مسكيناً)، و ذلك يعنى أنّ الإسلام يعتبر الظهار أمراً مشروعاً، إنّما أراد بذلك الوقوف أمام تأثر المسلمين بالجاهليه من جهة، و دفعهم من جهة أخرى إلى أخذ شرائعهم و ثقافتهم من مصدرها الصحيح و الأصيل، «ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ»، و ما دون ذلك فهو صنيع الجاهليه الضالّه الكافره، و الذي ينبغي الاستغفار منه، لأنّ الإيمان و العمل به يستوجب غضب الله و عذابه، «و لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

### بينات من الآيات:

[١]

نزلت الآيات في امرأه من الأنصار ثم من الخزرج و اسمها خوله بنت خويلد عن ابن عبّاس، و قيل خوله بنت ثعلبه عن قتاده و مقاتل، و زوجها أوس بن الصامت، و ذلك أنّها كانت حسنه الجسم فرآها زوجها ساجده في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها، و كان امرءا فيه سرعه و لمم، فقال لها:

ص: ١٣٦

أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم علي ما قال و كان الظهار من طلاق أهل الجاهلية فقال لها: ما أظنك إلا و قد حرمت عليّ، فقالت: لا تقل ذلك، و أت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فأسأله فقال: إنني أجد أنني أستحي منه أن أسأله عن هذا، قالت: فدعني أسأله؟ فقال: سليه، فأتت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و عائشه تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني و أنا شابهه غايه ذات مال و أهل حتى إذا أكل مالي و أفنى شبابي و تفرق أهلي و كبرت سنّي ظاهر مني، و قد ندم فهل من شيء يحبسني و إياه فتعشني به؟ فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): ما أراك إلا حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله! و الذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، و إنه أبو ولدي و أحب الناس إليّ، فقال (صلى الله عليه و آله): ما أراك إلا حرمت عليه، و لم أؤمر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و إذا قال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله) حرمت عليه هتفت و قالت: أشكو إلى الله فاقتي و حاجتي و شدّه حالي. اللهم فانزل على لسان نبيك. و كان هذا أول الظهار في الإسلام، فقامت عائشه تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: أنظر في أمرى جعلني الله فداك يا نبي الله، فقالت عائشه:

أقصرى حديثك و مجادلتك أما ترين وجه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و كان (صلى الله عليه و آله) إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي قال: ادع زوجك، فتلا عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله): «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا... إلى تمام الآيات»،

قالت عائشه: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها. إن المرأة لتحاوّر رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها و يخفي عليّ بعضه إذ أنزل الله: «قَدْ سَمِعَ...»، فلما تلا عليه هذه الآيات قال له: هل تستطيع أن تعتق رقبه؟ قال:

إذا يذهب مالي كله، و الرقبه غاليه و إنى قليل المال، فقال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال: و الله يا رسول الله إنني إذا لم آكل ثلاث مرّات كلّ

بصرى، و خشيت أن تعشى عيني، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال: لا- و الله إلا- أن تعيننى على ذلك يا رسول الله، فقال: إننى معينك بخمسه عشر صاعا، و أنا داع لك بالبركه، فأعانه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بخمسه عشر صاعا فدعا له البركه فاجتمع لهما أمرهما. (١)

و حينما نتدبر آيات الدرس على ضوء هذا النص التاريخى نستوحى بصيرتين:

الأولى: أن هذه الحادثه جعلت مناسبه لنزول الوحي ليكون أبلغ أثرا، و هكذا الكثير من الأحداث التى تزامنت و نزول آيات من الذكر الحكيم. الثانیه: حضور الوحي عند قضايا الأممه و مشاكلها، فليس الوحي أفكارا مثاليه، إنما كان حاضرا مع كل حدث، و شاهدا على كل قضيه، مما جعله قطب رحي الأممه و أساس بناء حضارتها.

فلا غرابه أن ترتجى خوله حلا لمعضلتها عند النبي (صلى الله عليه و آله)، بل و تحاوره إلى حدّ الجدل، لأنها كأي مسلم و آيه مسلمه ترى فى القرآن و عند القيادة الربانيه حلا لكل مشكله، و جوابا لكل تساؤل. و لا ريب أن هذه العلاقه الوثيقه بين الأممه و كتابها و قيادتها أولدت حضاره الإيمان التى لا زالت فى مثلها و قيمها كما فى واقعها مثلا و أسوه للبشرية.

إنّ خوله ألحت على الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و راجعته فى الجدل مرّات و مرّات، و لكنّه ما كان ليستصدر حكما من عند نفسه متأثرا لحالها، و ما كان يعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه، مما يؤكّد أنّه مرسل من قبل الله، لا ينطق عن الهوى و لا- عن عقل البشر. و إنّهُ لمن صفات القيادة الرساليه انطلاقتها فى أحكامها و مواقفها و رؤاها من الرساله، و ليس عيبا السكوت، إنّما العيب أن يحكم

ص: ١٣٨

الإنسان على أساس الهوى و الجهل، أو أن يتقوّل على الله، فهذا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) على عظمته يجب المرأة: «و لم أوامر في شأنك بشيء»، حتى نزل قوله تعالى في شأن الظهار.

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا أَي فِي شَأْنِهِ وَ أَمْرِهِ، تَرِيدُهُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا.

وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ تَكْشِفُ مَجَادِلَتَهَا وَ شَكَاوَاهَا عَنِ الْأَثْرِ الْعَمِيقِ لِلْحَادِثَةِ فِي نَفْسِهَا، لِأَنَّ الظَّهَارَ فِي عَرَفِ الْجَاهِلِيَةِ يَنْهَى كِيَانَ الْأَسْرَةِ إِلَى الْأَبَدِ. إِنَّهَا حَقًا صُورُهُ مِنَ الْغَيِّ وَ الضَّلَالِ تَعَكُّسَ مَأْسَاءِ الْإِنْسَانِ فِي ظِلِّ الْجَاهِلِيَةِ.

بلى. إنَّ الأمر قَضَ مضجع هذه المرأة الضعيفه، و ما فتأت تعاود رسول الله في أمرها، لعلها تجد بلسما في دين الله، و عند رسول الرحمة. و إن قلبها ليحدّثها بأنّه تعالى أسمى من أن يعطى لهذه العادات شرعيه، ممّا يدفعها للحوار مع النبي المرّه بعد الأخرى دون يأس. و كلّ ذلك بظاهره و باطنه و بدقائق تفاصيله لم يكن ليخفى على الله.

وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّهُ شَاهِدٌ نَاطِرٌ، لَا حَاجِبَ يَمْنَعُهُ، وَ لَا سِتْرَ يَسْتُرُ عَنْهُ. إِنَّهُمَا الْآنَ وَاقِفَانِ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ يَتَحَاوِرَانِ،

تقول هذه المرأة المجادله لرسول الله -حسب بعض النصوص-: يا رسول الله قد نسخ الله سنن الجاهليه، و إن زوجي ظاهر مني، فقال لها: ما أوحى إليّ في هذا شيء، فقالت: يا رسول الله أوحى إليك في كلّ

شيء و طوى عنك هذا؟ فقال: هو ما قلت لك.

هذا رسول الرحمة، هذا مركز العطف و ينبوع الحنان، هذا صاحب الخلق العظيم، و لكنّ الله أرحم الراحمين و أعظم عطفًا و حنانًا فلا- يجوز أن نرى أحداً أقرب إلينا منه و لا- أرحم، حتى و لو كان الشفيح الحبيب محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم) على أنّه السبيل إلى الله، و أقرب الوسائل إليه، و أقرب الشفعاء.

إنّ الله سمع تحاورهما، فلما ذا لا نراقبه في سرائرنا، و لماذا نخوض في أحاديثنا مع الخائضين؟ لماذا لا نجأر إليه عند الشدائد، أو ليس ربّنا نعم الربّ لنا، فلما ذا لا نصبح نعم العبيد له؟!

يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في دعائه المعروف :

«و إلى غيرك فلا تكلنى. إلهى إلى من تكلنى؟ إلى قريب فيقطعنى أم إلى بعيد فيتجهّمنى أم إلى المستضعفين لى، و أنت ربّى و مليك أمرى، أشكو إليك غربتى، و بعد دارى، و هوانى على من ملكته أمرى» (١) إنّ الله سميعٌ يحيط بظاهر الكلام.

بصيرٌ ينفذ علمه بما تنطوى عليه السرائر.

و الآيه تعكس صورته عن مكانه المرأه فى الإسلام، و أنّها مع الرجل على حد واحد فى علاقتها مع قيادتها الرساليه، تجادلها فى حقوقها، و تشتكى عند المشاكل

ص: ١٤٠

لديها، و تحاورها في مختلف القضايا و المواضيع، تستمع القول و تبدى الرأى، باعتبارها مكلفا له حقوقه و عليه واجباته الشخصية، بل باعتبارها جزءا من الأُمَّه يهَمُّها أمر الإسلام و المسلمين، و ينعكس عليها التقدم و التخلف، و النصر و الانكسار، فهذا الرسول القائد لا- يصدّ خوله عن التصدى لموضوع الظهار لأنها امرأه، إنّما يستقبلها بصدره الرحب رغم إلحاحها، و هى تروم الوقوف بوجه مشكله تهَمُّ كلّ مسلم و مسلمه، و تتصل بالنظام الاجتماعى للأسره. و قد تعوّدت هذه المرأه على هذه الخصله، كما تعودت سائر النساء و الرجال فى العهد الأول، على ممارسه حريتهم فى مواجهه ما كانوا يرونه خطأ، فقد روى أنّ عمر بن الخطاب مر بها فى خلافته و الناس معه على حمار، فاستوقفته طويلا و وعظته، و قالت: يا عمر قد كنت تدعى عميرا، ثم قيل لك عمر، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فأتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، و من أيقن بالحساب خاف العذاب. (١)

[٢] و يعالج القرآن مشكله الظهار فى البدء بنسف التصورات الجاهليه بأنّ الزوجه تصبح أمّا لزوجه بمجرد أن يقول لها (أنت على كظهر أمى)، و ذلك من زاويتين:

الأولى: الزاويه الواقعيه، فالأمومه ليست صفة اعتباريه يمكن إعطاؤها بالكلام كما العقود. إنّها ليست كالمال يكون لك فتملكه غيرك هبه أو بيعا أو وراثه ليصير ماله، إنّما هى صفة تكوينيه طبيعيه يعبر بها عن علاقته شخصين أحدهما والده و الآخر مولود.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ

ص: ١٤١



الثانيه: الزاويه الشرعيه، فالشرع قائم على أساس الواقعيات، وإنما يحرم زواج الرجل من أمه الحقيقيه، وليس الزوجه كذلك، فهي لا تحرم على زوجها لمجرد الظهار، لذلك يسفه ربنا رأى الجاهليين بأنه غير مقبول عند العقل و أنه باطل فيقول:

وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ الْمُنْكَرَ خِلَافًا لِّلْمَعْرُوفِ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْعَقْلُ.

وَ زُورًا وَ الزور هو القول الباطل و الحكم الذى لا يستند إلى حقّ و لا واقع، قال الله:

وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ (١) أى الشهاده الكاذبه.

وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ يعفو عن المنكر و يغفر الزور لمن تاب و عمل بالإسلام بعد الجاهليه، فإنه يجب ما قبله، إذا فالظهار ليس كما يظنّ الجاهلون لا- رجعه بعده، بلى. ذلك فى الجاهليه المقيته التى لا- تقوم إلا- على الباطل، و لا تنتهى إلا إلى تكبير الإنسان و تحطيمه، أما دين الله فهو يقوم على الحق و لا يستهدف إلا خيره و رحمته و هداه.

و إذا كانت هاتان الصفتان لله تزرع فينا الأمل و الرجاء فإنّ نزولهما يومئذ لا ريب أخذ فعله الإيجابى الواسع و العميق فى نفوس الكثير و حياتهم الاجتماعيه و الأسريه، حيث وضع عنهم الإسلام إصرًا و غلا- من إصر الجاهليه و أغلالها، طالما ظلّوا فى ربقته يشكون الدمار و الأسر، و بالذات أولئك النساء الضعيفات اللواتى

ص: ١٤٢

تعلّقن و تعقّدن بالظهار، فالرجل من جهته مجاز في الزواج لا يمنعه مانع، أمّا هي فيكتب عليها بأن تبقى لا تتزوّج أحدا غيره، و تعيش في جحيم.

و لعلنا نفهم من الآية أنّ للظهار مفسدتين: أحدهما ما يسمّيه القرآن بالمنكر، و الآخره ما يسمّيه بالزور، فهو من الجهه العمليه إثم يهدم الأسره، و ظلم للنفس و للمرأه و أولادها، و من الجهه المعنويه يعدّ افتراء على الله و زورا إذ هو تشريع بغير حجه من الله.

[٣] و الآن: ما هو الظهار، و ما هو الحل؟ الظهار هو أن يقول الزوج لزوجته أنت عليّ كظهر أمّي يقصد بذلك الظهار، و لا يقع إلاّ إذا توافرت شروط أهمها من جهه المظاهر أن يكون بالغاً عاقلاً مختاراً قاصداً، فلا يقع من مجنون، و لا صبي، و لا سكران، و لا هازل، و لا - غضبان، و من جهه الزوجه المظاهر منها الطهر من الحيض و النفاس، و أن تكون في طهر لم يواقعها فيه، و بحضور شاهدين عادلين يسمعان الصيغه (١)، هكذا

جاء في الحديث المأثور عن حمران عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «لا يكون ظهار في يمين، و لا في إضرار، و لا في غضب، و لا يكون ظهار إلاّ في طهر من غير جماع بشهادة شاهدين مسلمين» (٢) و روى عن زواره عنه (عليه السلام) في حديث أنّه سأله: كيف الظهار؟ فقال: «يقول الرجل لامرأته و هي طاهر من غير جماع: أنت عليّ حرام مثل ظهر أمّي، و هو يريد بذلك الظهار» (٣) و عن زواره عنه (عليه السلام) قال :

«لا طلاق إلاّ ما أريد به الطلاق، و لا ظهار إلاّ ما أريد به الظهار» (٤)

ص: ١٤٣

١-١) راجع شرائع الإسلام كتاب الظهار

٢-٢) وسائل/ج ١٥ ص ٥٠٩

٣-٣) المصدر

٤-٤) المصدر/ص ٥١٠ و هناك شروط مفصل مذكوره في كتب الفقه الاستدلاليه فراجع

و هذا التشدد من قبل الإسلام بهذه الشروط يجعل الظهار الشرعى نادرا، و إن دل ذلك على شىء فإنما يؤكد حرص الإسلام على سلامه الأسره فهو يسعى لتأليف أفرادها و ربطهم إلى بعضهم، لكى تستطيع القيام بدورها الحضارى فى البناء و التقدم، كما و يضع الإسلام حلاً تشريعياً و عملياً ناجعا لمشكله الظهار، فمن جهه لا يعطيه شرعيه الجاهليه (الحرمة و التعليق إلى الأبد)، و لا يعدّه واقعا إلا إذا استكمل شروطه الشرعيه الآنفه الذكر، فبإمكان المظاهر أن يعيد النظر فى قراره و يعود إلى زوجته لو أراد. ثم يضع العقوبات الواعظه بما فيه الكفايه عن أن يتورط الإنسان المؤمن فيه، و إذا تورط فيه لا يعود إليه مرّه أخرى و يكون موعظه لغيره.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ ظَاهَرًا مَّشْرُوعًا فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْطَعُ كُلَّ الْوَسَائِجِ إِلَى الْأَبَدِ، و إنّما يؤثر عملياً فى العلاقه الجنسيه المباشره، و بتعبير الروايات يمنع الوطأ (التماس) إلى أداء الكفّاره و تذوّق العقوبه الشرعيه، حتى أنّ أكثر الفقهاء جوّزوا ما دون الوطء كالقبله و سائر أنواع المزاح، فهو أقلّ حتى من الطلاق لأنّ المرأه لا تبين من زوجها به وحده و لا تعتد. و هذا الموقف من الإسلام يسهّل الحلّ و يهوّن المشكله بخلاف الحكم الجاهلى فى الموضوع (١).

و المظاهر على الخيار بين قطع العلاقه بالطلاق المشروع و بين العوده إلى زوجته، و للحاكم الشرعى أن يضيق عليه حتى يختار أحدهما لو رفعت المظاهر منها أمرها إليه بهدف منعه من التعليق (٢).

و القرآن فى هذا الموضوع لا يذكر الخيار الأوّل (الطلاق)، و إنّما قال:

ص: ١٤٤

١-١) راجع وسائل الفقهاء عند الموضوع

٢-٢) شرائع الإسلام

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا يَعْنِي يَعُودُونَ إِلَى الزَّوْجِ الَّذِي قَالُوهُ فِي صِيغَةِ الْعَقْدِ أَوْ يَعُودُونَ إِلَى الظَّهَارِ بِقَصْدِ نَقْضِهِ وَ عِلَاجِهِ، وَ سِوَاءِ هَذَا أَوْ ذَاكَ فَإِنَّ الْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَ هُوَ إِرَادَةُ الْوِطْأِ الَّذِي حَرَمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالظَّهَارِ. وَ لَكِنْ يَبْقَى سَأَلٌ: كَيْفَ اسْتَفَادُوا هَذَا الْمَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ؟ أَجَابَ الْقُرْطُبِيُّ عَلَى الْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلِ بِمَا يَلِي: وَ تَحْقِيقُ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْعِزْمَ قَوْلَ نَفْسِي، وَ هَذَا رَجُلٌ قَالَ قَوْلًا اقْتَضَى التَّحْلِيلَ وَ هُوَ النِّكَاحُ وَ قَالَ قَوْلًا اقْتَضَى التَّحْرِيمَ وَ هُوَ الظَّهَارُ، ثُمَّ عَادَ لِمَا قَالَ وَ هُوَ التَّحْلِيلُ، وَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ ابْتِدَاءُ عَقْدِهِ لِأَنَّ الْعَقْدَ بَاقٍ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنَّهُ قَوْلَ عِزْمٍ يَخَالِفُ مَا اعْتَقَدَهُ وَ قَالَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الظَّهَارِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: أَنْتَ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَفَّرَ وَ عَادَ إِلَى أَهْلِهِ. (١)

أَمَّا الْإِحْتِمَالُ الثَّانِي الَّذِي اخْتَارَهُ الْفَخْرُ الرَّازِي فَقَدْ مَهَّدَ لَهُ أَوَّلًا بِمَا حَكَاهُ عَنِ الْغُرَاءِ أَنَّهُ قَالَ: لَا فَرْقَ فِيهِ اللَّغَةُ بَيْنَ أَنْ يُقَالَ: يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا، وَ إِلَى مَا قَالُوا وَ فِيمَا قَالُوا، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: كَلِمَةٌ إِلَى وَ اللَّامُ يَتَعَاقَبَانِ كَقَوْلِهِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا»، وَ قَالَ: «فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ»، وَ قَالَ تَعَالَى: «وَ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا نُوحٍ»، وَ قَالَ: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا».

ثُمَّ قَالَ: قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: عَادَ لِمَا فَعَلَ، أَيْ فَعَلَهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: عَادَ لِمَا فَعَلَ، أَيْ نَقَضَ مَا فَعَلَ. وَ هَذَا الْكَلَامُ مَعْقُولٌ، لِأَنَّ مِنْ فَعَلَ شَيْئًا ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ فَقَدْ عَادَ إِلَى تِلْكَ الْمَاهِيَةِ لَا مُحَالَةً أَيْضًا، وَ أَيْضًا مِنْ فَعَلَ شَيْئًا ثُمَّ أَرَادَ إِبْطَالَهُ فَقَدْ عَادَ إِلَيْهِ لِأَنَّ التَّصَرُّفَ فِي الشَّيْءِ بِالْإِعْدَامِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِالْعُودِ إِلَيْهِ. (٢)

ص: ١٤٥

١- (١) تفسير القرطبي/ج ١٧ ص ٢٨١

٢- (٢) الرازي/ج ٢٩ ص ٢٠٩

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا و لعلّ الذكر أعرض عن ذكر خيار الطلاق تأكيداً على ترجيح العوده، ممّا يدخل في سياق الحفاظ على الأسره، ولا تجوز العوده إلى المعاشره الجنسيه إلا بعد التكفير، وهذا الشرط يذيق الإنسان جزاء اللجوء إلى عادته الظهار.

و من حكمه الله و دقه تشريعه أنه فرض كفّاره في علاج مشكله الظهار، هي بحدّ ذاتها علاج لمشكله أخرى هي الرقيق أو المسكنه، إذ أوجب كحكم أوّلى مقدّم على غيره أن يكفّر المظاهر عن نفسه بتحرير رقبه مملوكه قبل أن يجمع زوجته، وهذا الأمر يوجّه الشهوه الجنسيه كدافع قوى للإنسان نحو فعل الخيرات. و يلاحظ في الإسلام اهتمامه بعلاج مشكله الرق في كثير من المواضيع و الأحكام بصوره الفرض تاره و باعتبار ذلك الخيار الأقوم تاره أخرى.

و لعلّ قائلًا يقول: و لماذا يفرض هذا العقوبه الثقيله جزاء لموقف يتلخّص في كلمات قليله (هي صيغه الظهار)؟ و لكن لنعلم أنّ العلاقه الزوجيه ليست أمراً هيئنا، إنّما هي مهمّه و يجب أن يحيطها الإسلام بسور لا تخرقه الأهواء و النزوات العاجله، فهي مرتكز المجتمع، و مدرسه الأجيال الناشئه، كما و أنّ التجربه الحضاريه للأئمّه تتركز فيها، فلا يجوز إذا الاعتداء على حرمتها و هدمها من أجل الشهوات و الانفعالات العابره.

□ ذَلِكُمْ تُوَعَّظُونَ بِهِ إِنَّهُ رَادِعٌ عَمَلِيٌّ لِلْوُقُوفِ ضِدَّ تَهْدِيدِ كَيَانَ الْأَسْرَةِ، وَ التَّوَسُّلِ بِالْعَادَاتِ وَ الْقِيمِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَمَّا الرَادِعُ الْأَهْمُ وَ الَّذِي يَنْمِيهِ الدِّينُ فِي نَفُوسِ أَتْبَاعِهِ، وَ يَعْتَمِدُهُ فِي النِّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَ السِّيَاسِيِّ وَ الْاِقْتِصَادِيِّ، فَهُوَ تَقْوَى اللَّهِ وَ خَشْيَتِهِ، الَّذِي يَتَأَسَّسُ عَلَى

الإيمان به، والإحساس النفسى برقابته الدائمة و الدقيقه لأعمالنا.

□  
وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَعْنَى لَيْسَ يَعْلَمُ الظَّاهِرَ فَقَطْ، وَ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْبَاطِنَ أَيْضًا، كَالنَّوَايَا وَ الدَّوَاغِ الْخَفِيهِ لِلْإِنْسَانِ، وَ كَثِيرًا مَا تَأْتَى  
الإشارة إلى رقابه الله بعد بيان حد، أو قانون، أو نظام لمنع أى محاولة للالتفاف عليه و التملص من المسؤوليه، فإنّ الإنسان مهما  
استطاع ذلك فى مقابل الآخرين (المجتمع، و الحاكم الشرعى) فإنّه لن يجد إلى ذلك سبيلًا أمام الله، لأنّه أخبر به حتى من نفسه.

و من الجدير ذكره هنا أنّ الكفّاره تسقط لو أراد الطلاق بعد الظهار، و لعلّ البعض يصطنع طلاقًا للتهرب من الكفّاره المفروضه  
عليه ثمّ يعود، إلا أنّ ذلك لا يسقطها عنه فى هذه الحاله، و يحذّر الله أحدا أن يتوسّل بذلك للاحتيال على شريعته.

عن يزيد الكناسى قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجل ظاهر من امرأته ثم طلقها تطليقه، فقال: إذا طلقها تطليقه فقد بطل  
الظهار، و هدم الطلاق الظهار، قلت: فله أن يراجعها؟ قال: نعم هى امرأته، فإن راجعها وجب عليه ما يجب على المظاهر من قبل أن  
يتماسًا» (١) بلى. إذا طلقها عن صدق، أو تزوّجت غيره بعد العده ثم طلقها الغير، فله الرجوع إليها من دون كفّاره، حيث انتفى قصد  
الاحتيال.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن كان إنّما طلقها لإسقاط الكفّاره عنه ثم راجعها فالكفّاره لازمه له أبدا إذا عاود المجامعه، و  
إن كان طلقها و هو لا ينوى شيئًا من ذلك فلا بأس أن يراجع و لا كفّاره عليه» (٢)

ص: ١٤٧

---

١- (١) الوسائل/ج ٥ ص ٥١٨ نقلها الكافى فى فروع/ج ٢ ص ١٩٢، و من لا يحضره الفقيه/ج ٢ ص ١٧٣ و تهذيب الأحكام/ج ٢  
ص ٢٥٤

٢- (٢) المصدر/ص ٥١٩ نقلها الكافى فى فروع/ج ٢ ص ٢

و قد نستلهم من الآيه بصيره أخرى: أن الله خبير بالتشريع المناسب لهذه الظاهره، فهو حينما عالج الظهار فرض تحرير رقبه للكفار ه فإن ذلك كان مناسبا لحل المشكله، إذ أنه الخبير الذى يعلم بمدى خطر الظهار الذى يهدم كيان الأسره و يفككها، و ما يؤدى إليه من المفاسد الفرديه و الاجتماعيه و الحضاريه، و المرأه الأنصاريه (خوله) قد أشارت إلى جانب من تلك المفاسد إذ قالت بحضره الرسول صلى الله عليه و آله: «و إن لى صبيه صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا، و إن ضممتهم إلى جاعوا» (١)، فالأب عنده القدره الماليه لقوتهم و لكنّه يفقد القدره الكافيه لتربيتهم، و الأم بالعكس.

و هناك ملاحظه نجدها فى الآيه و هى: إن الله لم يجعل لظهار المرأه أى اعتبار، إنما جعلها مظاهر منها، و قال «الذين» يعنى الرجال، لأنها أقرب إلى الانفعال، و أسرع تأثرا بعامل العاطفه.

عن السكونى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قالت المرأه زوجى على كظهر أمى فلا كفاره عليهما» (٢)، و هذه الروايه تؤكّد بالإضافه إلى ظاهر الآيه أن ما يترتب على الظهار (الكفاره، و الامتناع عن الجماع إلا بعدها) مجرد عقوبه يقرّها الشرع، و ليس من باب الاعتراف بهذه العاده.

[٤] فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقْبَهُ يَعْتَقْهَا، إِمَّا لِعَدَمِ وَجْدَانِ ثَمَنِهَا أَوْ لِعَدَمِ وَجُودِهَا أَسَاسًا..

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ مُتَّابِعَيْنِ لَا يَنْقَطِعَانِ إِلَّا بِسَبَبِ مَشْرُوعٍ، وَ لَوْ انْقَطَعَا يَوْمًا وَاحِدًا وَجِبَ عَلَيْهِ تَجْدِيدُ

ص: ١٤٨

١-١) التفسير الكبير/ج ٢٩ ص ٢٤٩

٢-٢) الوسائل/ج ٥ ص ٥٣٤

الصوم كله، حتى يتبع الشهر الثاني بالأول و لو ليوم واحد (١)، و تبقى العقوبه النفسيه الجنسيه قائمه بحدودها و شروطها.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَّاسًا و لو اخترق هذا الحد فإنه تجب عليه كفاره الظهار، و كفاره الخرق، فعن زراره، و غير واحد،

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا وقع المره الثانيه قبل أن يكفر فعليه كفاره أخرى، و ليس في هذا اختلاف» (٢) و تتوجه كفاره الصوم لشهرين متتابعين إلى تربيته نفس المظاهر و عقابه من زاويه نفسيه، لا ماليه كما هو الحال في كفاره العتق، و كل ذلك ليفرض الله حرمة الأسره على عباده، و يعزفهم قيمه شريكه حياتهم و حرمتها.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الصِيَامَ لِسَبَبٍ وَ عَذْرٍ مَشْرُوعٍ.

فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا و هناك علاقته وثيقه و عميقه بين الصيام شهرين متتابعين (٦٠ يوما) و إطعام ستين مسكينا، فهناك جوع و هناك إشباع، و أهم أهداف الصوم أنه يحسّس الإنسان المؤمن بالمعوزين و المحتاجين و الجوعى من حوله عمليا، فإن لم يستطع مواساتهم بجوعه مثلهم بالصيام فليواسهم بإشباعهم مثله بالإطعام، إزاء كل يوم مسكينا

ص: ١٤٩

١-١) شرائع الإسلام

٢-٢) المصدر/ص ٢٥٦



يطعمه على المائدة، أو يعطيه مدًا من الطعام يتصرّف فيه.

و إذا كان ظاهر الأمر في هذه الكفّارات أنّها تستهدف ردع الإنسان عمليًا عن التورّط في الظهار، و تحصين الأسره عنه، و تحسيس كلّ واحد بقيمتها عند الله و ضروره المحافظه عليها، فإنّ أسمى موعظه و غايه لها هي الإيمان بالله و الرسول.

□ □  
ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ بِاعْتِبَارِ الْإِيمَانِ الْحَلِّ الْجَذْرِيِّ الْأَشْمَلِ لِمَشْكَلِهِ الظَّهَارِ وَ كُلِّ مَشْكَلِهِ، وَ إِنَّمَا يَتَوَرَّطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ مَتَأَثُرًا بِعَوَامِلٍ أُخْرَى غَيْرِ الْإِيمَانِ، وَ مِنْطَلَقًا مِنْ غَيْرِ قِيَمِهِ، كَالْجَاهِلِيَّةِ وَ الذَّاتِيَّةِ وَ الْإِنْتِقَامِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ بِالْكَفَّارَةِ. وَ لَكِنَّ السُّؤَالَ: كَيْفَ تَقُودُ الْكَفَّارَةُ إِلَى الْإِيمَانِ؟ وَ الْجَوَابُ: إِنَّ الْإِيمَانَ رُوحٌ فِي الْقَلْبِ تَنْمِيهَا الْمُمَارَسَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَ كُلَّمَا اتَّبَعَ الْمُسْلِمُ رِضْوَانَ اللَّهِ كُلَّمَا زَادَهُ اللَّهُ هُدًى وَ إِيْمَانًا، وَ كُلَّمَا كَانَ الْعَمَلُ أَصْعَبَ وَ الْإِحْلَاصُ أَنْقَى كُلَّمَا كَانَ أَنْمَى لِلْإِيمَانِ، وَ أَجْلَى لِلْبَصِيرَةِ وَ الْهُدَى، وَ لَا رَيْبَ أَنَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ (بِمَا يَكْلَفُ مِنْ إِنْفَاقٍ كَبِيرٍ)، وَ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ (بِمَا فِيهِ مِنْ صَعُوبَةٍ بِالْغَيْهِ)، وَ إِطْعَامَ سِتِينَ مَسْكِينًا (بِمَا فِيهِ مِنْ إِنْفَاقٍ وَ مَوَاسَاةٍ لِلْمَحْرُومِينَ) إِنَّ كُلَّ أَوْلَئِكَ مُمَارَسَاتٌ مُسْتَصْعِبَةٌ تَمْتَحِنُ قَلْبَ الْمُسْلِمِ بِالْإِيمَانِ وَ تَرْكِيهِ وَ تَطْهَرُهُ.

□  
وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ الْمَفْرُوضَةُ فِي الْمَجْتَمَعِ وَ الْعِلَاقَاتِ الْأَسْرِيَّةِ، وَ لَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَجَاوَزَهَا.

□ □  
وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ سِوَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ بِرِسَالَتِهِ وَ حُدُودَهُ كَفَرًا مُحْضًا، أَوْ أَوْلَئِكَ

الذين يكفرون عمليا، فلا يلتزمون بأوامره و نواهيه، و لا يقيمون حدوده. و مع أنّ عذاب الآخرة هو المصداق الأكبر لهذه الآية إلاّ أنّه يحلّ بالكافرين فى الدنيا أيضا، ذلك أنّ حدود الله إنّما شرّعت و فرضت لصالح المجتمع و سعادته، فهى التى توقف الظلم و الفساد، و تحصّن المجتمع و الأسره منهما.

و الحدود (سواء العمليه الرادعه، أو التشريعيه كالنظم و القيم) بعضها يكمل بعضها، ترسم مسيره المجتمع و تضعه أمام خريطه واضحه محدده، إذا تحرّك على أساسها وصل إلى الإيمان و السعاده و إلاّ انتهى إلى ألوان من العذاب، النفسى و الاجتماعى و الحضارى، لأنّها هى التى تحافظ على حقوق الناس و ترعاهم، و تنفّذ النظام بينهم. و المجتمع الذى يسوده القانون و يحكمه النظام مجتمع عزيز، يشعر كلّ أفراده بكرامتهم و أمنهم و حرمتهم، و إنّهم ما لم يتجاوزوا الحدود لا يمكن لأحد أن يعتدى عليهم، على العكس من ذلك المجتمع الذى تحكمه الفوضى، و يكون هوى الأمير أو الرئيس أو الملك هو القانون، فإنّه لا يحس بالأمن و لا يستشعر الكرامه.

هكذا كان فرض الحدود بهدف تحكيم القيم لا الأفراد فى المجتمع، حتى لا تضيع حقوق الناس.

□  
[٥-٦] إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مَعْنَاهُ يَقِفُونَ خَصْمًا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ يَسْتَخْدِمُونَ الْحَدِيدَ فِي ذَلِكَ (أى الحرب الساخنه)، و قال البعض: إنّ أصل الكلمه من الحد بمعنى الفاصل، و معناه إذا المواجهه بكلّ أشكالها حيث يقف المتنازعون كلّ على حدّ بإزاء خصمه، و هذا المعنى أقرب حيث أنّ المحاده فى ضوء السياق الذى أشار إلى حدود الله أن يخالف الإنسان الحدود الإلهيه فيختار لنفسه حدودا أخرى تشريعيه و عمليه، كالذى يأخذ بالجاهليه و عموم النظم البشريه القديمه أو المعاصره، بدلا عن شريعته الله، و بالذات

أولئك الذين يقصدون العناد والجحود والمحاربة، فإنهم سوف يلقون جزاء محاددتهم الإهانه و الذل المركز الذى ينضغط فى النفس حتى لتكاد تنفجر، «أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ» (١).

كَبُتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ سَارُوا بِسِيرَتِهِمْ تَجَاهَ رَبِّهِمْ وَرَسُولِهِمْ. وَفِي الْمُنْجِدِ: كَبْتَهُ لَوَجْهِهِ أَى صرعه، و أهلكه و أخزاه، و أذله، يقال: كبت الله العدو أى أهانه و أذله و ردّه بغيظه، و يقال: كبت فلان غيظه فى جوفه أى لم يخرجه. (٢) إذا فالعزّ و الكرامه لا- يأتيان بمخالفه حدود الله لأنّ ذلك لا يورث إلاّ الذلّ و الهوان فى الدنيا نتيجة لاتباع النظم و القوانين الفاسده و الضاله، بما فيها من معطيات سلبيه، و غضب الله و حربته، و فى الآخره نتيجة عذابه المهين الذى قد ينزله عليهم بأيدي عباده المؤمنين.

و هذه الحقيقه ليست خيالا و لا و هما، بل هى واقع له شواهد فى التاريخ و الواقع، يهدى إليه العقل و تؤيده الآيات الواضحه.

وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ بِالْغَيْبِ، ظَاهِرُهُ الدَّلَالَةُ، تَنْذِرُ الْإِنْسَانَ ذَا اللَّبِّ مِنْ مَحَادَةِ اللَّهِ، وَ تَهْدِيهِ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِيمَانِ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ، فَمَنْ اتَّعَظَ بِهَا انْتَفَعَ وَ عَزَّ وَ نَجَّى مِنْ كِبْتِ اللَّهِ، وَ إِلَّا وَقَعَ فِي الْعَذَابِ وَ الذَّلِّ.

وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ وَ الْمَلَا حِظُّ أَنَّهُ قَالَ فِي الْآيَةِ الْمَاضِيَةِ «عَذَابٌ أَلِيمٌ» وَ هَذَا يَتَنَاسَبُ مَعَ الْعُقُوبَةِ

ص: ١٥٢

١- (١) المجادل ٢٠/

٢- (٢) المنجد/ماده كبت

التي هي موضوعها، بينما وصف العذاب هنا بأنه مهين، لأن من يحادون الله ورسوله يطلبون بذلك العزة لأنفسهم، والذل للحق واتباعه، وليس صفه أنسب في عذابهم من الإهانة والذل.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا لِلْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وقال «جميعاً» لأنهم ربما تعاونوا على محاده الله والكفر، واغترؤا بقوتهم وعددهم. فَيَبْئُتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ عِبْرَ الْحِسَابِ، ومن خلال العذاب لأنه هو الآخر صورته حقيقته لما عملوا. كما أن إخباره تعالى لهم بأعمالهم يؤكده لهم شهادته على خلقه، وأنه أخير وأبصره بالإنسان حتى من نفسه، لأنه معرض للنسيان.

أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ وَحِينَئِذٍ لَيْسَ يَتَّبِعُنَّ لَهُمُ صَدَقَاتُ اللَّهِ، وخطأ أعمالهم ومسيرتهم في الحياة فقط، بل يصيرون من العلم على عين اليقين بأن الله شاهد على كل شيء، وأنه حين تركهم في الدنيا يفعلون ما يشاءون من معصيته ومحادته فليس عن غلبه له، ولا تحسب بين الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقلعين رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء. (١)

وإنما يذكر الله بيوم البعث وشهادته على كل شيء هنا لأن محاده الله ورسوله وعمل السيئات ينطلق في الأساس من الكفر بالآخره والجزاء، ومن الاعتقاد بالقدره

ص: ١٥٣

على تبرير السيئات، و التملص من مسئوليتها بالأسباب المختلفه.فليس يلقى أحد هناك إلا عمله الذي أحصاه الله و شهد عليه،لا يستطيع إخفاءه عنه،و لا إنكاره، و لا يخلصه منه شفيع و لا نصير.

و فى الدرس القادم سنتعرّف كيف ضرب الله مثلا بهذه الآيه بالنجوى (الأحاديث التى تتم فى الخفاء)فأنذر منها لأنه شاهد على كلّ شىء ظاهرا كان أو باطنا،صغيرا كان أو كبيرا.و ما دام الإنسان معرّضا للنسيان فلا ينبغى لأحد أن يأخذه الغرور بما هو فيه،و ربما بدا له فى الآخره ما لم يحتسب من الذنوب،و

يعلّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام فى صحيفته هذا الدرس إذ يقول :«آه إذا قرأت فى الصحف سيئه أنا ناسيها و أنت محصياها،فتقول:خذوه،فيا له من مأخوذ لا نتجيه عشيرته،و لا تنفعه قبيلته. »

ص: ١٥٤

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَسْأَلْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)

اللغة

٨[النجوى]:الحديث السرّي،يدور بين اثنين أو أكثر.

١١[انشروا]:أى تفرّقوا، و قوموا عن أماكنكم ليجلس غيركم، من نشز:أى ارتفع، و النّشاز:المميز القبيح، و الناشز:

المرأه تنشز عن زوجها و تتمنع عنه.

ص:١٥٦

هدى من الآيات:

لكى يتحسس القلب شهاده الله على كل شىء فيتجنب خواطر السوء، و يتقى وساوس الشيطان، و يتحصن ضد النفاق و التآمر ضد الإسلام و القياده الشرعيه، جاءت آيات الذكر ترينا علم الله بما فى السموات و ما فى الأرض، و تبصّرنا بحضورنا عنده، فما من نجوى ثلاثه إلا هو رابعهم، و لا خمسه إلا هو سادسهم، و أنه جل شأنه معنا أينما كنا، ثم تحذرنا من حسابه و جزائه يوم القيامه.

و لعل هذه الآيه هى محور سوره المجادله التى تذكر بالحضور الإلهى، و ما أعظمه رادعا عن المعاصى، و باعثا نحو الطاعات؟ و لكن لا يدع السياق القضيه بلا شرائع تتجلى فيها شهاده الله، إذ يرينا كيف تأمر المنافقون (الذين لم يراقبوا ربهم) فتناجوا بالإثم و العدوان، و معصيه الرسول، و لم يراعوا آداب التعامل مع الرسول، ثم نهى القرآن المؤمنين من التناجى بالإثم و العدوان، و أمرهم بأن يتناجوا بالبر و التقوى، و ذكرنا بأن النجوى من الشيطان، و هدفه من ذلك بعث الحزن فى قلوب



المؤمنين،الذين طمأنهم السياق بأنه ليس بضارّهم شيئاً إلاّ- بإذن الله ثم أمرهم بالتوكل عليه.لأنّ هدف المنافقين من تأمرهم التعالى على المؤمنين كما يبدو فإنّ السياق أشار إلى سيئه من سيئات سلوكهم متمثله فى اختيار صدر المجالس و التسمّر فيها،فأمر الله المؤمنين بالتفصح فى المجالس،و ذكرهم بأنّ العزه ليست بالمجالس القريبه من الرسول،و إنّما بالإيمان و العلم.

كما أشار إلى مزاحمتهم للرسول بالنجوى معه(لإظهار أنّهم الأقرب إليه)فأمر المؤمنين بدفع الصدقات قبل النجوى معه،ثم ألغى هذا الأمر بعد أن عرف المنافقون،بل علم خواء كثير من نجوى غيرهم مع الرسول،و عدم أهميتها عند أصحابها،لأنّهم أشفقوا من تقديم الصدقات قبلها.

### بينات من الآيات:

[٧]كدليل لشهاده الله على كلّ شىء-هذه الحقيقه التى ذكرتها الآيه الأخيره من الدرس الفائت-يذكرنا الله بأنّه حاضر،ذلك لكى لا- يظن المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض أنّهم يحيكون مؤامراتهم السريه بعيدا عن علمه،و بالتالى أنّ مكرهم فوق مكره،كلّا..فهم إن استطاعوا التناجى بالإثم و العدوان و المعصيه بعيدا عن سماع القيادة و المجتمع و علمهما،فإنّ الله يعلم بكلّ شىء،و سيؤيد المؤمنين و ينصرهم رغم المؤامرات،و عدم إيمان أحد بهذه الحقيقه لا- ينفىها،بل سيعلمها الجميع يقينا يوم القيامه،حينما يخبرهم الله بما عملوا.

و الرسول(صلّى الله عليه و آله و سلّم)و كذلك كلّ مؤمن يعرف ربّه حق المعرفة و يعقل هذه الحقيقه بعمق،و بالتالى فهو لا يخشى من نجوى الأعداء،بل يتوكل على ربّه،و يطمئن إلى أنّها لا- تضرّه إلاّ- بإذنه عزّ و جل،و أنّ الغلبه ستكون للحق رغم المؤامرات.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ هَذَا الاستفهام للتقرير، فالمعنى: أنك لا بد أن تعلم يقينا، كما يعلم الذى يرى شيئا بعينه، و لكن كيف نعلم بهذه الحقيقه علم من يرى شيئا؟ إنما بالنظر فى آيات الله فى الخليفه، فكل ما فى السموات و الأرض يشهد على أنه سبحانه حتى قيوم شاهد حاضر أو يمكن لأحد أن يدبر هذه الكائنات بهذا النظام الحسن الدقيق من دون أن يحيط علما و قدره بها؟ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ تصريح السياق بعدد الثلاثه و الخمسه، و إن كان ينبغي حمله الآن على التمثيل، إلا أنه لا ريب له حقيقه خارجيه فى التاريخ من واقع المنافقين، على أن الجلسات تتم عاده بالثلاثه و الخمسه و أى عدد وتر لما فيه من إمكانيه التصويب بسهوله. و قال بعضهم: إن فى هذا التعبير بلاغه نافذه إذ لم يتكرر العدد، و نجد نظيره فى القرآن، و لكن القرآن لم يحصر علم الله بهذا العدد فقال:

وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا خَارِجًا عَنِ الْحُدُودِ وَ زَمَانًا وَ مَكَانًا، لأنه سبحانه قد تعالى عن الكيف و الأين و العدد التى هى من صفات المخلوق.

قال الإمام على (عليه السلام): «فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التى ركبها فيهم على جميع خلقه، و أن فعلهم فعله» (١)

ص: ١٥٩

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله عزّ وجلّ «الآية»: «هو واحد أحدى الذات، باين من خلقه، وبذلك وصف نفسه، وهو بكل شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة، لا يعزّب عنه مثقال ذره في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بالإحاطة والعلم لا بالذات، لأنّ الأماكن محدوده تحويها حدود أربعة، فإذا كان بالذات لزمه الحوايه» (1) و

جاءت الروايه أنّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ قال له: نعم، فقال له: إننا نجد في التوراه أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أمهم فخبّرني عن الله أين هو في السماء أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: هو في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خاليه منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان؟ فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقه. اغرب عني و إلا قتلتك، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وأجيب عنه به، وإننا نقول: إنّ الله جلّ و جلاله أين أين فلا أين له، و جلّ أن يحويه مكان، هو في كلّ مكان بغير مماسه و لا مجاوره، يحيط علما بما فيها و لا يخلو شيء منها من تدبيره تعالى، و إنني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم تصدق ما ذكرته لك، فإن عرفت أ تؤمن به؟ قال اليهودي: نعم، قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالسا إذ جاءه ملك من المشرق فقال له موسى: من أين أقبلت؟ قال: من عند الله، ثم جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله، ثم جاءه ملك فقال له: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله، ثم جاءه ملك آخر فقال هل: قد جئتك من الأرض السفلى من عند الله، فقال له موسى: سبحان من لا يخلو منه مكان، و لا يكون إلى مكان أقرب من مكان، فقال اليهودي، أشهد أنّ هذا هو

ص: ١٦٠

قال (عليه السلام) يحدث عن الله: أول الدين معرفته، و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادته كل صفة أنها غير الموصوف، و شهادته كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزأه، و من جزأه فقد جهله، و من جهله فقد أشار إليه، و من أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من قال «فيم» فقد ضمّنه، و من قال «علام» فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنه، و غير كل شيء لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات و الآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، و لا يستوحش لفقده (٢) بهذه البصائر الإيمانية ينبغي أن نفهم أسماء الله، و بها نفسر كتاب الله، و بالذات قوله في هذه الآية (رابعهم، و سادسهم، و معهم أينما كانوا)، بعيدا عن التصورات البشرية المحدوده و الفلسفات الضاله المنحرفه، و العقائد الشركيه.

ثُمَّ يَنْبَغُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ بَدَأَ.

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَ هَذِهِ آيَةٌ تَنْطَوِي عَلَى تَحْذِيرٍ لِلْمُنَافِقِينَ وَ الْمُتَأَمِّرِينَ عَلَى الْحَقِّ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ،

ص: ١٤١

١-١ المصدر

٢-٢ نهج خطبه (١) ص ٣٩-٤٠

كما أنها تنمى عند المؤمنين روح الحذر و التقوى.

[٨] ولأنَّ الله محيط بكلِّ شيءٍ علماً فإنَّه لا يدع مكائدهم تلعب دورها المشؤوم في مسيره الأمامه، وإنَّما يبطلها بإرادته و على أيدي المؤمنين، و يفضحها بوسيله أو بأخرى، كأن يلقى أمرها روع المؤمنين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لَهَا لِيَأْتُوا مَكَائِدَهُمُ الْمُشْؤُومَةَ، وَالتَّجَاجِي هُوَ الْحَدِيثُ عَلَى غَيْرِ مَسْمُوعٍ مِنَ الْآخِرِينَ، وَ لَيْسَتْ النَّجْوَى مُحَرَّمَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَضَامِينَهَا وَ آثَارَهَا لَا تَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ، أَمَّا إِذَا كَانَتْ تَنْطَوِي عَلَى الْخَيْرِ وَ الصَّلَاحِ فَهِيَ مَبَاحَةٌ، بَلْ قَدْ تَكُونُ وَاجِبَةً كَمَا فِي عَصْرِ الطَّاعُوتِ، بِاعْتِبَارِهَا تَحْفِظَ خَطِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَ أَشْخَاصِهِمْ، وَ إِمْكَانَاتِهِمْ، بِعِيدِهِ عَنِ عِلْمِهِ وَ كَيْدِهِ وَ رَدَّاتِ فِعْلِهِ، لِذَلِكَ لَمْ يَنْهَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا عَنْهَا بَلْ نَهَاهُمْ مِنْ جِهَةِ عَنِهَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ مَضَامِينٍ سَيِّئَةٍ، وَ أَمْرَهُمْ بِهَا إِذَا كَانَتْ مَضَامِينَهَا إِجَابِيَةً، بَيْنَمَا نَهَى الْمُنَافِقِينَ عَنْهَا لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوهَا وَسِيلَةً لِمُحَارَبَةِ الْحَقِّ.

وَ يَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُحَرَّمَةِ وَ هِيَ:

أولاً: المعاصي التي يخالف الإنسان بها الشريعة في سلوكه، كشرب الخمر، و أكل الحرام، و الكذب، و الغش، و الإدلاء بالأموال إلى الحكام الظلمة، قال تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (١) أي ذنب، و قال:

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُّبِينًا (٢)،

ص: ١٤٢

١-١ (١) الحجرات ١٢/

٢-٢ (٢) النساء ١١٢/

و قال: « مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا » (١)، و فى المنجد: الإثم فعل ما لا يحل. (٢).

ثانيا: التجاوز على حرمان المجتمع و الأمة، كالاعتداء على حقوق الناس و أموالهم و أعراضهم.

ثالثا: شقّ عصبى الطاعة للقيادة الرسالية التى يمثّلها يومئذ الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و هى لا تزال معصيتها رغم تبدل مصاديقها فى الواقع الاجتماعى معصية للنبي، لأنّها امتداده الطبيعى فى أجيال الأمة.

و هذه الذنوب الثلاثة تعدّ اعتداء على حدود الله، و قد جعلها المنافقون محور نجواهم، و هى متتالية، إذ أنّ مجالس المتآمرين - أنّى كانت، و أنّى استهدفت - تنطلق من الإثم، من العصبية و العنصريه، من الكذب و الافتراء، من تحقير القيم لحساب الذات، و إثارة الحساسيات، و كوامن الشر تنطلق من كلّ ذلك لتنتهى إلى العدوان و اغتصاب حقوق الآخرين و محاولة التسلّط و التعالى عليهم، و فى ذلك خرق لسنن الله العادله، و مخالفه للقيادة الشرعيه.

إنّ هذه الجلسات المشؤومه هى رحم الشبكات الحزبيه الضاله التى تخطط للسيطره على الأمة و لولا غياب الإحساس برقابه الله، و غياب التقوى من الله، و بالتالى الإنصاف و العداله، لما ولدت هذه الجلسات التى لا يهدف المشاركون فيها إلاّ تحقيق شهواتهم الرخيصة.

و عمليه التناجى هى تفاعل بين المنافقين حيث يدفع بعضهم بعضا، و يدعوه

ص: ١٤٣

١-١) المصدر ٤٨/

٢-٢) راجع ماده أثم

إلى الضلال و التجاوز على الحق، و تشكيل حركه سريه ترتكز على المبادئ الثلاثة التى تضمنتها النجوى.

وَ إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ: السام عليكم، بمعنى السأم، أى أنك يا رسول الله سوف تسأم من رسالتك، أو السام بمعنى الموت عند اليهود، و من الطبيعى أنّ المسلم إذا كان بعيدا و لا يظنّ أحد فيه سوء لا يتضح قصده فى مثل هذه العبارة القريبه من السلام فى ظاهرها و حروفها، إلا أنّ الرسول كان متنبها للمنافقين و اليهود، و كان يردّ عليهم بكلمه واحده «و عليكم» أى أردّ عليكم ما ريمتمونى به، و قد فضحهم الوحى بعد ذلك عند كلّ المسلمين، و لكى يعلموا هم أنفسهم أنّ الله بكلّ شىء عليم، و أنّه يعلم القضايا الظاهره كقضيه المجادله، و الأخرى الباطنه كنجواهم.

و هنا لك تفسير آخر للتحيه، و هى أنّهم يحيون الرسول ب(أنعم صباحا، و أنعم مساء) و هى تحيه أهل الجاهليه، مع أن الله أمرهم بتحيه الإسلام فى محضر الرسول (السلام عليكم).

و هناك تفسير ثالث أنّهم لم يكونوا يحيون الرسول بصفته قائدا للأمة، و إنما بصفه شخصيه كقولهم: (السلام عليك يا أبا القاسم) و هذا التفسير أنسب لمفهوم السياق، بالرغم من أنّ التفسير الأوّل قد وردت به نصوص تاريخيه،

فقد روى عن عائشه أنها قالت: جاء أناس من اليهود إلى النبى (صلّى الله عليه و آله و سلم) فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم و فعل الله بكم، فقال عليه السلام: «مه يا عائشه فإنّ الله لا يحبّ الفحش و لا التفحش»، فقلت:

يا رسول الله أ لست ترى ما يقولون؟ فقال: «أ لست ترين أردّ عليهم ما يقولون؟»

أقول: و عليكم « (١) و ربنا لم يفضح ظاهر نفاقهم و حسب، بل فضح نواياهم و سرائرهم الخبيثة أيضا، حينما أخبرهم بالذى يدور فى داخلهم.

وَ يَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ أَي لو كان الرسول صادقا بالفعل فلما ذا لا يغضب الله له؟ و يتخذون عدم حلول العذاب بهم ذريعه لإثبات سلامه خطهم، و الإصرار عليه. و يبطل القرآن كون هذا دليلا- على صدقهم، حتى لا يتأثر المؤمنون بدعائياتهم و أفكارهم المضلله، مؤكدا بأنهم يجازون ما يكفيهم من العذاب على ذلك و لكن بعد حين.

حَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ يَصِيءُونَ بِهَا فَبَشِّرْهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَ الْآيَةُ تَشِيرُ إِلَى أَرْبَعَةِ ذُنُوبٍ رَّئِيسِيَةٍ اقْتَرَفَهَا الْمُنَافِقُونَ وَ هِيَ: تَجَاوُزُ نَهْيَ اللَّهِ بِالْعُودَةِ إِلَى النَّجْوَى، وَ مِمَّا رَسَهُ النَّجْوَى بِالْإِثْمِ وَ مَعْصِيَةَ الرَّسُولِ، وَ التَّحْيَةَ السَّيِّئَةَ الْمُخَالَفَةَ لِلْحَقِّ، وَ الْإِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ بِقَوْلِهِمْ فِي أَنفُسِهِمْ: «لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ».

[٩] و لا- يحرم الله النجوى (كتمان الحديث) على المؤمنين، إنما يحرم اشتغالها على الواقع و المضامين المحرمه، و إلا- فهى مباحه، بل قد تكون مطلوبه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعِيْدَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ لِأَنَّهَا مَنَاجَاةُ الْمُنَافِقِينَ، وَ بِهَذَا النَّهْيِ يَقِفُ الْإِسْلَامُ ضِدَّ تَنَامِي حَرَكَاتِ سَرِّيهِ مَنَاهِضِهِ لِلنِّظَامِ الْإِسْلَامِيِّ.

ص: ١٦٥



و القرآن يحرم المضامين الباطله و السيئه للنجوى، و فى نفس الوقت يدعو إلى التناجى بالخير و الصلاح، فيما إذا أرادوا التناجى.

و تَدَّاجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ البر هو الحق و الإحسان و سائر المضامين الخيره المرضيه عند الله و التى تقرب إليه، و هو نقيض الإثم، قال تعالى: وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ (١)، كما أنّ التقوى نقيض العدوان، و ذلك أنّ العدوان ينبعث من انعدام الورع عن محارم الله، و الخوف منه، و لا بد أن يقاومه المؤمنون من الجذور فى شخصيتهم، و ذلك بتركيز تقوى الله فى نفوسهم، كما أنّ العدوان صورته للتعدى على حدود الله فى العلاقة مع المجتمع، و التقوى هى الداعى الأكبر للالتزام بأحكامه و شرائعه و حدوده.

و تأتى أهميه التناجى بين المؤمنين على الصعيد الاجتماعى كوسيله فضلى إلى النقد البناء، بالنصيحه،

قال الإمام العسكرى (عليه السلام): «من وعظ أخاه سرا فقد زانه، و من وعظه علانية فقد شانه» (٢)، و على الصعيد السياسى كاستراتيجيه مهمه فى مواجهه الظالمين و الأنظمه الطاغوتيه.

ثم يؤكد القرآن ضروره أن لا تخرج المناجاة بين المؤمنين عن سياق التقوى، الأمر الذى يتحقق بتحسس رقابته، و تذكر البعث و الجزاء.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّ الإِحْسَانَ بِشَهَادَةِ اللَّهِ وَ حُضُورِهِ مَعَ الْمُتَنَاجِينَ هُوَ الضَّمَانُ الْوَحِيدُ لِإِنْبَاءِ

ص: ١٦٦

١-١ (١) المائده ٢/

٢-٢ (٢) بح/ج ٧٨ ص ٣٧٤

وساوس الشيطان من جلسات المؤمنين الخاصه،و ذلك أن أكثر الروادع التي تمنع السقوط فى وادى الغيبه و التهمه و التعصّب لجماعه ضد أخرى تتلاشى فى جلسات الخلسه و الخلوه،هنا لك يحسّ الإنسان برفع الكلفه و التحرّر من ضغط المجتمع، و لكن أليس الله ينظر إليهم و يسمع تحاورهم.أليس يحاسبهم غدا على الملاء العام.أ فلا يتقوه؟ حقًا:إنّها جميله و رائعه حياه جماعه المؤمنين الذين إذا انتجى اثنان منهم تواصيا بالبرّ،و رسما خطه لتقديم الخير لغيرهما،و تناصحا بالتعاون مع الآخرين.

[١٠]و يعود السياق إلى التأكيد على حرمة النجوى السيئه،و وقوف الشيطان وراءها،و بيان أهم أهدافها الخبيثه،و ضروره التوكّل على الله لمقاومتها لإبطال مفعولها السلبى فى النفوس و فى واقع المجتمع.

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ الْعَدُوِّ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ لِلْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ،و إنّما يتناجى المنافقون مع بعضهم بتلك المضامين السيئه لأنّه كان يأمرهم بذلك،و كلّ نجوى سلبيه فهى بدوافع شيطانيه،كالهوى،و الطمع،و المصالح الماديه،و حبّ التفريق بين المؤمنين.و لعلّ الآيه تدل على أنّ الأصل فى النجوى الكراهه،لأنّها مظنّه الغيبه و التهمه و مركز المؤامره ضد النظام،و لأنّ الشيطان يكون عند النجوى أقوى منه فى أىّ حال آخر،و من هنا يحسن تجنّب النجوى إلّا عند الحاجه.

لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ يَحْزَنُونَ حِينَما يلاحظون التكتلات السريه المعاديه لمبادئهم و مصالحهم،خوفا من غلبتها و حكمها فى المستقبل،فإنّ ذلك يطفى شعله الإسلام فى الأّمه.

و ربنا يعالج حزن المؤمنين بإعطائهم المزيد من الثقة بإرادته و مشيئته المتصرفه فى الخلق، و بدعوتهم إلى التوكل عليه، لأن الأمة التى تتوكل على ربها لا تهزمها المؤامرات.

□ □ □  
وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بلى. إن المنافقين و أعداء الأمة الإسلاميه يحيكون المؤامرات ضدها فى الخفاء و بعيدا عن علم المؤمنين، و لكنها ليست غائبه عن علم الله، و لا- هى أكبر من إرادته، حتى يستطيعوا الإضرار بالمؤمنين، إلا- بعد أن يأذن الله بذلك. و لكن متى يأذن الله بذلك؟ إنما حين تغرق الأمة فى غمرات الصراع أو السبات أو توافه الأمور، أما الموحى به الجدیه الطامحه و الساعيه فى سبيل الله فلن يترها الله أعمالها، و لن يضيع جهودها. و ما دام الله يدافع عن رسالته و أوليائه و عباده فلن يسمح أن يطفى نوره أبدا.

□  
وَ عَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ و ليس التوكل باللسان و حسب، إنما هو الثقة بالله، و نبذ أغلال اليأس و الخوف و التردد عن النفس، و التسلح ببصائر الوحي فى السعى و الاجتهاد و التفاؤل، و تنفيذ مناهج الوحي فى التحرك من الحكمة و التدبير و حسن الخلق و التعاون و الإخلاص، فإن ذلك كفيل لو التزمت به الأمة الإسلاميه بإفشال كل المؤامرات، و حينذاك تسعى الأمة و بتوجيه من قيادتها الرشيده المقامه مؤامرات شياطين الجنّ و الإنس.

و هناك نوع من النجوى السلبيه المنهى عنها فى الإسلام، و هى تختص بتناجى المؤمنين مع بعضهم فى المجالس، بغض النظر عن مضامينها، فقد كره الإسلام أن

يتناجى اثنان بحضور ثالث،

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه» (١) [١١] لكى يتحسس المؤمن بأن الله رقيب عليه حاضر معه شاهد عليه يبصره القرآن بأداب الخلوات، عند ما يختلى بزوجه (عليه ألا يظهر، وإذا ظاهر فعليه ألا يعاشرها كزوجه إلا بعد كفاره)، وعند ما يقتر التناجى و ينشط الشيطان فى قلبه لكى يحرف التناجى إلى الفساد، وعند ما يجلس، كيف يجلس متواضعا، مراعىا للقيم الإسلاميه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا لَكِي تَسْتَوْعِبَ الْحَدَّ الْمَمَكُنَ مِنَ الْحَضُورِ، فَتَعَمَّ الْفَائِدَةَ، وَ يَحْسَ الْجَمِيعَ بِالاحْتِرَامِ وَ التَّقْدِيرِ الْمَتَبَادِلِ. وَ إِنَّ ذَلِكَ يَسْتَتَبِعُ تَوْسِيعًا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ لِلْمَتَفَسِّحِينَ تَقْرِيْبًا لَهُمْ مِنْهُ، وَ إِثَابَهُ عَلَى الْاسْتِجَابَةِ لَهُ. يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَ إِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا أَى قَوْمًا وَقُوفًا، أَوْ تَرَكَا لِلْمَكَانِ فِي الْمَجْلِسِ..

فَأَنْشُرُوا وَ إِذَا كَانَ هَذَا الْأَدَبُ يَعَمُّ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا فَإِنَّهُ يَكُونُ أَهْمًا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ أُولَى الْعِلْمِ، لِأَنَّهُمْ أُولَى بِالْقُرْبِ مِنَ الْقِيَادَةِ، وَ بِتَصَدُّرِ الْمَجَالِسِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

ص: ١٦٩

درجات بمثل درجاتهم الإيمانية والعلميه.

و هذه الآيه تنفى مقاييس التفاضل الماديه، كما أنها تعطى المكانه و زمام القياده فى الأمه لأصحاب الكفاءه الحقيقه (المؤمنون العلماء) و ليس لأصحاب المال و الأولاد، و هذا التأكيد على مكانه المؤمنين و العلماء، و أنه أولى بالقياده، يأتى فى مقابل ظنون المنافقين و تصوّراتهم الضالّه عن القياده و الأفضليه، حيث اعتبروها لأولى المال و الأولاد و الأتباع الأكثر، و هذا ما دفعهم للتأمر على قياده الرسول (صلّى الله عليه و آله و سلّم) و التخطيط للعصيان و التمرد ضدها، إذ قالوا:

كيف يصبح هو القائد و ليس أكثرنا مالا- و ولدا؟! و فى ختام الآيه يذكّرنا الله بكلّ ما يعمله الإنسان، لكى نزداد حذرا منه و تقوى.

□  
وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ قَالَ قتاده: نزلت هذه الآيه فى مجالس الذكر، و ذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنّوا بمجالستهم عند رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم)، فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض، و قال مقاتل ابن حيان: أنزلت هذه الآيه يوم الجمعة، و كان رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم) يومئذ فى الصفه، و فى المكان ضعيف، و كان يكرم أهل بدر من المهاجرين و الأنصار، فجاء ناس من أهل بدر و قد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم) فقالوا: السلام عليكم أيّها النبى و رحمه الله و بركاته، فردّ النبى (صلّى الله عليه و آله و سلّم) عليهم، ثم سلّموا على القوم بعد ذلك فردّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبى (صلّى الله عليه و آله و سلّم) ما يحملهم على القيام، فلم يفسح لهم،

فشقّ ذلك على النبى (صلّى الله عليه و آله و سلّم) فقال لمن حوله من المهاجرين

ص: ١٧٠

و الأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، و أنت يا فلان، فلم يزل يقيمهم بعدّه نفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين و الأنصار أهل بدر، فسقّ ذلك على من أقيم من مجلسه، و عرف النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الكراهه في وجوههم، فقال المنافقون: أستم تزعمون أنّ صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ و الله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء. إنّ قوما أخذوا مجالسهم، و أحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم و أجلس من أبطأ عنه!... فبلغنا أنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال:

«رحم الله رجلا يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لإخوانهم. (١)

و

في كتاب الإحتجاج للطبرسي روى عن الحسن العسكري (عليه السلام) أنّه:

اتصل بأبي الحسن عليّ بن محمد العسكري (عليه السلام) أنّ رجلا من فقهاء شيعة كَلّم بعض النصاب فأفحمه بحجته حتى أبان عن فضيحته، فدخل على عليّ بن محمد (عليه السلام) و في صدر مجلسه دست عظيم منصوب و هو قاعد خارج الدست، و بحضرته خلق من العلويين و بني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، و أقبل عليه، فاشتد ذلك على أولئك الأشراف، فأمرّا العلويون فأجلوه عن العتاب، و أمّا الهاشميون فقال له شيخهم: يا بن رسول الله! هكذا تؤثر عاميا على سادات بني هاشم من الطالبين و العباسيين؟ فقال (عليه السلام):

«إياكم و أن تكونوا من الذين قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَ هُمْ مُّعْرِضُونَ أ تَرْضَوْنَ بكتاب الله عز و جلّ حكما؟» قالوا بلى: قال: أليس الله يقول:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ..»

إلى قوله: وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على

ص: ١٧١

المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا- أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» أو قال:

يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات؟ أ و ليس قال الله عزّ وجلّ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَكَيْفَ تَنْكُرُونَ رَفَعِي لِهَذَا لِمَا وَفَقَهُ اللَّهُ؟! إِنَّ كَسْرَ هَذَا فَلَانَ النَّاصِبِ بِحُجَجِ اللَّهِ الَّتِي عَلَّمَهُ إِيَّاهَا لِأَفْضَلِ لَهُ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ فِي النَّسَبِ (1) [١٢] و تعود الآيات إلى الحديث عن النجوى و لكن من زاوية أخرى، و هي النجوى مع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، لتأمر المؤمنين بدفع صدقه قبلها مؤكده بأنّ ذلك خير و أظهر لهم، يقول تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا زَاغَتْ أَعْيُنُكُمْ فَأَقْبِرْ أَبْصَارَكُمْ فَتَدْرِكُ أَعْيُنُكُمْ صِدْقَهُ مِنْ أَجْلِ التَّعَالَى عَلَى النَّاسِ كَانَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَّخِذُونَ مَوَاقِعَ مَتَقَدِّمِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَ يَشْغَلُونَ صَدْرَهَا الْقَرِيبَ مِنَ الرَّسُولِ، وَ كَانُوا يَتَظَاهَرُونَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَكَانُوا يَتَنَاجَوْنَ مَعَهُ، وَ عَادَهُ لَمْ يَكُونُوا يَقُولُونَ لَهُ مَا يَنْفَعُ أَوْ مَا يَقْتَضِي السَّرِيهَ، وَ رَبَّمَا كَانُوا يَسْتَعْلُونَ أَوْقَاتَ الرَّسُولِ الثَّمِينَةَ بِتَوَافِهِ الْأُمُورِ، لِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِإِعْطَاءِ الصَّدَقَةِ قَبْلَ التَّنَاجِي.

و لكن لما ذا فرضت الصدقة بالذات؟ لعله للحكم التاليه:

١- لأنّ وقت الرسول للأمة كلّها و على من يستغلّه أن يدفع ضريبه لصالح المجتمع، فإنّ الصدقة لا ريب سوف لا يستهلكها النبي و هي عليه حرام، إنّما سيوظّفها من أجل رفع الحرمان، و إصلاح شؤون المسلمين.

ص: ١٧٢

٢- ولأن المتناجين مع النبي كان أكثرهم من طبقه الأغنياء، فلكى لا يشعر الفقراء بالغبين فرض الله على الأغنياء صدقه لصالحهم.

٣- ثم أنها كانت إشاره لأولئك الذين يزاحمون النبي بالتناجى فى أمور لا تجدى نفعاً، أو من أجل التفاخر، بأن الأمر ليس مرضياً ولا طبيعياً عند الله ولدى رسوله صلى الله عليه وآله، وبالفعول أدرك الكثير هذه الحقيقة، واستطاع القرآن علاج تلك الظاهره فى موارد السلبه.

٤- ولأن البعض اتخذ التناجى مع النبي أمام المسلمين للتفاخر عليهم والتظاهر عندهم بالشخصيه الهامه المقربه، وهذا أمر سلبى جاءت الصدقه علاجاً و تطهيراً للنفوس من هذه الخلفيات السيئه.

□  
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطَهْرٌ وَلَمْ يَغْفَلِ اللَّهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ طَبَقَهُ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ لَا يَطِيقُونَ دَفْعَ الصَّدَقَةِ، لِذَلِكَ أَعَذَرَهُمْ وَسَمَحَ لَهُمْ بِالتَّجَايِ مَعَ النَّبِيِّ، فَقَالَ يَخَاطِبُهُمْ.

□  
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ بِأَنَّ الْمَعْنَى بِتَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ كَانَ طَبَقَهُ الْغَنِيَاءَ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهَا، وَ قَدْ رَأَيْنَاهُمْ كَيْفَ كَفَّوْا عَنِ التَّجَايِ، فَتَبَيَّنَ لِلْمُسْلِمِينَ طَبِيعَتَهُمْ وَطَبِيعَةَ أَحَادِيثِهِمُ الَّتِي يَزَاحِمُونَ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا.

و بقى الإمام على عليه السلام مستمراً فى تناجيه مع رسول الله صلى الله عليه وآله لأهميه ما يتباحثه معه، و لعلمه بسلامه ما يقوم به، و أن التناجى مع النبي يستحق أن يقدم له المؤمن أكثر من ذلك، و لم يكن ثرياً، بل لم يكن يملك يومئذ إلا ديناراً واحداً لهذا



الشأن، قيل أنه اقترضه من أحد المسلمين، فصرّفه عشره دراهم، قدّمها كلها بين يدي عشر نجوات مع رسول الله صلى الله عليه و آله، حتى قال عمر بن الخطاب: «كان لعليّ (رضي الله عنه) ثلاث، لو كانت لي واحده منهنّ كان أحبّ لي من حمر النعم: تزويجه فاطمه (رضي الله عنها) وإعطاؤه الروايه يوم خيبر، و آيه النجوى» (١) و

قال الإمام علي عليه السلام: «إنّ في كتاب الله آيه ما عمل بها أحد قبلي، و لا يعمل بها أحد بعدي: آيه النجوى. إنّه كان لي دينار فبعته بعشر دراهم فجعلت أقدم بين يدي كلّ نجوى أناجيها النبي صلى الله عليه و آله درهما» قال: فنسختها قوله: «الآيه ١٣». (٢)

[١٣] و حيث تفهّم المعنيون خلفيات الحكم الإلهي بالصدقه قبل النجوى، و بالذات أولئك الذين يكثرّون من التناجي مع النبي صلى الله عليه و آله، و الذين امتنعوا الآن عن ذلك بخلا، و لو كانت أحاديثهم التي يسرّون بها إليه صلى الله عليه و آله ذات أهميه لما رجّحوا الكفّ عنها و هم الأغنياء خشيه تقديم الصدقات، نسخ الله برحمته و منّه حكم الضريبه، ممّا دلّ على أنه وضع لعلاج ظاهره التناجي السلبي. و وجّه القرآن عتابه للذين امتنعوا عن التناجي ذلك إشفاقاً من تقديم الصدقه، أو تناجوا و لم يقدّموا صدقه كما أمرهم الله، أو للذين لم يطيقوا ذلك بسبب الفقر و قلّه المال:

أَشْفَقْتُمْ قَالُوا: الْإِشْفَاقُ الْخَوْفُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: هَلْ شَقَّ عَلَيْكُمْ إِعْطَاءُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ التَّنَاجِي مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ؟ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ

ص: ١٧٤

١-١) تفسير روح البيان/ ج ٩ ص ٣٠٦

٢-٢) نور الثقلين/ ج ٥ ص ٢٦٥

و لم يقل صدقه مّمّا يدلّ على وجود فريق من المسلمين يكثرون التناجى مع النبي مّمّا يستلزم الصدقات الكثيره. و حيث أنّه تعالى لا- يعارض ذات التناجى، لعلمه بضرورته و حَقَائِيتِهِ من قبل المخلصين، و فى بعض مواردّه، رحم الذين لا يجدون، و تاب على الذين أشفقوا.

فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مّمّا يدلّ على تقصير لدى المعيّين بهذه الآيه الكريمة. و من مصاديق الرحمه هناك و التوبه هنا نسخ فريضه الصدقه عند النجوى، و بالتالى إرجاع المسلمين إلى واجباتهم الأوليه، و أهمّها الصلاه كرمز للجانب العبادى و الروحى عند الإنسان المؤمن، و الزكاه كرمز لتعبّده الاقتصادى الاجتماعى، و الطاعه لله و للرسول كرمز للالتزام السياسى فى الحياه.

فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ بتمام المعنى، إذ لا يقوم إلا الصحيح، و إقامة الصلاه فيما يعنى انعكاسها على السلوك و الالتزام بقيمها فى سائر أبعاد الحياه.

وَ آتُوا الزَّكَاةَ تكافلا- مع المعوزين، و دعما لاقتصاد المجتمع، و بالتالى تطهيرا للمجتمع من الآثار السلبيه للعوز و الحاجه، و تزكيه للنفس من أعقد مشاكلها و هى الشح.

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ و لعلّ فى هذه الآيه بدائل للمضامين السيئه فى النجوى الحرام، فإقامه الصلاه يتطهر الإنسان من الإثم، و الزكاه (العلاقه الإيجابيه مع المجتمع) بديل للعدوان

عليه، و الطاعه بديل لمعصيه الرسول، فهناك نهى عن تلك، و هنا دعوه لنقائضها، كما أنّ الآيه تفسير عملى لمعنى البرّ و التقوى و تقوى الله الوارده فى الآيه.

□  
وَ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فَإِن التزم بالأمر الإلهى أتابه و جزاه خيرا فى الدنيا و الآخره، و إلاّ عاقبه و عذّبه.

ص: ١٧٤

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

اللغة

١٦[جنه]: ترسا و سترا، و الجنه: الستره التي تقى البليه، و أصلها الستر، و منها المجن: أى الترس، و سمي الجنين جنينا لأنه مستور في الأرحام، و كذا سميت الجن جنًا لاستتارها.

[استحوذ]: استولى و تسلط على مجامع قلوبهم، و الاستحواذ: الاستيلاء على الشيء و تملكه بالاختطاع له، و أصل الاستحواذ: حاذ يحوذ حوذا فهو مستحوذ.



### هدى من الآيات:

فى سىاق الحدىث عن مصدر الإىمان فى واقع الإنسان، و ضروره تحسسه الدائم بشهاده الله سبحانه عليه، نساثل: ما هو المقياس الحق للإيمان الصادق، و للانتماء الصحيح إلى تجمّع المؤمنين؟ يزعم الكثير أنه يتلخص فى الممارسات القشريه للدين، و لأنه يصلى و يصوم و يحج يحسب أنه من أولياء الله، و من حزبه المفلحين، بينما ينبغى لنا أن نرجع إلى القرآن الحكيم الذى هو الفرقان و الميزان فى كلّ قضيه، و نتخذ المقاييس من آياته، و إنه ليؤكد فى هذا الدرس و فى الكثير من الآيات و المواضع أن أهم و أبرز محتوى و مقياس للإيمان و للانتماء الحقيقى للمؤمنين هو التولّى الصادق و العملى الحزب المؤمنين و قيادتهم الرساليه، أمّا أولئك الذين يدعون الإىمان فى الظاهر و لكنهم يحتفظون بوشائج حميمه نفسيه و سياسيه مع حزب الشيطان (أعداء الرساله من الكفار و المشركين و المنافقين) فإنهم و إن حلفوا بالإيمان المغلظه، و تكلفوا إظهار صدق

الإيمان والانتفاء والولاء، ليسوا إلا من حزب الشيطان، وسوف يعدّ بهم الله، دون أن يستطيعوا التهرب من عذابه بوسيله، ولا خداعه بيمين وحلف، لأنّه الشاهد على كلّ شيء والعليم الخبير به، وهو يعلم بواقعهم الذى ينطوى على الولاء لأعداء الله والرسالة، وأعداء المؤمنين والقيادة الرسالية، بحثا عن العزّه والشرف، فكيف يكون هؤلاء من المؤمنين الصادقين وهم يحادون الله ورسوله بهذا العمل القذر، ويتخلّفون عن حدوده وأحكامه؟ أم كيف ينالون عزّه وليست إلاّ لله ورسوله وللمؤمنين؟ كلاً.. إنهم ليسوا من المؤمنين، ولن يصيروا إلا إلى ذلّ بعد ذلّ.

بلى. إنّ هؤلاء المنافقين المزدوجين الشخصيه كانوا يبحثون عن المناصب والرفعه باعتبارهم الأ-كثر مالا، وأتباعا، ولما فى نفوسهم من المرض، وليس لأنّهم الأكفاء، فراحوا يطلبون العزّه، ويسعون لهذه المطامع من خلال التعاون مع أعداء الأّمه الإسلاميه، وبيع أنفسهم عماله لهم، لعلمهم ينتصرون جميعا على الرسول، ويطفؤون شعله الرساله، ففتحقق مطامعهم، وينالون أغراضهم المشؤومه، وقد غاب عن هؤلاء أنّ الله صاغ الوجود على أساس انتصار الحق، وكتب ذلك فى سننه، وحتم تنفيذه بقوته، وأراد لنفسه ولحزبه العزّه، ولأعدائه الهزيمه والذلّ.

وختاما للسوره ولهذا السياق يحدّد الله أهمّ المواصفات للمؤمنين الحقيقيين، الذين هم حزبه المفلحون، وأهمها بعد الإيمان بالله واليوم الآخر التبرى من أعداء الله ورسوله ورسالته، لا يميّزون فى ذلك بين أحد وأحد، إنّما يعادون من أجل تولّيهم وانتمائهم كلّ عدو «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»، ممّا يدلّ على تجدّر الإيمان فى قلوبهم، وإخلاصهم للحق، وتأييد الله لهم بروح منه، لأنّهم أولياؤه بحقّ وصدق. «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» الذين يستحقّون تأييده وجناته ورضوانه، وذلك هو الفلاح.

[١٤] كما يَكُنَّ المنافقون العداة للأُمَّة الإسلاميّة، وللرسول و الرساله، و يتحرّكون على الصعيدي الداخلي لإيجاد حركة سرّيه معارضه للحركة الرساليه المباركه، و تيار اجتماعي عاص لقيادتها، فإنّهم على الصعيدي الخارجي يعقدون ولاءهم للقوى المعاديه للأُمَّة، و بازواجيه الولاء تطمع هذه الفئه تثبيت مركزهم الاجتماعي و السياسي.

□  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَوْمئِذٍ تحالفوا مع اليهود، و أظهروا العماله لهم (الولاء)، بالقلب حياء، و بالعمل طاعه. و اليهود ليسوا إلاّ- مصداقا للذين غضب الله عليهم، كما أنّ الذين تولّوهم من مصدايق النفاق و المنافقين، و إلاّ فهذا الواقع قائم بكلا مصداقيه في عصرنا الحاضر، و لكن بصور و مصدايق مختلفه، فهناك الأحزاب و الشخصيات الضالّه التي توالي أعداء الأُمَّة في الغرب و الشرق.

و من طبيعه المنافقين أنّهم لا يفصحون عن ولاءاتهم الحقيقيه، إنّما يتظاهرون بين المسلمين ولدى القيادة بمظهر المخلص، حتى أنّهم يتكلّفون أكثر من غيرهم في ادعاء الإيمان و الإخلاص خشيه الفضيحه. و لكنّ ذلك لا يغيّر من الواقع شيئا، و ماذا يبقى للذي يوالي أعداء الله من الإسلام حتى يدّعيه؟ بلى. قد يصلّي المنافقون و يصومون و يحجّون و ما أشبه، و لكنّ ذلك كلّه لا يسوى عند الله شيئا ما دامت العبادات مفرغه من أهم مضامينها و قيمها يعني التولّي، و لذلك ينفي القرآن انتماءهم إلى المسلمين رغم المظاهر الدينيه في سلوكهم.

□ مَا هُمْ مِنْكُمْ



لأنهم يفقدون أهم قيم الانتماء الحقيقي و شروطه و هو التوكل لله و للقياده الرساليه و للمؤمنين، و كيف تكون الأحزاب و الحكومات و الشخصيات الخائنه جزءا من الأئمه و هى تقف حربيا عليها مع الأعداء؟! أ ترى من يتوكل حزب الشيطان (القوى الاستكباريه)الذى غضب الله عليهم، و يبيع إنسانيته و أمته و ثروات شعبه لهم، يكون مسلما؟! كلاً..إنما هو مشمول بغضب الله مثلهم.

□ و لا مِنْهُمْ ماذا تعنى هذه الكلمه؟ إنَّ الأعداء لا يتعاملون معهم كأنداد، فإنَّ اليهود لا يقبلون بعنصريتهم أن ينتمى أحد إليهم، و كذلك القوى الاستكباريه اليوم تتعامل مع عملائها من الحكام الظلمه على أنَّهم ليسوا سوى كلاب تحمى مصالحها، ثمَّ أنَّهم لا يدافعون عن مبدء أو خط سياسى واضح- كما الأعداء-إنما يدافعون عن أنفسهم و يسعون وراء مصالحهم فلا- أحد يقبلهم، بلى.إنهم فى النهايه يلحقون بالأعداء فى نظر الإسلام كما قال ربنا سبحانه: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . (١)

وَ يَخْلِفُونَ بِكُلِّ مَا يُوَدَّى غرض الحلف، من قسم، و تظاهر بالإسلام تكلفاً من خلال الشعارات.

عَلَى الكَذِبِ يعنى ادعاء الإسلام و الإيمان.

ص: ١٨٢

وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَيْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ تَضْلِيلَ الْآخِرِينَ عَنْ أَهْدَافِهِمُ الْحَقِيقِيَّةِ لَعَلَّهُمْ بِأَنَّ وَعَى الْأُمَّةَ بِوَقْعِهِمْ كَفَيْلٌ بِإِسْقَاطِهِمْ، وَإِحْبَاطٌ مَوَاطِرَتِهِمْ، وَإِنَّا لَنَشَاهِدُ الْيَوْمَ صَوْرَهُ لِهَذَا الْخَطِّ يُمَثِّلُهَا الْحُكَّامُ الْمُنَافِقُونَ، وَالْحَرَكَاتُ الْمُتَعَرِّبَةُ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِشَعَارَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ مُكْرَمَةٍ وَكُذْبًا.

[١٥-١٦] وَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا وَأَمْثَالُهُمْ يَتَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَإِعْدَادُ اللَّهِ لَا يَعْنِي التَّكَلُّفُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عَلْوًا كَبِيرًا، إِنَّمَا هُمْ يَقْبَلُونَ عَلَى عَذَابٍ مَهِيئٍ يَنْتَظِرُهُمْ، وَإِذَا اسْتَطَاعُوا الْهَرَبَ عَنْ لَوْمَةِ اللَّائِمِينَ فِي الدُّنْيَا، وَرَدَّاتِ فِعْلِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَفْلَتُوا مِنْ جَزَاءِ اللَّهِ عَلَى أَسْوَأِ الْأَعْمَالِ وَأَقْدَرِهَا وَهُوَ النِّفَاقُ وَالْإِزْدَوَاجِيَّةُ فِي الشَّخْصِيَّةِ وَالْإِنْتِمَاءِ.

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِذْ يَتَوَلَّوْنَ أَعْدَاءَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَعْدَاءَ اللَّهِ، وَيَتَسْتَرُونَ بِالنِّفَاقِ، وَالْحَلْفِ بِالْإِيمَانِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَجَسَّسُونَ لِصَالِحِ الْيَهُودِ، فَيُرْفَعُونَ لَهُمْ أَخْبَارَ الْأُمَّةِ وَأَسْرَارَهَا الْحَسَّاسَةَ، كَمَا هُوَ حَالُ الْمُنَافِقِينَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمِصْرٍ، وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُبُونَ مَا فِي التَّوْرَةِ وَيُنشُرُونَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَحْدُثُ عِنْدَهُمْ بَلْبَلُهُ فَكْرِيَّةً.

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً

أى تدرعوا بالحلف و الأقسام المغلظه، و استتروا بمظاهر الإيمان، حتى لا تنكشف سرائرهم و حقيقتهم للأمة الإسلاميه، و راحوا يعملون لتحقيق أهدافهم الخيانيه السيئه، و يزدادون بذلك ضلالا إلى ضلالهم، و يضلّون بأساليبهم الماكره من يستطيعون من الناس، و بالذات أولئك البسطاء الذين تخدعهم المظاهر لقّله و عيهم.

□  
فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَنفُسَهُمْ وَ غَيْرَهُمْ، وَ هُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا وَ تَسْتَرُوا بِالْإِيمَانِ لِكَيْ يَبْعُدُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ ذَلَّ الدُّنْيَا بِالْفُضِيحَةِ وَ الْخِزْيِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ لِكَيْ يَبْلُغُوا مَا يَتَصَوَّرُونَ وَ نَهْ عِزًّا وَ كِرَامَةً، مِنَ الْمَنَاصِبِ وَ الْمَغَانِمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَ لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ إِضَافَةَ إِلَى الشَّدَةِ فِي الْعَذَابِ أَنْ يَكُونَ مَهِينًا.

□  
فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ وَ يَبْقَى سَوَالٌ: مَا هُوَ سَبِيلُ اللَّهِ الَّذِي صَدَّوْا عَنْهُ؟ - لا- ريب أن كل خير هو سبيل الله بيد أن أقرب السبل إليه الجهاد في سبيله، و هو الأشهر استخداما في النصوص.

و إنها لسمه بارزه لخط النفاق تقاعسه عن الجهاد، و صدّ الناس عنه بالإشاعات الباطله أو بوسائل أخرى.

و لقد أوضح القرآن في هذه الآيات ملامح المنافقين لكي نميّزهم عن الصادقين، و نقضى بذلك على أعصى عقده في المجتمع الإسلامى و أكبر خطر.

[١٧-١٨] أما عن جذر مشكله النفاق، و التولّى لأعداء الله، فإنه حطام الدنيا و زينتها ممّا يلهث وراءه الإنسان بطبعه و هواه، و حينما نتدبر القرآن، و نقوم بدراسه للواقع الاجتماعى و السياسى لتأريخ الأمم فإننا نجد أن طائفه كبيره من

المنافقين، وبالذات الرؤوس فيهم، هم من أصحاب المال والقوة، ويؤكد ربنا أنّ شيئا من حطام الدنيا لن ينفعهم إذا حلّ بهم عذابه، أو عرضوا على النار يوم القيامة، لأنّ ما ينفع الإنسان هنالك عمله الصالح وليس المال والأعوان.

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا و لو افتدوا بملء الأرض ذهبا، و لو اجتمع الإنس و الجنّ لنصرتهم، و لعلنا نفهم من الآيه أنّهم يوظفون الأموال و الأنصار من أجل أهدافهم القدره، أو أنّهم يتحصنون بهما- كما يفعل الطواغيت و الظلمه- عن الفضيحه و الأذى في الدنيا.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ نعم. إنّ المنافقين قد يتنعمون في الدنيا، و ينالون نصيبا من زينتها، و لكنهم في الآخرة لا نصيب لهم إلاّ العذاب المستمر، و قوله تعالى «لن تغنى» نفيا قاطعا مؤكّدا مؤيدا، فيه إشارة إلى كونها تغنى عنهم في الدنيا شيئا محدودا.

ثم يضع القرآن أماننا صورته للمنافقين في الآخرة، إذ يحلفون لله طمعا في النجاه بالمخادعة، ذلك أنّ الحلف و الأيمان ربما تصلح جنّه في الدنيا و أمام الناس، أمّا الله فإنّه قد أحاط شهادته و علما بكلّ شيء، و لو أدرك الإنسان هذه الحقيقة بعمق لترك النفاق.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فَيَقُولُونَ: وَ اللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (١) إصرارا على النفاق المتأصل فيهم، و طمعا في الخلاص من الفضيحه و العذاب. و هذه الآيه تهدينا إلى حقيقة مهمّة و هي

ص: ١٨٥

أنّ الإنسان يبعث بخلقياته و طبائعه التي يموت عليها، بلى. ليس يبعث الإنسان بجسمه و حسب، بل و بكلّ خصائصه النفسيه و السلوكيه، فترى الكاذبين يومئذ بأفواه ننته، و المتكبرين فى صورته ذرّ يطأهم الناس بالأقدام، و المنافقين بوجهين لاندواج شخصيتهم فى الدنيا.

وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَى شَىء من شأنه يمضى مكرهم و خداعهم عند الله، قدره، أو مالا، أو نصيرا، أو ما أشبهه، كلاً.. فإنّ الله لا تخدعه المظاهر، و لا الإعلانات، و لا..

و لا... لأنه شهيد على سرهم و جهرهم، عليم بحقيقتهم، خبير بما عملوا و ما يعملون.

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ عند أنفسهم إذ «يَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ»، و عند الله الذى لا تخفى عليه خافيه. و حلفهم الباطل هو جزء من كذبهم.

و الآيه تهدينا إلى نفس قاعده النفاق ألا و هى الزعم بأنّ الإيمان هو هذه الممارسات القشريه، هذه اللحي المرسله، و الثياب القصيره، و الشعارات الفارغه، و الأيمان المغلظه، و المبالغه فى ادعاء الالتزام بالدين، كلاً.. إنّ كلّ ذلك ليس من الإيمان فى شىء ما دام فى القلب مودّه للكفار، و ولاء لهم! لأنّ الإيمان-أصل الإيمان-هو تولّى الله و أولياءه، و البراءه من أعداء الله.

[١٩] ثم يبيّن القرآن واحدا من العوامل الخفيه و المهمه التى تقف وراء شخصيتهم التافهه. إنه استسلامهم للشيطان، يسوقهم سوقا حيثما يشاء.

إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ لَأَنَّهُمْ ضَعُفُوا أَمَامَ إِغْرَاءَاتِهِ وَ تَحْرِيزَاتِهِ وَ أَسَالِيْبِهِ، وَ الشَّيْطَانُ لَيْسَ الْجَنِّيُّ وَ حَسْبُ، بَلْ هُوَ كُلُّ أَحَدٍ يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، كَعُلَمَاءِ السُّوءِ، وَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُضَلِّلَةِ، وَ الْأَنْظُمَةِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَ كَذَلِكَ الْأَحْزَابُ وَ الْحَرَكَاتُ الضَّالَّةُ.

وَ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَى أَحَدٍ مَا دَامَ يَمْلِكُ الْإِيمَانَ. أَوْ لَيْسَ الْإِيمَانُ حَصْنُ الْإِسْتِقْلَالِ؟ أَوْ جَنَّةُ الْفُؤَادِ مِنَ الْفِتَنِ وَ الشَّهَوَاتِ، فَإِذَا فَقَدَ الْبَشَرُ ثِقَتَهُ بِاللَّهِ وَ تَوَكَّلَهُ عَلَيْهِ عِنْدَ عَصْفِ الشَّهَوَاتِ، وَ تَوَاصَلَ الضُّغُوطِ، فَأَتَى لَهُ الصُّمُودُ؟ إِنَّهُ يَضْحَى كَمَا الرِّيشَةُ فِي بُؤْرَةِ الزُّوْبَعَةِ، فَاقْدَا لِأَيِّهِ إِرَادَهُ أَوْ أَصَالَهُ وَ تَفْكِيرَهُ، يَسْتَسَلِمُ لِمَنْ يَسُوقُهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَ الْإِنْسِ.

وَ الْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ فَرَاغًا قِيَادِيًّا، فَهُوَ إِنْ لَمْ يَنَاصِرِ الْحَقَّ، وَ يُوَالِيَ قِيَادَتَهُ، وَ يَنْتَمِيَ إِلَى تَجْمَعِهِ، نَصَرَ الْبَاطِلَ وَ وَالِيَ رَمُوزِهِ، وَ انْتَمَى إِلَى تِيَارِهِ، وَ قَدْ رَفَضَ الْمُنَافِقُونَ الْخَطَّ الْأَوَّلَ، وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَ شَهَوَاتِهِمْ، فَوَقَعُوا فِي أَشْرَاكِ الشَّيْطَانِ، وَ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ إِلَى أَقْصَى حَدِّهِ. وَ قَالُوا فِي مَعْنَى كَلِمَةِ «اسْتَحْوَذَ» أَنَّهَا مِنْ أَحْوَذِ الشَّيْءِ أَيَّ جَمَعَهُ وَ ضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، وَ إِذَا جَمَعَهُمْ فَقَدْ غَلِبَهُمْ وَ قَوَى عَلَيْهِمْ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ مِنَ الْحَوْذِ وَ هُوَ ظَاهِرٌ فَخَذَ الْإِبِلَ حَيْثُ تَسَاقَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ الْمَحَلِّ. وَ الْمُرَادُ وَاضِحٌ وَ هُوَ الْغَلْبَةُ عَلَيْهِمْ.

فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَ سَلُوكِهِمْ وَ وَاقَعَهُمُ الْعَمَلِيُّ. وَ حَيْثُ أَنَّ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَى فَإِنَّ نَسْيَانَهُ خَسَارَهُ عَظِيمَهُ لِلْإِنْسَانِ، وَ إِنَّهُ لِيَبْدَأُ فِي الْإِضْلَالِ مِنْ أَصْغَرِ الْأُمُورِ خَطْوَهُ بَعْدَ خَطْوِهِ يَتِمَكَّنُ مِنْ صَاحِبِهِ، بِشَتَّى الْأَسَالِيبِ الْمَاكِرَةِ، وَ أَهْمَهَا تَزْيِينُ الدُّنْيَا وَ الذُّنُوبُ لَدَيْهِ، وَ إِثَارَةُ التَّمَنِّيَّاتِ فِي قَلْبِهِ، وَ بَعَثَهُ نَحْوَهَا، وَ مَزَجَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.

قال أمير المؤمنين

ص: ١٨٧

(عليه السلام): «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع..»

فلو أنّ الباطل خالص لم يخف على ذي حجب، ولو أنّ الحق خالص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضعف و من هذا ضعف فيمزجان فيجئان معا، فهالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى «(١)» و يتم استحواذه حينما ينسى الإنسان ذكر ربه و شهادته عليه، و عقابه و ثوابه وسعه رحمته، و شدّه عذابه، و ما أشبهه، لأنّ ذكر الله هو الذي يعصم عن الذنب، و يدفع إلى الطاعة و التوبه،

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «لما نزلت هذه الآية: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَتَعَفُوا لِدُنُوهِمْ صعد إبليس جبلا- بمكّه يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال لست لها، فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال:

بماذا؟ قال: أعدهم و أمنّهم حتى يواقعوا الخطيئه، فإذا واقعوا الخطيئه أنساهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة «(٢)»، و إذا نسي أحد ذكر الله ليس يبقى على خطئه و ضلاله و حسب، بل و يظل دون منقذ في ربه الشيطان و أسره يهوى به دركا بعد آخر إلى أسفل سافلين.

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيَطِيعُونَهُ وَ يَتَوَجَّهُونَ حَيْثُ يَرِيدُ، وَ فِي الآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ مَعَهُ فِي النَّارِ، وَ هَذَا تَقْرِيرٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ حِزْبِهِ، بِالرَّغْمِ مِنْ

ص: ١٨٨

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٦٧

٢-٢) بح/ج ٦٣ ص ١٩٧

انتمائهم الظاهر إليه، وكيف يكونون من حزبه وهم يفقدون أهم شروط و مضامين الانتماء الحقيقي و هو التولّي لأوليائه و الطاعة للإمامه الرساليه؟! و حزب الشيطان ليس تجمعا و لا تنظيما بذاته، بل هو الجبهه العريضة و الممتده عبر الزمن لقيم الباطل و رموزه و تجمعاته بشتى مصاديقها و طبائعها، و التي يناصرها في الظاهر القيادات المنحرفه، السياسيه و الاقتصاديه، و الفكرية و العسكريه، و... و في الخفاء تنتمي إلى إبليس الرجيم.

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ يُوَاجِهُونَ ذُلَّ الْإِنْحِرَافِ وَ الْهَزِيمَةَ عَلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ (حزب الله)، و تتجسد خسارتهم العظمى في الآخرة، حيث يصيرون جميعا هم و الشيطان إلى عذاب الذلّ و الهوان خالدين فيه. و قد أكد الله خسارتهم لأنهم إنّما تولّوا رموز حزبهم، و انتموا إليه رغبة عن حزب الله و أوليائه، و تركوا الحقّ إلى الباطل، من أجل المكاسب و الربح، و لن يفلحوا في بلوغ ذلك أبدا.

[٢٢-٢٠] و يؤكّد القرآن الحكيم مرّة أخرى خساره حزب الشيطان، و الذين ينتمون إليه، لمعاداتهم الله بترك رسالته، و معاداتهم رسوله بمعصيته و ترك التسليم لقيادته، حيث يصيرون من أكثر الناس ذلّة و صغارا.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ لِأَنَّ اللَّهَ اخْتَصَّ بِالْعِزَّةِ وَ خَصَّ بِهَا رَسُولَهُ وَ الْمُؤْمِنِينَ (حزب الله) و ليسوا منهم، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١)، ثم أن السبيل إلى العزة الحقيقيه هو تطبيق الحق، و ليس اتباع الباطل و الأهواء، و قد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، و اتبعوا الشيطان

ص: ١٨٩



و لعل الآيه تهدينا إلى أن هؤلاء المنافقين يعيشون في داخلهم شعور الضعه و الحقاره و الذل، مما يدفعهم بناء على ظنونهم و تصوراتهم الخاطئه إلى التولّى لأعداء الله بحثا عن القوّه و العزّه، و يتمسّك المؤمنون الصادقون بولائهم و انتمائهم لله و لحزبه و قيادته، لاعتقادهم الراسخ بأن ذلك هو السبيل إلى العزّه و القوّه (الفلاح).

و تظهر ذلّه الكفّار بصوره أجلي حينما يصبّ الله عليهم العذاب المهين، فلا تبقى لهم كرامه بين الناس، و لا في أنفسهم، إلا أنّ مشيئته تعالى بإذلالهم ليست محصوره في الآخره، و كذلك عزّته لحزبه، بل هما مفروضتان و محتومتان في الدنيا أيضا، و تتجليات في نصره سبحانه لحزبه، و إنّ ذلك حقّ محتمّ، خلق الله الحياه على أساسه، و فرضه بإرادته.

□  
كُتِبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي أَى فرض و أثبت، كقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (١)، و كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ (٢)، و لا مبدل لما يكتب الله، لأنّه الإراده المطلقه. و فى الآيه تأكيدات أربعه: الفعل «كتب»، و لام التوكيد، و النون فى «لأغلبن»، و الضمير المنفصل «أنا»، و كل ذلك حتى يطمئنّ المؤمنون بنصر الله لهم رغم كلّ التحديّات، و الظروف المعاكسه، حيث يقفون بالعدد القليل، و العدّه المحدوده، فى مقابل حزب الشيطان بأعداده الكثيره و إمكاناته الماديه و المعنويه الهائله، و يعلمون أنّهم سينصرون عليه، و ستكون الغلبه لصالحهم، لأنّهم إن قَلُوا، و قَلَّتْ إمكاناتهم، مؤيّدون بإرادته الغيب المطلقه.

□  
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

ص: ١٩٠

١- (١) البقره ١٨٣/

٢- (٢) البقره ٢١٦/

لا يغلبه أحد، و ينتصر على كلِّ عدو.

عَزِيزٌ لا- يقبل الذلَّه لنفسه و لا- لرسوله و أوليائه و المؤمنين (حزبه). و هذه تأكيدات ثلاثه أخرى: «إِنَّ»، «قوى»، «عزیز»، و ما أحوج الحركات الرساليه التي تقف اليوم بإمكاناتها المحدوده تقايل الشرق و الغرب و أذياهما من الأنظمه الفاسده، ما أحوجها أن تتطلَّع إلى هذه الآيه الكريمه، و تجعل منها بلسما لكلِّ عوامل اليأس و التردّد و الانسحاب، بلى. إنهم مدججون بمختلف الأسلحه و أحدثها (عسكريا، و سياسيا، و إعلاميا، و معلوماًتيا، و اقتصاديا)، و لكننا منصورون بعزّه الله و قوّته.

و من الطبيعي أنّه لا- يصح الاعتماد في الصراع على أنفسنا بعيدا عن الإيمان بالغيب، لأنّ المعركه خطيره، و التحدّيات كثيره و صعبه، كما لا يجوز أن نعتبر الغيب بديلا عنّا في إداره الصراع، إنّما يجب أن نبذل ما نستطيع من أجل الغلبه، ثم نتوكّل على الله، و يبدو أنّ في الآيه إشاره إلى ذلك، فإنّ الله لم يقل: «لَأَغْلِبَنَّ أَنَا» و حسب، إنّما أضاف: «و رسلي»، كما تذكّر الآيه التاليه بحزب الله، تأكيدا على أنّ لنصر الله شرطين: (القياده الرساليه+حزب الله)، و لا يعنى أنّه لا يستطيع نصر الحق و تنفيذ رسالته في الحياه من دون الرسول و المؤمنين، كلّاً..

و لكنّه خلق الحياه على أساس الابتلاء و الامتحان.

و باعتبار الآيه جاءت بعد الحديث عن الذين يتولّون أعداء الله نستوحى منها أنّ تحالف المنافقين مع جبهه الشيطان ضدّ حزب الله لا يمكنه أن يغيّر من المعادله شيئا، فإنّ ذلك لن يضعف حزبه تعالى، و لكن يكسب أعداءه نصرا على الحق.

و قال: «أنا و رسلي»، ثمّ أكّد بعدها قوّته و عزّته و وحدّه، لكي يؤكّد بأن غلبه الحق

ليست مرهونه في الدرجة الأولى بنصره أحد من الناس، إنما تتحقق بإرادته سبحانه، فلو تنصّل الجميع جدلاً عن مسؤولياتهم، بل و تحالفوا مع أعدائه، فإنه ينتصر للحق. وقال: «و رسلى» و لم يذكر المؤمنين، مع أنهم معتبون بالآيه و الغلبه، ربما للدلاله على أنّ نصر الله للمؤمنين إنما هو لا- لا تباعهم خط الرسل، و لم يفرد بالقول: «و رسولى» ممّا يهدينا إلى أنّ الرساله الإسلاميه امتداد حقيقى للرسالات السابقه كلها، و أنّ انتصارها هو انتصار لمسيره الحقّ فى الحياه، و التى حمل مشعلها الأنبياء فى التاريخ، و نصره الله لا تتوقّف بعد الأنبياء، إنّما تستمر فى تأييده للحركات الرساليه الصادقه (حزب الله) باعتبارها الامتداد الطبيعى لحركه الرسل، فنصرها نصر لمسيرتهم.

و هناك ثلاثه سبل:

الأول: القوّه الغيبية المباشره أو عبر الملائكه، كما نصر نوح (عليه السلام) بإهلاك قومه، و موسى (عليه السلام) بإغراق فرعون و جنده، و كذلك النبى صالح و النبى شعيب (عليهما السلام)..

الثانى: الحجج البالغه التى يسدّد بها أولياءه، فيقتنع الناس بكلامهم، و يعرفون أنّ رسالات ربّهم هى الحق، كما أتمّ الحجج لنبىه الأكرم (صلّى الله عليه و آله و سلم) فدخل الناس فى دينه أفواجا.

الثالث و هو الذى يهمنّا: نصر الحقّ بالمؤمنين المتوكّلين عليه عزّ و جل، الراغبين فى الشهاده المعتصمين بحبل الوحده و القياده الرساليه، و الذين لا يعرفون إلاّ السعى الحثيث من أجل إعلاء كلمه الحق، و هم حزبه بحقّ و صدق.

و أهم ما يميّز حزب الله هو تجرّد أفراده للحقّ تعبداً لله، و تسليمًا لرسوله عن قناعه

ثابته و رضى، فإنك لو فتشت فى قلوبهم، وسلوكياتهم السياسيه، و حتى الاجتماعيه لما وجدت أثرا لتولى أعداء الله فى حياتهم أبدا، لأن تحزبهم مخلص له وحده تعالى، لا يتنازلون عن هذه القيمه الأساسيه، و لا يساومون عليها أحدا مهما كان قريبا منهم، لوعينهم العميق بدور التولى فى تحديد شخصيه الإنسان، و هويته الحقيقيه، و انتمائه، كما قال الله:

□ □  
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِيمَانًا قَنَاعَةً وَ تَوْحِيدًا، أَوْ يوقنون بالحساب و الجزاء.

□ □  
وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إِنَّكَ لَا تَجِدُ مِنْ هَذِهِ صِفَتِهِمْ، يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَذَلِكَ شِرْكٌ وَ كُفْرٌ لَا تَقْبَلُهُ نفوسهم المؤمنه بالله، و ذنب عظيم يخشون غضب الله عليهم بسببه فى الآخره، و الحال أنهم يبحثون عن السعاده و الفلاح فيها. و بالنظر إلى الآيه من زاويه أخرى يكون المفهوم أن الذى يتولى أعداء الله أو يحبهم ليس من المؤمنين، و أن أهم العوامل التى تدفع المنافقين و مرضى النفوس إلى الإقدام على ذلك هو شكهم فى الله و الجزاء، و كفرهم بهما، و أنهم استبدلوا الإيمان بالله بالشرك و الكفر، و الدنيا بالآخره. أما المؤمنون الصادقون (حزب الله) فهم يتولون ربهم و خلفاءه من القيادات الرساليه، و يمنعون إيمانهم به و بالآخره أن يتولوا من حادّه.

□ □  
وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ لِآتَيْنَاهُمْ لَأَنَّهُمْ لَا تَعْمَلُ الْعَوَاطِفَ وَ لَا الضغوط فى شخصياتهم و سلوكياتهم و مواقفهم،

إنما يبحثون عن الحق و يطبقونه، و عن القيادة الكفوءة المحققة فياالونها، و عن التجمع الرسالى فينتمون إليه، و يسخرون كل إمكاناتهم من أجل ذلك، لا تأخذهم فى الله لومه لائم. و لا ريب أن ذلك أمر تصعب دونه التحديات التى تحتاج إلى الإرادة القويّة، و التوفيق من الله، و لذلك أكد القرآن بالقول:

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ أَى أثبت الله الإيمان فى نفوسهم، لما وجده فيهم من الأهلئة، حيث تجردوا له و للحق عن كل شىء سواهما. و الإيمان الذى يكتب فى القلب هو الأهم و الأرسخ و الاصدق من الذى يظهر فى الجوارح.

وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ فَاجْتَمَعَتْ فِيهِمْ ثَلَاثُ قَوَى: (إرادتهم + قوّه الإيمان + تأييد الله)، فإذا بهم ينتصرون على التحديات، و يخرجون من أمتن الصلاة و أعمق الانتماءات تجذرا (الصله بالآباء و الأبناء و الإخوان، و الانتماء إلى العشيره و الوطن و القوميه) إلى الانتماء الرسالى و الصلاة بالحق و أهله. و يبدو أن هذه الكلمه تعاكس تلك التى ذكرت فى صفات المنافقين من أن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله، فهناك لا تجد ذرّه من الاستقلال و العزّه و الإراده، بينما لا تجد هنا شيئا من التراخى و الضعف و الذل، و ليس الفاصل بينهما إلا الإيمان الحق بربّ العزّه.

أما عن الروح التى يؤيدهم بها الله، و تثبت الإيمان فيهم، و ينتصرون بها على التحديات، فإنها تعبير عن الشىء الذى يعطى الحياه الحقيقيه للإنسان، و حياته فى التزامه بالحق، و من أظهر مصاديقها روح الإيمان التى تحملها إليهم و تركها فيهم آيات الله، و بيعتها فى روعهم الإيمان المكتوب فى القلوب، قال تعالى: يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (١)، و من مصاديق روح التأييد الإلهي ملائكة الله، و إليك جانبا من النصوص الواردة في تفسير تلك الكلمة:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «هو الإيمان» (٢).

و

قال: «ما من مؤمن إلا و لقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيه الوسواس الخناس، و أذن ينفث فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك» (٣) ثم تلا الآية.

و

قال الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَيْدِ الْمُؤْمِنِ بِرُوحٍ مِنْهُ تَحْضُرُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَحْسُنُ فِيهِ وَ يَتَّقِي، وَ يَغِيبُ عَنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَذْنِبُ فِيهِ وَ يَعْتَدِي، فَهِيَ مَعَهُ تَهْتَرُ سُرُورًا عِنْدَ إِحْسَانِهِ، وَ تَسِيحُ فِي الشَّرِّ عِنْدَ إِسَاءَتِهِ، فَتَعَاهَدُوا عِبَادَ اللَّهِ نِعْمَهُ بِإِصْلَاحِكُمْ أَنْفُسَكُمْ تَزِدَادُوا يَقِينًا، وَ تَرْبِحُوا نَفِيسًا ثَمِينًا، رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَاءَ أَهْمٍ بِخَيْرِ فِعْمَلِهِ، أَوْ هُمُ بِشَرِّ فَارْتَدَعُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ نُوَيِّدُ بِالرُّوحِ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَ الْعَمَلِ لَهُ» (٤).

و لقد تجلّت مصاديق الإيمان الثابت و التأييد الإلهي في الصحابه المخلصين لرسول الله، إذ خرجوا من العلاقات العاطفيه و الاجتماعيه و السياسيه، و كذلك الانتماءات القبليه و العرقيه و..و.. لتكون علاقتهم بالحقّ وحده، و انتمأؤهم إلى حزب الله، و من أجل ذلك وقفوا يقاتلون آباءهم، و أبناءهم، و إخوانهم، و قبائلهم، لا تأخذهم في الله لومة لائم، و

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «و لقد كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) نقتل آباءنا، و أبناءنا، و إخواننا، و أعمامنا،

ص: ١٩٥

١-١ (١) الأنفال ٢٤/

٢-٢ (٢) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٦٩

٣-٣ (٣) المصدر

٤-٤ (٤) المصدر

ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً و تسليماً، و مضيئاً على اللقم، و صبراً على مضمض الألم، و جدّاً فى جهاد العدو « (١) و

جاء فى السيره أنّ عبد الله بن عبد الله بن أبى جلس إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، فشرّب النبى ماء، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضله أسقيها أبى، لعلّ الله يطهر بها قلبه؟ فأفضل له، فأتاه بها، فقال له عبد الله:

ما هذا؟ فقال: هى فضله من شراب النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) جئتك بها تشربها لعلّ الله يطهر قلبك بها، فقال له أبوه: فهلاً جئتني ببول أميِّك فإنه أظهر منها!! فغضب (ابنه) وجاء إلى النبى، و قال: يا رسول الله! أما أذنت لى فى قتل أبى؟ فقال النبى: «بل ترفق به، و تحسن إليه» (٢) و يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَصَدَقَهُمْ مَعَهُ، و إِخْلَاصَهُمْ لَهُ، و نصرتهم لدينه و رسوله، «و رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» من كلّ ثواب و جزاء غيره.. و هم بدورهم سلّموا له.

و رَضُوا عَنْهُ مَعْرِفَهُ بِهِ، و رغبه فى ثوابه، فهم لا يتذمرون ممّا يصيبهم و يتعرضون له من المصاعب و الأذى فى سبيله، لأنهم يبحثون عن رضوانه أئى وجدوه، فهو تطّلعهم الأ-عظم الذى لا- يبالون بالتضحيات من أجله، و يسترخصون كلّ شىء سواه، لأنهم باعوا أنفسهم له تعالى، و جعلوها رهن رضاه، فتحزّبوا (ناصروا و توحّدوا) من أجله، تحت لواء الحق، و القيادة الرسالية، و فى تجمّع المؤمنين، تحبّون ما يحب

ص: ١٩٤

١- (١) نهج البلاغه/خ ٥٦

٢- (٢) القرطبي/ج ١٧ ص ٢٠٧

و يعملون به، و يبغضون ما يبغض و يتناهون عنه، و مقياسهم فى معرفه الباطل و مصاديقه (أعداء الله و رسوله) هو الحق المتمثل فى الرساله، و القيادة الإلهيه المتجسده فى الرسول، و الأئمه، و العلماء المخلصين من بعدهم.

أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ لَأَنَّهُمْ مَتَجَرِّدُونَ لَهُ و للحق و لقياده الصالحين، أعمق حتى من تمحّض المنافقين للشيطان و للباطل و لأئمه الكفر و رموزه. و الذى يبحث عن الخط الرسالى الأصيل و يريد الانتماء إليه، فإنه متجسد فى الحركات الإلهيه المخلصه، القائمه على مقاطعه أعداء الله و حربهم بعيدا عن العلاقات و التحالفات المشبوهه، و على أساس الحق لا العنصريه، و القوميه، و الإقليميه، و ما أشبهه، و لا على أساس الصنميه لأحد، فذلك كله شرك خفى. و كما أنّ أفراد حزب الله الحقيقيين لا يوادّون من حادّ الله، فإنّهم من جانب آخر لا- يحادّون من وادّه و أحبه، فليس من حزبه أولئك الذين ينصبون العداة لأوليائه و المؤمنين به، و لا- الذين يتخذون تجمّعهم بذاته مقياسا لمعرفة الحق و الباطل، لأنّها قيمه جاهليه يرفضها المؤمنون من حزب الله، إنّما مقياسهم الحق نفسه، و القيادة التى تلتزمه و تصيبه فى آرائها و مواقفها. و قوله تعالى:

أُولَئِكَ يَشِيرُ إِلَى الصِّفَاتِ الْآنْفِهِ الذِّكْرُ يَهْدِينَا إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ وَ التَّجَمُّعَ لَا يَكُونُ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ بِالْمُظَاهَرِ كَالشَّكْلِ وَ الْاسْمِ، إنّما بالمضامين و الصفات، و عليه فإنّ حزب الله ليس كلّ حركه تتبّنى هذا الاسم، بل الحركه التى تجسّد تلك الصفات فى واقع الحياه فرديّا و جماعيا، و لو أنّ شخصا انتمى إلى التجمّع المؤمن، و لكنّه لم يجسدها، فهو ليس منه أبدا رغم انتمائه الظاهرى.

و من كلمه «حزب» نهتدى إلى أنّهم منسجمون مع بعضهم متألّفون، تربطهم الوشائج المتينه الإنسانيه و الإيمانيه، فإنّك لا تجد فى أنفسهم حقدًا و لا غلا و لا إصرا



على بعضهم و على إخوانهم المؤمنين، و لا- مظهرا لروح الفردية. و على أساس هذا التعريف الواسع لحزب الله فإنه لا يمكن أن نحصر مصاديقه في جماعه معينه، إنما هو جبهه كلّ المؤمنين الصادقين. و تلك القيم و الصفات هي التي يتحصّلون بها السعاده.

□ □  
ألا- إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و الفلاح هو السعاده بالنجاح في الوصول إلى الأهداف الحقيقيه للإنسان، و فلاح حزب الله في الدنيا بالإيمان و ثمار تطبيق الحق و الالتزام به، و بالانتصار على حزب الشيطان، و في الآخرة بجنّات الله و رضوانه.

ص: ١٩٨

سوره الحشر

اشاره

ص: ۱۹۹



بسم الله الرحمن الرحيم

## فضل السوره:

فى كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن النبى -صلى الله عليه وآله وسلم- قال :

«من قرأ سورة الحشر لم يبق جنه ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولا الحجب و السماوات و السبع و الأرضون السبع و الهواء و الريح و الطير و الشجر و الجبال و الشمس و القمر و الملائكه إلا صلّوا عليه و استغفروا له، و إن مات فى يومه أو ليله مات شهيدا».

نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٧١

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- : «من قرأ هذه السوره كان من حزب الله المفلحين» ثواب الأعمال/ص ٢٠٩

ص: ٢٠١



تفتتح السوره بتسييح الله و بيان عزته التي تجلت في دحر الكافرين، و تختتم بأسماء الله الحسنی، و فيما بينهما تبين الأخوه الإيمانيه التي تشد المسلمين إلى بعضهم، بينما الكفار تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى..

ففي السوره إذا محور إن يتصلان ببعضهما اتصال الرافد بالنبوع، و الدوحه بجذورها الضاربه في العمق..

ذلك أن تسييح الله و تقديسه عن الشركاء، و الذوبان في بوتقه توحيدده، و الاستظلال تحت رايه حمده التي ترفرف بأسمائه الحسنی.. كل ذلك أساس التجمّع الإيماني المتسامي عن حواجز ماده، و جذر لدوحه الصفات المثلى كالتكافل و الإيثار، و ينبوع روافد الحكمه و الجهاد و العزه الإلهيه.

و هكذا تنساب آيات السوره في الأذان الواعيه، فتطهر القلوب من أضغانها،

و تزرع الحب في أرجائها.

تعالوا نستقبل زخات النور المنبعث من آياتها المباركات:

لأنَّ الله قَدَّوسٌ يَسْبَحُ له ما فى السموات والأرض فهو العزيز الحكيم.

ولأنَّه عزيز فإنه قهر الذين كفروا بالرسالة و حاربوها من أهل الكتاب، و أخرجهم حتى يوم الحشر من ديارهم بالرغم من تجذّرهم فيها، فلم يظنّوا بأنهم خارجون منها، كما لم تظنوا ذلك. لماذا؟ لأنهم شاقّوا الله حينما كفروا برسالته، و بما شاقّوا الرسول. و من آيات عزّه الله أنه شديد العقاب بالنسبة إلى من يشاقّ الله.

و يشرع السياق فى بيان أصول التكافل الاجتماعى بين المسلمين عبر نقاط متواصله:

الأولى: إنّ ما أفاءه الله على رسوله من دون حرب فهو لله و للرسول و للمستضعفين من المسلمين.

الثانية: إنّ الهدف من توزيع الثروه منع تراكمها بين الأغنياء فقط.

الثالثة: الفقراء من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله و نصرّوا الله و رسوله أولئك هم الصادقون فهم يستحقّون الفىء.

الرابعة: الذين سبقوهم إلى دار الإيمان و هم الأنصار لا يجدون فى أنفسهم حاجه ممّا أوتوا، لأنهم يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه، و لأنّ الله قد وقاهم شحّ أنفسهم، و من يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون .

و هكذا تتدرّج آيات السوره ابتداء من التكافل الاجتماعى لتبلغ أسمى

مراحل الأخوة الإيمانية المتمثلة في الإيثار. و يبدو أنّ هذه البصيره هي محور السوره كلّها.

الخامسه:لكى تبقى مسيره الأخوه عبر الأجيال فإنّ المؤمنين يستغفرون الله لمن سبقهم بالإيمان.

السادسه:إنّ المؤمنين يدعون ربّهم دوماً أن ينزع من صدورهم أىّ غلّ تجاه إخوتهم المؤمنين.

السابعه:و كما يضرب القرآن لنا مثلاً أعلى للأخوه بين أبناء البشر في قصه الأنصار(من أهل المدينه)و المهاجرين(من غيرهم) و ما كان بينهم من إيثار وحب،يسوق أمثوله من واقع المنافقين(من أهل المدينه)و كفّار أهل الكتاب(من غيرهم)و كيف سادت علاقاتهم الخيانه،فقد وعدوهم بأن ينصروهم إن هوجموا و الله يشهد أنّهم لكاذبون،كما يسوق أمثوله أخرى من واقع اليهود و كيف أنّهم يفقدون التمسك بعزّه الله فتراهم يرهبون منكم،كما أنّ قلوبهم شتى فيما بينهم لأنّهم قوم لا يعقلون.

و هكذا علاقه الشيطان بمن يتبعه،يأمره بالكفر(و يميّيه بالنصر)و لكنّه يخذله، و يقول: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ،فيكون عاقبتهما النار خالدين فيها.

الثامنه:و لكى تنمو في الامّه روح التقوى التى هي أصل كلّ خير فإنّ الله يأمرنا بأنّ ننظر ماذا نقدّم لدار مقرّنا التى ننتقل إليها غداً،و يأمرنا بذكره أبداً، لأنّ من ينسى الله ينسيه الله نفسه،و أن نسعى لنكون من أهل بالجنه(التي سبقت الإشاره إليهم،و كيف يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه)،و أن نحذر مصير أهل النار فهما لا يستويان مثل،أصحاب الجنه هم الفائزون.



و فى ختام الآيه يتحف ربنا رسوله و المؤمنين ببيان أسمائه الحسنى عبر آيات لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشيه الله..

و إذا تفكرنا فى هذه الأسماء و وعيناها فإنّ الإنصهار فى بوتقه التوحيد و الخروج من شحّ الذات يكون ممكنا بإذن الله.

ص: ٢٠٦

## [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ٨]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِعِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنِّ اللَّهِ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ وَ لِإِئْتِيَانِي وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)

## اللغة

١[الحشر]:الجميع مع سوق،و المحشر:موضع الحشر،و فى كتاب مقاييس اللغة:أن الحشر بمعنى الحشر،و فيه زياده معنى، و هو السوق و البعث و الانبعاث،و سميت الحشره حشره لكثرتها و انبعاثها لطلب الرزق،و فى مفردات الراغب:الحشر:إخراج الجماعه عن مقرهم و ازعاجهم عنه إلى الحرب و نحوها،و لا يقال الحشر الا فى جماعه.

٣[الجلء]:هو الانكشاف،و أجلى عن البلد:أبعد و أخرج،و قيل أن الجلاء فى الآيه:هو رفع المانع عنهم حتى يجلوا و يخرجوا،و فى مجمع البيان:الجلء:الانتقال عن الديار.

٥[لينه]:النخله،و أصل اللينه واوا فقلبت ياء،و قيل اللينه من الليونه،و هى كل ثمر لئين،و قوى ذلك الراغب فى مفرداته،و جمع بين المعنيين فقال:هى النخله اللينه الناعمه.

ص:٢٠٨

٦]أوجف]:سرعه السير، و اوجفت الخيل أسرعته. و قيل الوجوف سرعه مع اضطراب، و استدلوا بقوله: «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» أى مضطربه.

ركاب:هى الإبل، و فى التحقيق فى كلمات القرآن:

الركاب:مصدر بمعنى استقرار شىء على آخر، ثم صار أسماء لكل ما يتحقق بوسيلته الحمل و النقل، و قديما قيل هو الجمل لقوته و تحمله و صبره، و فى الصحاح:يقال:مر بنا راكب..إذا كان على بصير خاصه، و الرّكاب:المطىّ واحدتها راحله، و المركب السفينه، و جمعها مراكب، و الركبان:الجماعه من راكبي الإبل، و قيل:ان المركب السفينه، و الجمل يسمى سفينه.

٧]دوله]:تداول القوم الشىء تداولاً، و هو حصوله فى زيد هذا تاره و فى يد هذا أخرى، و الأصل هو الانتقال.

ص:٢٠٩



### هدى من الآيات:

هاجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يثرب، ليتسنى له أن يبني في جوف من الاطمئنان حركته الحضارية، و يعدّ المؤمنين للدور التاريخي الهام الذي ينتظرهم.

ولكنه وجد مدينته محاطة بمجاميع من الأعداء لا- يقولن خطرا عليه و على رساله من طغاه قريش، و هم بنو النضير، و بنو قريظه، و بنو قينقاع من قبائل اليهود، و قد أهمهم الدين الجديد باعتبارهم أصحاب رساله سابقه، و اعتبروه خطرا على مصالحهم و كيانهم، و ربما يدفعهم العداة مع دين الإسلام الى الدخول فى الحرب ضده.

و حيث لا تغيب هذه الحتميات عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد سعى لإبراهيم المعاهده الأمنيہ معهم لتحديدهم، و ليتوجه إلى بناء الأمة الجديده، و اعدادها لدورها الحضارى.

و لكن اليهود نقضوا العهد عداوه لله و لرسوله، و حسدا من عند أنفسهم، و كان ذلك أن أتاهم رسول الله يستلفهم ديه رجلين قتلهما رجل من أصحابه، و كان بينهم كعب بن الأشرف، فلما دخل على كعب قال: مرحبا يا أبا القاسم و أهلا، و قام كأنه يصنع له الطعام، و حدث نفسه أن يقتل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و يتبع أصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك، فرجع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الى المدينة (و

قيل: انهم قالوا: نعم. يا أبا القاسم! نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقال (كعب بن الأشرف): انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه، و رسول الله الى جانب جدار من بيوتهم قاعد، فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخره، و رسول الله فى نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام و قال لأصحابه: «لا تبرحوا» فخرج راجعا الى المدينة، و لما استبطأوا النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قاموا فى طلبه.. حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر و أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) محمد بن مسلمه بقتل كعب بن الأشرف (فقتله) و أخذ رأسه (١).

و عزم (صلى الله عليه و آله و سلم) على قتالهم لما وجده فيهم من العداوه و الغدر، بالذات و قد علم بالطابور الخامس للمنافقين الذى يتصل بهم فقال لمحمد بن مسلمه الأنصارى: «اذهب إلى بنى النضير فأخبرهم: أن الله عزّ و جلّ قد أخبرنى بما هممتم به من الغدر، فاما أن تخرجوا من بلدنا، و أما ان تأذنوا بحرب» فقالوا:

نخرج من بلادك، فبعث إليهم عبد الله ابن أبى (رأس النفاق): لا تخرجوا، و تقيموا، و تنايذوا محمدا الحرب، فانى أنصركم أنا و قومى و حلفائى، فان خرجتم معكم، و ان قاتلتم قاتلت معكم (و كان يطمع فى غلبتهم على المؤمنين لما فيه من المصلحه الماديه له و لأعوانه) فأقاموا و أصلحوا بينهم حصونهم، و تهيأوا

ص: ٢١٢

للقتال، وبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع، فقام رسول الله، وكبر وكبر أصحابه وقال لأمر المؤمنين (عليه السلام):

تقدم على بنى النضير، فأخذ أمير المؤمنين الراية وتقدم، وجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحاط بحصنهم (يحاصرهم اقتصاديا ومعاشيا واجتماعيا ليستسلموا، ولكي لا يتصلوا بقريش فتدعمهم) وغدر بهم عبد الله بن أبي، وكان رسول الله إذا ظهر بمقدم بيوتهم حصنوا ما يليهم، و ضربوا ما يليه (حتى لا ينتفع به فى شىء) وكان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن حربته (كما تفعل الكثير من الجيوش حينما تنسحب من أى مدينه أو منطقته) وقد كان رسول الله امر بقطع نخلمهم (حتى لا يستفيدوا منها فى أكل ولا تحصن) فجزعوا من ذلك وقالوا:

يا محمد! إن الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذ، وإن كان لنا فلا تقطعه، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا محمد! نخرج من بلادك فأعظنا مالنا، (مما دل على ضعفهم وتنازلهم عن موقفهم السابق) فقال: «لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل» فلم يقبلوا ذلك، فبقوا أياما، ثم قالوا (وقد ضعفوا وتنازلوا أكثر): نخرج ولنا ما حملت الإبل، فقال: «لا ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه» (وكان هذا الموقف الحازم والمتصلب من القيادة الرسالية يؤكد فى نفوسهم الضعف وقوه المسلمين) فخرجوا على ذلك، و دفع منهم قوم الى فدك، و وادى القرى، و خرج قوم منهم الى الشام (1).

و تحققت للرسول بذلك ثلاثه اهداف: قضاؤه على عدو خطير أولا، و قطع دابر المنافقين المعتمدين عليهم و آمالهم، و أضعاف جهتهم ثانيا، و كسب الهيبة بين الأعداء المتبقين كقريش ثالثا. و فى البعد الاستراتيجى طهر شبه الجزيره من الوجود اليهودى.

ص: ٢١٣



[١] معرفه الله أعظم باعث للإنسان نحو عبادته و التسليم له، و خير ضمانه للاستقامه على ذلك، و منهج معرفته تنزيهه عن الشريك، و معرفه أسمائه الحسنی لنعرف أنه سبحانه أهل للعباده فتسلم له نفوسنا و عقولنا و جوارحنا و قد ألهم ربنا كل شيء قدرا من نور معرفته، فاذا بكل شيء يسبح بحمده، «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ».

سَبَّحَ لِلَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَسْبِيحًا تَكْوِينًا بما فيها من عجز و محدوديه، اللذان يعنيان افتقارها الى الخالق و المدبر، و تسبيحا عمليا حيث خضع كل شيء لإرادته و سننه، و استجاب لأمره و نهيه، تسبيحا ناطقا كل بلسانه، و لو أن مخلوقا مختارا كالإنسان تمرد فلم يستجب لله، و لم يتلفظ بذكره، فانه لا يستطيع الخروج عن تسبيحه بصوره تكوينيه كما يقاوم إرادته و سننه، بل و لا يمكنه البقاء على ذلك إلى الأبد، فإذا لم يستجب بإرادته و اختياره فسوف يخضع بكل وجوده في القيامه حيث يكون الدين لله.

و شذوذ الإنسان عن مسيره الوجود من حوله إذا رفض الاستجاب له لا يغير من شأنه عز و جل شيئا، فهو بذاته منزّه سواء سبحه خلقه أم لا، ذلك لأن تعاليه و سموه عن الشريك و العجز و المحدوديه حقائق ذاتيه و ليست مكتسبه.

و هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تتجلى عزته و حكمته في الوجود، و في مسيره البشريه، و في كتابه الذي تجلى فيه لخلقه، و يؤكد القرآن هاتين الصفتين في مطلع السوره و خاتمتها لما في آياتها من

تجلياتهما، ففيها الحديث عن هزيمه أعدائه، و عن غلبته و رسله عليهم الذى يعكس عزته، و فيها بيان التدبير، و حكمه بعض أحكامه و تشريعاته.

[٢] و يذكر القرآن بإحدى الحوادث التاريخيه، التى تعكس بأحداثها و آثارها عزه الله و حكمته، حيث يضع أمامنا صورته واقعيه لغلبته و رسله، و يفصل فيها القول مما يجلى عزته و حكمته، فبعزته كتب الهزيمه على أعدائه، و النصر لرسوله و للمؤمنين، و بحكمته أعطى هذا النصر الكبير للمسلمين من دون تضحيات.

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ وَ الْحَشْرُ هُوَ الْجَمْعُ وَ السُّوقُ إِلَى جِهَةِ مَاءٍ، وَ فِي الْمُنْجِدِ حَشْرُهُ عَنْ بِلَادِهِ: جَلَاءُ، وَ الْجَمْعُ أَخْرَجَهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ (١) وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَ الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ الْإِخْرَاجُ «مَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ يَخْرُجُوا» وَ الْاجْتَاءُ «كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ» وَ الْمَعْنَى:

انه تعالى أخرج اليهود لأول جلاء لهم من شبه الجزيره كمرحله أولى، يتبعها جلاء بعد آخر حتى لا يبقى منهم أحد، و قد حدث ذلك بالفعل لما قويت شوكة المسلمين، و أحس اليهود بالخطر، و أن جلاءهم يمتد الى حشر القيامة دون رجعه الى ديارهم.

و قد قال تعالى: الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَمْ يَقِلْ: أَهْلِ الْكِتَابِ.

لماذا؟ لعل ذلك لأن حرب الله عليهم، و موقف حزبه منهم لا ينطلق من عنصريه و لا حسد، باعتبارهم أهل كتاب آخر، انما ينطلق من موقفهم العدائى تجاه الله و القرآن و الرسول، فقد تآمروا على النبي و نقضوا عهدهم مع المسلمين، و سعوا للتحالف مع كفار مكة و المشركيهما، و ذلك انه لما هزم المسلمون يوم أحد

ص: ٢١٥

(١-١) راجع ماده حشر

ارتابوا، و نكثوا، و طمعوا فيهم، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا الى مكه و حالفوا أبا سفيان عند الكعبه (١)، فأهل الكتاب إذا التزموا بكتابهم، و عهدهم، فإنهم محترمون في الإسلام، أما إذا كفروا، و تأمروا، فقد خرجوا من ذمه الإسلام، و وجب قتالهم، و اجلاؤهم عن بلاد المسلمين، و هذا ما حديث بالضبط مع يهود بني النضير و غيرهم، و هذا الرأى أقرب من تفسير «كفروا» بأنه عدم اعتناق الإسلام، لان الله لا يكرههم عليه، و لا يعتبر كونهم من النصارى أو اليهود مبررا لقتالهم.

أبدأ، بل يفرض لهم حق العيش بأمن في ذمه الإسلام و المسلمين، و يدافع عنهم كأى مواطن مسلم ضمن عهد و حدود مفصله في كتب الفقه،

فهذا أمير المؤمنين (عليه السلام) يتألم للمسلمه المتعدى عليها في ظلّه كتألمه على الأخرى الكتابيه لا يفرّق بينهما فيقول: «و لقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمه، و الأخرى المعاهده فيتزعر حجلها و قلبها و قلائدها و رعثها.. فلو ان امرء.

مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا» (٢).

هذا هو واقع الإسلام، و المنطلق السليم الذى ينبغى اعتباره في تحليل التاريخ، و مواقف المسلمين من أهل الكتاب، أما الأحقاد الموجهه ضد هما من الصهيونيه و الصليبيه فهى لا تأسس إلا على الحسد و الأهواء و المصالح، و بالذات بعد ارتباط الكنيسه و الفاتيكان بعجله الاستكبار العالمى. بلى. إذا حرّف أهل الكتاب كتابهم، و تحولوا الى مسيره مناقضه لقيمته الحقيقه، و إلى حرب الإسلام و قيادته و اتباعه و جبت محاربتهم، لأنهم حينئذ ليسوا من رسالات الله و أنبيائه على شىء.

و نعود إلى أول الآيه عند قوله: «هو» و نتساءل لماذا يثبت الله إرادته و يؤكدها في هذا الموضع بالذات؟

ص: ٢١٦

١- (١) التفسير الكبير/ ص ٢٧٨ عند الموضع

٢- (٢) نهج/ ج ٢٧ ص ٦٩

أولاً: لأن الانتصارات و المكاسب التي يحرزها المؤمنون إنما هي بإرادة الله.

ثانياً: و تأكيد القرآن على هذه الحقيقة يكون أشد ضروره خاصه و ان هذه الآيات تبحث حادث اجلاء اليهود الذى تم من دون قتال عسكري، و ما تلاه من احكام توزيع الفىء، الذى خص به النبى (صلّى الله عليه و آله و سلم) فريقا من الناس دون آخرين، و اثار حولها المنافقون الشبهات، فان تذكير المسلمين بأن الإجلء جاء نتيجة إرادته الهيه، و من دون قتال يوحى بان الله هو الذى أخرج الأعداء، و أن المكاسب الماديه فى الفىء يتصرف فيها النبى كيف يشاء، الأمر الذى يبطل شبهات المنافقين حول تقسيم الفىء.

ثم يؤكد دور الاراده فى نصره المسلمين و جلاء اليهود، و كيف أنّها رغم الظروف و الظنون المعاكسه غيرت المعادله، فلم يكن المسلمون و هم يلا حظون قوه اليهود و يلا حظون قدراتهم المحدوده من جهه أخرى يظنون بأن اليهود سوف يخرجون، ثم أن اليهود من جانبهم و هم المدججون بالسلاح، و أصحاب الخيرات، و المحصنون بالقلع ما كان يخطر على بالهم بأن قوه تستطيع الإنتصار عليهم و إخراجهم.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا كَمَا أَنْ الْغُرُورِ بَلِ الْيَهُودُ حَدًّا تَصَوَّرُوا أَنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ حَتَّى مِنْ قَدْرِهِ اللَّهُ وَ إِرَادَتِهِ، أَمَّا الْمُنَافِقُونَ وَ الْيَهُودُ أَنفُسُهُمْ وَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْحَيَاةِ بِمُقَايِسِ مَا دَيْهِ ظَاهِرُهُ، وَ لَا يَحْسِبُونَ لِلْغَيْبِ حِسَابًا، فَقَدْ جَزَمُوا بِانْتِصَارِ جِبْهَتِهِمْ وَ هَزِيمَةِ حِزْبِ اللَّهِ، بَلِ رَاحَ الْمُنَافِقُونَ يَكَاتِبُونَ بَنِي النَّضِيرِ، يَشْجَعُونَهُمْ عَلَى الصُّمُودِ.

و لو أننا درسنا قضيه الصراع الإسلامى الصهيونى القائم اليوم بكل أبعاده

لوجدناه صورته أخرى لهذه الآية الكريمة، فبعض المسلمين اليوم يزعمون بأن اليهود لا يخرجون من فلسطين. الأمر الذى دفع الكثير منهم الى الاستسلام و رفع رايه التطيع. و الصهاينه الذين تدعمهم القوى الاستكباريه يجدون أنفسهم محصنين ضد أى قوه، و أنهم أقوياء، و يدفعهم هذا الغرور ليس إلى الإصرار على البقاء فى فلسطين، بل يثير فيهم الأطماع التوسعيه أيضا.

و لكن قوه الله فوقهم و سوف يهزمهم بجنده « وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَبَرَّوا مَا عَلَوْنَا تَبِيرًا » (١).

و سيأتى اليوم الذى يتأكد للصهاينه الغاصبين و من يدعمهم ان قوتهم لا تغنى عنهم شيئاً، فان الله يعلم نقاط ضعفهم، ولديه من الأساليب و المكر ما لا قبل لهم به، فقد اغتر أبأؤهم و أسلافهم، وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَعْتَمَدُوا عَلَى الْعَوَامِلِ الظاهرية، و خططوا على أساسها، بما هو فى نظرهم خطه محكمه، لا يمكن تحديدها، و لكن غياب عنهم الكثير من الحتميات و الحقائق فلم يحسبوا لها حساباً، و ما عسى يبلغ البشر من العلم حتى يحيط بكل شىء؟! فَآتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا قَالَ أَغْلَبَ الْمُفْسِرِينَ: بأن قذف فى قلوبهم الرعب، و الذى يظهر بأن ما لم يحتسبوه كان شيئاً آخر غير الرعب إذ لو كان الرعب لا-تى التعبير «قذف» و الحال انه قال بعدها (و قذف) و لعله اغفلوا فى خططهم حتى بعض الجوانب الظاهره مما

ص: ٢١٨

يدل على ان القوى الظاهره المستكبره و الطاغيه لا- تستطيع سد كل الثغرات في كيانها مما يسمح للمؤمنين دحرهم من خلالها،فمثلا- حصون اليهود في أطراف المدينه المنوره كانت تقاوم بعض الحملات الطائشه التي تشنها الأعراب ضدّ المناطق الآهله و لكنها لم تكن لتصمد أمام قوه رساليه يقودها قائد فذ.

ثم انها كانت قائمه ضمن معادلات سياسيه،و تحالفات عسكريه انهارت جميعا بعد استقرار الرسول في المدينه،و ربما يشير الى ذلك السياق في الآيات التاليه.

و هكذا حاصر المسلمون تلك القلاع أكثر من عشرين ليله مما اضطرهم للاستسلام.

وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ إِذَا فُهِتَاجُكَ عَامِلَانِ لِهَزِيمَتِهِم:الأول:ظاهري مادي،و هو إتيان الله لهم من خارج حساباتهم و خططهم،و الثاني:خفي و هو الرعب،لأن السلاح مهما كان متطورا فتاكا لا يجدي نفعها إذا سلب صاحبه إرادته القتال،و تضعف جانبه المعنوي،و لذلك يعتبر السلاح المعنوي(تقويه معنويات الجندي و تضعيف العدو) من أهم عوامل النصر،و من أجله يرصد المتحاربون الأموال و الإمكانيات الطائله، و يخصصون له الوسائل و الخبرات الكثيره المؤثره،و يسعون للإيداع فيه ما أمكنهم.

و سلاح الرعب و الخوف،و سلب المعنويات من أمضى و أظهر الأسلحه التي أيد الله بها نبي الإسلام،و اعتمدها المسلمون في حروبهم،و في مواجهه النبي مع بنى النضير القى الله الرعب في قلوب اليهود حتى استوعبها كلها،فتغيرت المعادله من الكبرياء و الغرور الى الهزيمة النفسيه،و قد عمد النبي نفسه الى استخدام سلاح الرعب حيث امر باغتيال كعب بن الأشرف،و لعل هدمه لبعض دورهم،و قطع نخيلهم كان في بعض جوانبه جزء من خطه إرعا بهم.

و حينما يهيمن الرعب على القلوب فانه يفقد العدو قدره على التخطيط السليم، لأن من أهم ما يحتاجه الإنسان لكي يكون تفكيره منطقيًا و معقولا الاستقرار و الاطمئنان الداخلي، و قد فقد اليهود ذلك فخرجوا من التعقل الى الانفعال، فصاروا يخططون و يعملون ضد أنفسهم من حيث لا يشعرون، حيث راحوا يهدمون بيوتهم بأيديهم حتى لا ينتفع بها المؤمنون، و قيل حتى يصبح ركاب الخرائب حائلا- دون تقدم المسلمين، و قيل: ليفسح لهم المجال للمناورة في الحرب، و غاب عنهم انهم أظهروا بذلك التصرف هزيمتهم للمسلمين مما قوى معنويات عدوهم فصاروا متيقنين بالنصر بعد أن كانوا لا يظنون بأن اليهود يخرجون، و أنهم أعانوا المؤمنين على تحقيق أهم أهدافهم من مواجهه معهم و هو تقويض كيانهم و وجودهم.

يُخْرَبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وَ هذه الحادته التاريخيه و أمثالها حريه بالدراسه و التحليل لما فيها من المنفعه الدنيويه و الأخرويه للإنسان، و المؤمنون أولى من غيرهم بدراستها لأنها جزء من تاريخ حضارتهم، و لأنها تعنيهم و تهمهم أكثر من أى أحد.

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَ الإعتبار هو العبور من الظواهر إلى الحقائق، و من الأحداث إلى خلفياتها، و العبره الحقيقيه ليست بأن يستفيد الإنسان من دراسته لأى حدث أو قضيه أفكارا علميه و نظريات و خططًا و حسب، بل هى بالإضافه إلى ذلك أن تنعكس على سلوكه الشخصى فى الحياه، و يهتدى بها إلى أهم العبر و المواعظ و هى الإيمان بالله عزّ و جلّ. و لا يصل الى هذه الغايه إلا أولو البصائر السليمه،

فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «و لا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفا و البصيره» (1) ثم

ص: ٢٢٠

و من أهم العبر التي نستفيدها من هذا الحادث التاريخي هو معرفه حكمه الله و عزته، و الثقه بنصره للمؤمنين رغم الظروف و العوامل المعاكسه، و ما أوجنا و نحن نقف اليوم في جبهه الصراع ضد أعداء الأمة الإسلاميه، و بالذات ضد الصهاينه الغاصبين أن تتسلح بهذه البصيره، و ننتفع من دراسه تلك التجربه التاريخيه.

[٣-٤] و تأتي الآيه الثالثه لتضعنا أمام النتيجة التي انتهى إليها الصراع، حيث سلط الله رسوله على اليهود، فكتب للمؤمنين النصر و لهم الجلاء عن المدينه الى بلاد الشام و غيرها، و يلفتنا القرآن إلى سماحه الإسلام، و كيف انه لا يدفع أبناءه الى الصراع من منطلقات الحقد، و إنما يدفعهم اليه بدوافع إلهيه و انسانيه، فمع استسلام اليهود، و تمكن المؤمنين منهم، لم تندفع القياده الرساليه الى الانتقام، إنما أمضت حكم الله في القضييه بإجلائهم و مصادره ممتلكاتهم- الا ما يلزمهم للطريق- و هذا بذاته تأكيد آخر على أن موقف الإسلام من أهل الكتاب لا يتأسس على المطامع أو العنصريه أو أى شىء غير الحق، و الا لقتلوهم، و استعبدوهم، و سبوا نساءهم.

وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ أَوْ بِطَرِيقِهِ أُخْرَى، دُونَ أَنْ يَقْتَصِرَ الْأَمْرُ فِي إِجْلَائِهِمْ، أَوْ يُؤَخَّرَ عَذَابُهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ.

وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ نَهْتَدِي مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى أَنَّ الْعَذَابَ الَّذِي يَلْقَاهُ الْمُجْرِمُ الْمَصْرُ فِي الدُّنْيَا لَا يَرْفَعُ عَنْهُ عَذَابَ الْآخِرَةِ، إِنَّمَا يُوَاجَهُ الْآثِنِينَ مَعًا.



و هل كتب الله عليهم الجلاء و نفذ المسلمون حكمه فيهم لمجرد كونهم يهود كما يزعم الصهاينة الحاقدون، و يوغرون صدور يهود العالم بالعداء و الحقد عبر إعلامهم المضلل و مناهجهم التربويه المنحرفه ضد الإسلام و المسلمين؟!..كلا..إنما الذي حدث كان نتيجة خيانتهم العهد، و محاربتهم الله و رسوله.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَي وَقَفُوا قِبَالْتَهُمَا عَلَى شِقِّ آخِر، ناصبين أنفسهم للحرب ضد هما، ضارين عرض الحائط كلِّ المعاهدات. إلى هذا الحضيض بلغت العنصريه و نظره التأليه للذات باليهود، انهم يعطون لأنفسهم الحق في محاربه الله و أوليائه، و نقض العهد، و متى شاءت أهواؤهم، لأنهم و هم يعتبرون أنفسهم أبناء الله و شعبه المختار، يرون أنفسهم فوق الحق و الدين، و أن لهم الرأي و التصرف المطلق في كلِّ أمر. و هذه صفه كل من تتضخم ذاته عنده، أو ليس اليهود يزعمون بأنهم النخبه، و ان كل الناس خلقوا لخدمتهم؟! ثم أليسوا هم الذين قالوا: «لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ»؟! بلى. و لكن هل يستطيعون مواجهه سنن الله و إرادته؟! كلا...

وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ و لم يقل العذاب، لأن كلمه العقاب تنطوى على معنى العذاب و الجزاء معا، و هي أصلح لهذا الموضوع، و في الآيه تحذير لكل من يعادى الحق و رموزه، بغض النظر عن صفته و انتمائه و مذهبه، و هذه العبارة كانت في يومها و لا تزال تحذيرا لكل من تسول له نفسه محاربه الحق، و قد قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ثُمَّ قَالَ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ دُونَ ذِكْرِ الرَّسُولِ، و ذلك ليهدينا إلى أن الموقف السلبي من القيادة الرساليه يعتبره الرب موقفا ضده، و بالتالي فإننا نعرف أعداء الله من خلال مواقفهم من القيادة الرساليه.

[٥-٦] و يقدم الله هذه الحقيقة: أن الجلاء كان نتيجة مشاقه اليهود لله و لرسوله، و التأكيد على أن العقاب الشديد سوف ينال كل مشاق له سبحانه، يقدمها كمدخل لعلاج شبهتين أثارهما اليهود و المنافقون حول النبي (صلى الله عليه و آله) و مكانته القيادية و هما قطع النخل، و تقسيم الفىء، ذلك لكى يحصن المؤمنين ضد الاعلام المضلل، و ليعلموا أن المشاقه لا تتحدد باليهود، و لا تنحصر فى حمل السيف، بل إن الشك فى قياده النبي و التخلف عن طاعته هو الآخر مشاقه يستحق صاحبها العقاب الشديد كما استحق ذلك اليهود.

فقد سعت اليهود بعد أن أمر النبي بقطع النخيل لاستغلال الحدث من أجل تشكيك المؤمنين فى قيادته (صلى الله عليه و آله) فقالوا: ما ذنب شجره و أنتم تزعمون انكم مصلحون (١)، و تلقفت ألسن المرجفين المنافقين هذه الشبهه تشيعها فى صفوف المؤمنين، فسفه الوحي هذه الشبهه ورد شائعات المنافقين بالتأكيد على أن القرار فى هذه القضية لم يكن من عند النبي و لا بهواه إنما هو امر الله سبحانه.

مَنْ قَطَعْتُمْ مِنْ لِينِهِ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا فَاِئِمَّهٗ عَلَىٰ اُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللّٰهِ وَ اللّٰينِ هِىَ كُلُّ نَخْلٍ لِّينٍ لِّمَآ تَمَتَّ وَ تَبَسَّ، وَ قِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِّنَوْعٍ مِّنْ اُجُودِ التَّمْرِ فِى الْمَدِينِ وَ نَخَلْتَهَا تَسْمَى الْلَيْنِ فَالرَّسُولُ إِذَا يَعْمَلُ بِأَمْرِ اللّٰهِ وَ حَكْمِهِ، وَ إِذَا مَا طَبَقَ الْمُؤْمِنُونَ أَوْامِرَهُ وَ أَطَاعُوهُ فَإِنَّمَا يَنْفَعُونَ إِرَادَةَ اللّٰهِ، وَ يَجْرُونَ أَحْكَامَهُ وَ شَرَائِعَهُ، فَلَا دَاعِىَ أَنْ يَصْغُوا لِتِلْكَ الشَّبَهَاتِ وَ الشَّائِعَاتِ لِأَنَّهَا تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مَشَاقًّا لَهُ وَ لِرَسُولِهِ، وَ مَا دَامَ أَمْرُ الْقِيَادَةِ الرَّسَالِيَةِ هُوَ أَمْرُ اللّٰهِ فَالْمُسْلِمُونَ مُلْزَمُونَ بِالتَّسْلِيمِ لَهُ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْقَرَارَ لَا يَدُورُ فِى الْفِرَاقِ وَ الْعَبْثِ، إِنَّمَا يَرْتَكِزُ عَلَى خَلْفِيَّاتٍ وَ اَهْدَافٍ أَهْمُهَا أَنَّهُ الْجَزَاءُ

ص: ٢٢٣

وَ لِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ وَ لعلنا نفهم من هذا المقطع أن استئصال النخل كان يدخل فى سياق تضيق الحصار، و إدخال الرعب الى قلوبهم، و استئصال وجودهم من المدينة و من حولها.

جزاء فسقهم و مشاقتهم، فمع أن الإسلام دين الإصلاح و الإصلاح، و ينهى عن الفساد فى الأرض، و يعتبره من صفات الرجل الطاغية الذى لا يحبه الله، قال تعالى: وَ إِذَا تَوَلَّى سَـمِىً فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (١) وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٢) و قال فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣) و لكن الإسلام يبيح إهلاك الزرع و حتى النسل إذا توقف نصر الحق و إجراء العدالة على ذلك، لأنه حينئذ سوف يصبح جزء من خطه الإصلاح، و إنما يحرم إذا كان فساداً، و حينما يدرك المسلمون هذه الخلفيات و القيم الهامة فلن تؤثر فيهم الشبهات و الشائعات، و سوف يسلمون لقيادتهم و دينهم عن قناعه راسخه.

اما الشبهه الثانيه: فقد انطلقت من أفواه المنافقين، لما تصرف الرسول فى فى بنى النضير و صرفه للمهاجرين دون الأنصار، إلا اثنين منهم هما: سهل بن حنيف و أبو دجانة، فاتهم المنافقون الرسول بالانحياز الى قومه من المهاجرين، و حاولوا بذلك إيجاد الفرقه بين الفريقين، و فصل الأنصار عن النبى (صلّى الله عليه و آله) و بالتالى إضعاف قيادته و حركته، و الذى يظهر أن أكثرهم كانوا من أهل المدينة الذين لم يعطوا حصه من الفىء، فاندفعوا بهذا العامل و بعامل النفاق المتأصل

ص: ٢٢٤

١-١ (١) البقره ٢٠٥/

٢-٢ (٢) المائده ٦٤/

٣-٣ (٣) الأعراف ٧٤/

فيهم للوصول الى أهدافهم المشؤومه هذه المره على مطيه حادث القسمه-و ليس ذلك جديدا في سلوكهم-فهم يتربصون الدوائر بالإسلام و بالقياده الرساليه، و ينتظرون حدوث أدنى شبهه، أو ما يمكن تحويره الى شبهه للنيل من مكانتها.

و لقد جاء القرآن ببيان الحكم الفصل في هذه القضيه، و ليضع تشريعا في المغنم التي ينالها المسلمون من الأعداء بأنها على نوعين:

الأول: ما يتسلطون عليه بالقتال، فيكون للرسول و للإمام من بعده الخمس من صفو المال قبل القسمه، و ما بقى يقسم على مقاتلي المسلمين، و يسمى الغنيمه.

الثاني: ما يتسلطون عليه من دون قتال و هو للرسول و للإمام من بعده خاصه يتصرف فيه كيف يشاء، و يسمى الأنفال.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

«الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، و كل أرض خربه و بطون الأوديه فهو لرسول الله، و للإمام من بعده يضعه حيث يشاء» (١).

و عن معاويه بن وهب قال: قلت لابي عبد الله: السريه يبعثها الإمام فيصيبون غنائم كيف تقسم؟ قال: ان قاتلوا عليها مع أمير أمره الإمام عليهم أخرج منها الخمس لله و للرسول، و قسم بينهم أربعة أخماس، و إن لم يكونوا قاتلوا عليها المشركين كان كل ما غنموا للإمام يجعله حيث يحب (٢).

و الذي ظفر به المسلمون من بنى النضير كان مما سلط الله عليه الرسول بقدرته، و لم يقاتل المسلمون عليه، فهو للنبي خاصه من عند الله، و ليس لأحد أن يطالب

ص: ٢٢٥

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٧٥

٢-٢) وسائل/ج ١١ ص ٨٤

فيه بشيء، أو يعترض على قسمته، فله مطلق التصرف فيه من قبل الباري عز وجل.

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ أَمْ: أَرَجِعْ وَرَدَّ، وَقَالُوا: إِنَّمَا سُمِّيَ فِيئًا لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ الْخَيْرَاتِ لِلرَّسُولِ، وَإِنَّمَا تَصْرَفُ فِيهَا الْآخَرُونَ لِمَصْلَحِهِ فَإِذَا حَازَهَا الرَّسُولُ فَقَدْ عَادَتْ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ.

فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ اسْتِعْدَادًا وَسِيرًا لِقِتَالِهِمْ وَحَرْبِهِمْ، وَالْإِيْجَافُ السَّيْرَ السَّرِيعَ وَالْعُدُوَّ، وَالْمَعْنَى:

أنكم ما كررتم ولا فررتم في ساحة قتال مع العدو بأفراس ولا يابل، تقاتلون عليها، و تحملون مؤنكم و أنفسكم عنوه للحرب، حتى يكون لكم نصيب من الفىء جزاء قتالكم، إنما تحقق النصر بإرادته إلهيه مباشرة، عملت في الغيب، و دفعت اليهود الى الاستسلام، و لا يملك أحد يومئذ انكار هذه الحقيقه الواقعيه حتى يجادل، و لو كان المؤمنون قاتلوا لما حكم اليهود بالجلاء، إنما كانوا يسبون و يستعدون جميعا.

و هذا علاج موضوعى معقول للقضيه.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ يَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ وَيَصْرِفُهُ فِيهِمْ وَفِي مَا يَمْلِكُونَ مطلق التصرف (تكوينيا و تشريعيا) و هذه الصلاحيه تنتقل إلى الإمام الصالح من بعده، و هى حق و صلاحيه له فى الحكم بفرض الله عزّ و جلّ. و تسليط الله لرسله و للمؤمنين على أعدائهم يجلى إرادته المطلقه للناس، و لو كان النصر و التمكين وليد القتال بالسيف، و لكنها تكون أظهر و أجلى حينما ينتصرون و لم يوجفوا خيلا و لا ركابا، و لم يتحملوا تبعات قتال.

وَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ الْمُؤْمِنُونَ مُطَالِبُونَ بِالتَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْجَانِبِ مِنْ تَارِيخِهِمْ وَ الْإِعْتِبَارِ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يعمق فيهم المعرفة برّبهم، و يؤكّد لهم سلامه خطهم، و يعطيهم الثقة بدينهم، و بأنفسهم، و كيف تعرف الهزيمة أمه تتيقن بأنها مؤيده لإرادته الله المطلقة؟ بلى. إن الأمة الإسلامية و كذلك الكثير من الحركات في التاريخ انهزمت و تراجعت حينما ضعف إيمانها بالغيب، و هي تخوض صراعا قاسيا، و غير متكافئ ماديا مع الأعداء.

و قبل ان نمضي الى رحاب الآيه اللاحقه

نورد حديثا مفصلا عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى الفىء كما يراه الإسلام، يقول فيه: ان جميع ما بين السماء و الأرض لله عزّ و جلّ و لرسوله و لأتباعهما من المؤمنين من أهل هذه الصّيفه فما كان من الدنيا فى أيدى المشركين و الكفار و الظلمه و الفجار من أهل الخلاف لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) و المولى عن طاعتهما، مما كان فى أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصّيفات، و غلبوهم عليه، مما أفاء الله على رسوله، فهو حقهم أفاء الله عليهم و رده إليهم و إنما معنى الفىء كلما صار الى المشركين ثم رجع مما كان قد غلب عليه أو فيه، فما رجع الى مكانه من قول أو فعل فقد فاء مثل قول الله عزّ و جلّ: فَإِنَّ فَؤُفَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أى رجعوا ثم قال:

وَ إِنَّ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَ قَالَ: وَ إِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ «أى ترجع» فَإِنْ فَاءَتْ «أى رجعت» فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ «يعنى بقوله «تفيء» ترجع فدل الدليل على أن الفىء كلّ راجع الى مكان قد كان عليه أو فيه، و يقال للشمس إذا زالت قد فاءت الشمس حين يفىء الفىء عند رجوع الشمس إلى زوالها، و كذلك ما أفاء الله على المؤمنين من الكفار فانما هي حقوق المؤمنين رجعت إليهم بعد ظلم الكفار

[٧] وبيّن القرآن حكم الفىء بوجه عام و الخلفيات الموضوعيه لتقسيمه يومئذ.

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ كَبْنَى النَّضِيرِ وَالرُّسُولِ مَسْلُوطٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْقُرَىٰ «يُسَلِّطُ رَسُولُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» وَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ.

فَلِلَّهِ كُلُّ ذَلِكَ، إِذَا هُوَ الْخَالِقُ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا دُونَهُمَا، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ فِي مَلِكِهِ نَبِيَّهُ وَ سَلَطَهُ عَلَيْهِ، لَعَلَّمَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنَّمَا يَتَّبِعُ الْوَحْيَ وَالْعَقْلَ، وَيُحْكَمُ بِحُكْمِهِ، حَيْثُ أَدْبَهُ وَ عَصَمَهُ وَ أَيْدَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ قَمَهُ الْكَمَالِ فَهُوَ إِذَا أَهْلٌ وَ كَفُو، لِأَنَّ يَمْلِكُهُ اللَّهُ مَا لَهُ مِنَ الْفِئَةِ فَيَقُولُ:

وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ مِنْهُ وَ هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ،

قال الصادق (عليه السلام): «لنا سهم الرسول و سهم ذى القربى، و نحن شركاء الناس فيما بقى» (٢) و إنما كان للرسول باعتباره الشخصى عند الله حيث القرب و المنزلة الخصيصة له عنده، و باعتباره القيادى، و هذا الإعتبار (الأخير) يبقى للأئمة، و القيادة الصالحين من بعده، و للولى الفقيه فى غيبه الإمام المعصوم يتصرف فيه كما يراه على ضوء النص و العقل و المصلحه، و قد ذكر المفسرون أن الآيه تخصّ قرابه الرسول من بنى هاشم، و قد استفاضت نصوص أهل البيت (عليهم السلام) على ذلك.

ص: ٢٢٨

وَ الْيَتَامَىٰ هَلْ هُمْ مِنْ ذَوَى الْقُرْبَىٰ أَمْ مِنْ غَيْرِهِمْ.

جاء فى مجمع البيان: روى المنهال، عن عمر، عن الإمام على بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: قلت: قوله « وَ لِيذَى الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ » قال: «هم قرباؤنا، و مساكيننا، و أبناء سبيلنا» ثم قال: وقال جميع الفقهاء: هم يتامى الناس عامه، و كذلك المساكين، و أبناء السبيل، و قد روى ذلك أيضا عنهم (١).

وَ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ قُوَّةً يَوْمَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ مِنْ ذَوَى الْقُرْبَىٰ.

وَ ابْنِ السَّبِيلِ الَّذِي انْقَطَعَ بِهِ فِي السَّفَرِ مِنْ ذَوَى الْقُرْبَىٰ.

و لهذه القسمة ثلاثه معطيات:

١- أنها ترفع حاجه المعوزين مما يحببهم فى الدين و فى قياده، و ينفى أسباب الجريمه و السرقة، و بعض الخلقيات التى تدفع إليها الحاجه.

٢- كما أنها تساهم فى رفع الطبقيه من المجتمع بوسيله مشروعيه.

٣- و على صعيد التنمية الاقتصاديه تحرك اقتصاد المجتمع فى دائره أوسع،

ص: ٢٢٩



و بصوره أنفع و أكثر فاعليه، فالإسلام لا- يريد الحركة الاقتصادية تنحصر في طبقه معينه، في أصحاب رؤوس الأموال، و تبقى الطبقات الأخرى رهينه الفقر و الاستغلال، لأن ذلك ليس نظاما اقتصاديا سليما، إنما يحرص على رفع الحاجه و الطبقيه، و تحريك المال بوسائل مختلفه، يفرض بعضها، كالخمس و الزكاه و الإرث، و يحضّ على بعضها الآخر، كالصدقه و القرض و الدين.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ أَى محصور تداولها بين الفئه الغنيه، و من هذه الآيه الكريمه نهتدى إلى أنّ الإسلام لا يحرم الملكيه الفرديه كما فى الأنظمه الاشتراكيه، و لا يطلقها تماما كما فى الأنظمه الرأسماليه، إنما يجعل للمحرومين نصيبا محدودا فى أموال الأغنياء، و يضع حدا للملكيه الفرديه بأن لا تتجاوز حقوق المحرومين الى الحدّ الذى تحتكر الثروه، و تتسلط على اقتصاد المجتمع، و تعتبر هذه الحكمه من الأصول العمليه التى نستطيع أن نستنبط منها الكثير من الأحكام الفرعيه مثل تحديد مجالات الملكيه، و سبيل مقاومه الاحتكار، و وضع ضرائب متصاعده كل ذلك إذا رأى الفقيه الحكم ضروره فى ذلك.

و لأن مقاومه طغيان الثروه من أعظم إنجازات الحكم الاسلامى، و أهم مقاصده و أصعب مهامه فان السياق القرآنى أوجب التسليم التام للقياده الشرعيه و قال:

وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا لَأنه مفوض بذلك من قبل الله، الا عرف بأحكامه فى كل شىء، و لا فرق من حيث الإلزام بين أمر الله و أمر رسوله، و القياده الشرعيه التى تخلفه، و فى هذه الآيه

ردّ محكم على محاولات المنافقين التشكيك في قيادته (صلى الله عليه وآله) و

للإمام الصادق (عليه السلام) في هذه المسألة حديث مفصل جاء فيه :

إن الله عزّ وجلّ أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال:

« وَ إِنَّكَ لَعَلِي خُلِقَ عَظِيمٌ » ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عزّ وجلّ: « مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان مسدداً موقفاً مؤيداً بروح القدس، لا يزلّ ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق، فتأدّب بآداب الله. ثم إنّ الله عزّ وجلّ فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات، فأضاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة، فصارت عدل الفريضة لا- يجوز تركها إلا في السفر، وأفرد الركعة في المغرب إلى الركعتين ركعتين، فأجاز الله عزّ وجلّ له ذلك كله، فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة، ثم سنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلى الفريضة، فأجاز الله عزّ وجلّ له ذلك، والفريضة والنافل إحدى وخمسون ركعة، منها ركعتان بعد العتمة جالسا تعدّ بركعة مكان الوتر، وفرض الله في السنة صوم شهر رمضان، و سنّ رسول الله صوم شعبان وثلاثة أيام في كل شهر مثلى الفريضة فأجاز الله عزّ وجلّ له ذلك، وحرم الله عزّ وجلّ الخمر بعينها، وحرم رسول الله المسكر من كل شراب فأجاز الله له ذلك، وعاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشياء وكرهها ولم ينه عنها نهى حرام، إنما نهى عنها نهى إعافه وكرهه، ثم رخص فيها فصار الأخذ برخصته واجبا على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه، ولم يرخص لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما نهاهم عنه نهى حرام، ولا- فيما أمر به أمر فرض لازم، فكثير المسكر من الأشربه نهاهم عنه نهى حرام لم يرخص فيه لأحد، ولم يرخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأحد تقصير الركعتين اللتين ضمهما إلى ما فرض الله عزّ وجلّ، بل ألزمهم ذلك إلزاماً واجباً،

لم يرخص لأحد في شيء من ذلك إلا للمسافر، وليس لأحد أن يرخص ما لم يرخصه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوافق أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر الله عز وجل، ونهى الله عز وجل، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى (١) لقوله عز وجل: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٢).

ويحذر الله الذين يشككون في القيادة الإلهية، والذين يتخلفون عن طاعتها والتسليم لأمرها ونهيها من عذابه الشديد باعتبارهم من صف المشايق لله ورسوله، المستحقين لجزائهم فيقول:

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَ نهتدى من الأمر بالتقوى الى كونها الصفة التي ترفع الإنسان إلى مستوى التسليم والطاعة للقيادته، وأن الطاعة لها امتداد للتقوى في حياة الإنسان، ودليل عليها، وليست التقوى هنا الخوف من الله وحسب إنما هي تلك القمة السامقة من الإيمان والمعرفة بالله، والوعى بالحق.

وعقاب الله الذي يتوعد به الأمه التي تشاق قيادتها، وتخالف أوامرها ليس عذاب الآخرة وحسب إنما تلقاه في الدنيا أيضا متمثلا- في التفرق، لأن الطاعة ضمانه الوحده، لأن الطاعة للقيادة الإلهية طريق التقدم، وفي عدم طاعتها تتسلط الطغاه، ويعم الباطل، وبتعبير القرآن تنقلب الأمه على أعقابها، فتبدأ المسيره التراجعيه إلى الوراء بدل التقدم، وهذا مصير كل أمه تخالف قيادتها:

ص: ٢٣٢

١- (١) المصدر/ص ٢٨٠-٢٨١

٢- (٢) النساء ٨٠/

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١).

[٨] أما عن الفيء

فقد قال رسول الله الأنصار: «إن شئتم دفعت إليكم فيء المهاجرين منها و إن شئتم قسمتها بينكم و بينهم، و تركتهم معكم قالوا: قد شئنا أن تقسمها فيهم، فقسمها رسول الله (صلى الله عليه و آله) بين المهاجرين، و دفعها عن الأنصار، و لم يعط من الأنصار إلا- رجلين: سهل بن حنيف، و أبا دجانة فإنهما ذكرا حاجه « (٢) و بهذا تحمل الرسول مسئوليته الفقراء من المهاجرين، و وضع إصرها عن الأنصار من أهل المدينة برضى منهم، فكانت الفيء كما ذكر الله:

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ فَرَوْا مِنَ أَجْوَاءِ الْكِبْتِ وَ الْإِرْهَابِ وَ الْكُفْرِ، وَ التَّحْقُوقِ بِصُفُوفِ الْحُرُوكِ الرَّسَالِيهِ وَ الْقِيَادَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ آنَذَاكَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَ لَا رَيْبَ أَنَّهُمْ تَحْمَلُوا بِسَبَبِ هَذَا الْقَرَارِ أَلْوَانَ الضُّغُوطِ الْمَعْنَوِيَةِ وَ الْمَادِيَةِ، وَ لَكِنَّهُمْ تَجَرَّعُوا مِضْضَ الْأَلْمِ، وَ رَضُوا بِكُلِّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الْوَصُولِ إِلَىٰ أَهْدَافِهِمُ السَّامِيَةِ، الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَكْبَرَ التَّضَحِّيَّاتِ.

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ إِنْهُمْ مَهَاجِرُونَ خَرَجُوا مِنْ بِيوتِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَلْفِتُنَا إِلَىٰ حَقِيقَةِ مَهْمِهِ: إِذْ يَعْتَبِرُهُمْ مَخْرَجِينَ، وَ هِيَ أَنَّ الْعَامِلَ الرَّئِيسِيَّ فِي هِجْرَتِهِمْ هُوَ الظُّلْمُ وَ الْفَسَادُ وَ أَجْوَاءُ الْكُتُبِ الَّتِي يَصْنَعُهَا الطَّوَاغِيتُ، حَيْثُ أَنَّهُمْ يَرْفُضُونَ مِبَادئَهُمْ،

ص: ٢٣٣

١-١) آل عمران ١١٤/

٢-٢) تفسير القمي/ ج ٢ ص ٣٦٠

و العيش الذليل فى ظل حكمهم، كما أنهم لا يسمحون لهم بممارسه شعائرهم، و تطبيق دينهم، و وجدوا أنفسهم مجبرين على الهجره كواجب شرعى لقوله تعالى:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا (١) و لقوله إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (٢) و لأنهم يعلمون بأنهم مسئولون عن تطبيق أحكام الله، و الالتزام بها ما دامت فى الأرض بقعه متحرره، كما يدركون بأن الحريه لا يمكن المساومه عليها فهاجروا.

ثم يحدد القرآن الأهداف السليمه للمهاجر الصادق و هى ثلاثه:

الأول: البحث عن الفضل، و نتساءل: هل فى مفارقه الأهل و الأوطان، و تجرع الفقر من الفضل؟ بلى. لأن المستقبل الكريم ليس بتوافر الوسائل الماديه وحدها، و هل فى الغنى و الرفاه فضل إذا فقد الإنسان الحريه و الكرامه، و استلبه الطغاه الأمن و السلام؟ كلا.. أما المؤمنون الصادقون الواعون فإنهم يرون الفضل فى المزيد من الإيمان و العلم، و الالتزام بالقيم و العيش بحريه و استقلال و كرامه فى كنف القياده و الحركه الرساليه، و كل ذلك يجدونه فى الهجره.

ثم إنهم لا- يقتصر نظرهم على الحياه الدنيا، بل ينفذون ببصائرهم إلى دار الآخره، حيث المستقبل الأبدى الذى ينبغى السعى للفلاح فيه، و لو تطلب الأمر التضحيه بكل ما فى الدنيا من الأموال و الأولاد و الأنفس، و لذلك يسترخص المؤمنون المهاجرون حطام الدنيا.

ص: ٢٣٤

١- (١) الأنفال ٧٢/

٢- (٢) النساء ٩٧/

يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ أَنْ الْفَضْلَ يَبْدِ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١) الثاني: إنهم لا يتعاملون مع ربهم بمقياس الربح و الخساره، إنما يتعبدون بالتزام القيم تعبد الأحرار الواعين، فلا يشبع طموحهم المستقبل المادى حتى و لو كان هو الجنه، بل تراهم يبحثون من خلال الهجره عن هدف أكبر و هو رضوان الله عز و جل.

وَ رِضْوَانًا مَهْمَا كَانَ ثَمَنَ ذَلِكَ الرِّضْوَانِ، مِنَ الْعَتْدَاءِ وَ التَّعْذِيبِ وَ الْقَتْلِ، وَ لَوْ خَالَفَ هَوَى النَّفْسِ وَ رَضِيَ الْأَسْرَهُ وَ الْمَجْتَمَعَ وَ الْحَاكِمَ، بَلْ وَ لَوْ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِهِ مُحَارِبِينَ مِنْ كُلِّ الْعَالَمِ (كما هو حال الحركات الرساليه الاصيله، و القيادات المؤمنه المخلصه المهاجره، التى تحاربها كل القوى الاستكباريه فى العالم، سياسيًا و اجتماعيًا، و اقتصاديًا، و إعلاميًا).

الثالث: نصره الحق لأنها الطريق إلى رضوان الله، بالانتماء الى صفوف الحركات الرساليه المجاهده، و الانضواء تحت رايه القيادة الرساليه التى تسعى لإقامه حكم الله، و طمس معالم الباطل من على وجه الأرض و فى المجتمع و النفوس -باعتبار انها القناه الأصح و الأفضل لنصره الحق- فإن المؤمنين لا يعتبرون مصادره ممتلكاتهم أو هجرتهم عنها يسقط عنهم الواجب، و لا يعتبرون دار الهجره نهايه المطاف، و محلاً مناسباً للممارسه الشعائر و العبادات الاعتياديه كالصوم و الصلاه و الخمس، و انما يعتبرونها منطلقاً لمسيره جهاديه مباركه.

ص: ٢٣٥

وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَتطبيق الحق و تحكيمه، و من طبيعه المؤمن الصادق انه لا يفكر فى حدود نفسه فاذا وجد الأمن و السلام نسي الآخريين، إنما يحمل ألم مجتمعه و أمته و يعتبره ألمه، و يجاهد من أجل خلاصهم من ربه الجهل و الفساد و الظلم من منطلق شرعى و انساني، و حيث يصل دار الهجره لا- يتفرج على الصراع الدائر بين الحق المتجسد فى الحركات الرساليه و قياداتها، و الباطل المتجسد فى القوى و الأنظمه و المؤسسات الاستكباريه، إنما يعتبر نفسه معتبًا بالصراع، و مسئولًا عن الإنتصار للحق.

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فى إيمانهم، و المصداق الحقيقى للمهاجر كما يراه الإسلام. أما الذى يبحث فى المهجر عن حطام الدنيا، و راحه النفس، و لا ينصر الحق فليس بصادق فى دعوى الهجره، و لا مصداقا للمهاجر.

و لقد كانت قسمه الرسول فى الفء حيث جعله للمهاجرين قسمه منطقيه، لأنهم فقراء من الناحيه الماديه، و لأنهم صودرت أموالهم و دورهم، و لأنهم كانوا صادقين.

و لعل هذا الموقف النبيل من الإسلام و قياده الرساليه فى التاريخ من المهاجرين، و كذلك موقف الأنصار يهدينا الى ضروره اعتناء الأمه الإسلاميه بأولئك الذين يهاجرون فى سبيل الله، و لخيرها، بأن تتحمل قسطا من دعمهم المادى، و دعم حركتهم لتتواصل مسيرتهم، و يتفرغوا للجهد بصوره أفضل، و يحافظوا على استقلالهم، فإنهم و مشاريعهم أولى بالدعم.

اشاره

وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ذَاقُوا يَاقُوتَةَ إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُذِّابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَضِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُدُودِ بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ: إِنِ اكْفَرُوا فَلَمَا كَفَرُوا قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)

اللغة

٩ [تَبَوَّأُوا الدَّارَ]: الحط و النزول كما في قوله: وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ و قوله: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ و قوله:

نَتَّبِعُ مِنَ الْجِنَّهٖ حَيْثُ نَشَاءُ .

الشح: بخل في حرص، و

في الحديث: «لا يجتمع الشح و الإيمان في قلب مسلم» و الشح أشد من البخل لأنه بخل عما في أيدي الناس.



١٥]و بال أمرهم[:عاقبه كفرهم.

ص:٢٣٨

## هدى من الآيات:

يركز السياق في هذا الدرس على بحث العلاقة الداخليه في جبهه المؤمنين من جهه،و في جبهه أعداء الله و أعدائهم من جهه ثانيه،ففي البدايه ينطلق من خلفيات قسمه الفء الذى صار نصيبا للمهاجرين بحكم النبى،و ياثار الأنصار أنفسهم،فيمتدح حب هؤلاء لبعضهم و طهاره قلوبهم،و إشارهم على أنفسهم مما يؤكد خروجهم من زنانه النفس،كما يسجل موقف المهاجرين الإيجابى من الأنصار،و مدى تحرّهم من أى إصر أو عقده،و يضع ذلك نموذجا ساميا للعلاقه التى ينبغى ان تحكم التجمعات و المجتمعات الإيمانيه أفرادها و جماعاتها،و شعوبها و أجيالها،فإن الهيبة و الإنتصار،و التّقدم،و الفلاح يرتكز على الذوبان فى بوتقه الإيمان و التسليم للقياده الرساليه،و بتعبير القرآن:الوقايه من شح النفس، و اتباع بصائر الوحى،بعيدا عن كلّ هوى و مصلحه.

ثم يضع القرآن صورته ثانيه عن طبيعه العلاقه الداخليه فى جبهه الباطل، و يؤكد لنا بأنها قد تتراءى للمراقب الخارجى بأنها جبهه متماسكه إلا أنها تفتقر لأهم عوامل الوحده و التماسك و هى وحده القلوب، و السبب هو اتباعهم الباطل و الأهواء و المصالح، و نبذهم الحق المتمثل فى الرساله و هدى العقل، و كل ذلك فان الإنسان لا يجد دوافع حقيقه للتضحيه و التفانى من أجله، و لهذا فإن جبهه الباطل تضعف و تتمزق بمجرد تعرضها للتحديات الحقيقه، و قد رأينا كيف استسلم بنو النضير من دون قتال، و كيف تنصل المنافقون عن نصرتهم رغم العهود و الأيمان المغلظه بينهما، و هكذا هى العلاقه بين أهل الباطل (أفرادا و جماعات و دولاً) يتناصرون ما دامت ثمة مصلحه مشتركه، أما إذا انعدمت أو وجدت فى مكان و موقف آخر فإنهم يميلون حيثما تميل، و هى بالضبط تشبه العلاقه بين الشيطان و بين آدم، حميمه ما دامت للشيطان مصلحه فيه، أما إذا آن عذاب الله فكأنه لا يعرفه «فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

### بيانات من الآيات:

[٩] بعد ان مكث النبي -صلى الله عليه و آله- فى المدينه و استتب له الأمر تقرر فى الحركه الرساليه المباركه ان يهاجر المؤمنون من مكه إليها، و حيث تواردوا أفواجا استقبلهم الأنصار و أوسعوا لهم صدورهم و دورهم، و تقاسموا معهم الأموال و حتى الأزواج، و لكن الخط المنافق من أهل المدينه و غيرهم ما كان يرضيهم أن يحتضن الأنصار المهاجرين، فلما أجلى المسلمون اليهود و قرر الرسول القائد صلى الله عليه و آله أن يعطى الفىء للمهاجرين طفحت أحقادهم، و اتخذوا الأمر فرصه سانحه ليلعبوا دورهم الخبيث، فمشوا فى الصفوف بالشائعات ليضربوا زعامه النبي صلى الله عليه و آله الذى يكون له الحقد الدفين باعتباره لم يكن من أهل المدينه، و ذلك بالتشكيك فى سلامه نبيته، حيث اتهموه بأنه انحاز لقومه (المهاجرين) على حساب الأنصار، و من جهه

أخرى استغلوا القسمة لهدف إيجاد الاختلاف و الفرقة بين المؤمنين، بالذات باعتبار أن الظاهر كان يمكن تجييره لصالح التفرقة لاختلاف المهاجرين و الأنصار، و عموماً تتأسس سياسات التفرقة دائماً على المظاهر المادية كاللون و المذهب و القومي و الطائفي، و طالما أظهر المنافقون و على رأسهم عدو الله ابن أبي لئانصار أنهم يريدون خيرهم من وراء موقفهم، و طالما استثاروا فيهم الوطني و شح النفس ليكسبهم، و لكنهم رفضوا ذلك لأنهم كانوا أصحاب البصيرة النافذة، و الإيمان الرفيع، و التسليم المطلق لقيادة الحق.

أما الرسول فقد جمعهم و قال: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم و أموالكم، و قسمت لكم من الغنيمه كما قسمت لهم (أى أساوى بينكم) و إن شئتم كان لهم الغنيمه و لكم دياركم و أموالكم (أى يخرجون من أموالكم و دوركم و يصير لهم الفىء خالصاً) فقالوا: لا- بل نقسم لهم من ديارنا و أموالنا و لا نشاركهم فى الغنيمه (1) ففشل المنافقون، و هكذا تنتصر كل أمه على محاولات التفرقة حينما تتبع قائدها، و تلتزم بالقيم الحق، و تعيش فيما بينهما الألفه و الحب و الإخاء، و قد سجل ربنا هذا الموقف الجليل كرامه للأنصار، و ليكون نموذجاً على ما يصنعه الإسلام بالنفوس، و ليبين للبشرية جيلاً بعد جيل و للأمة الاسلاميه بالذات سر انتصاراتها فى التاريخ و سبيلها الى ذلك، و أنّ الرعيلى الأول من المخلصين إنما قاد العالم يومئذ بهذه الروح الإيمانيه الساميه، فقال عزّ و جلّ:

وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُعْنَى الْأَجْيَالِ الْمُؤْمِنَةِ السَّابِقَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَ قَالُوا: مَعْنَى الْآيَةِ: تَبَوَّؤُوا الدَّارَ، وَ أَخْلَصُوا الْإِيمَانَ، أَوْ اتَّخَذُوا الْإِيمَانَ وَطَنًا، وَ تَمَكَّنُوا مِنْهُ، مِثْلَهُمْ مِثْلَ سَلْمَانَ لَمَّا سَأَلُوهُ

ص: ٢٤١

عن نسبه، فقال: أنا ابن الإسلام، ثم تساءلوا: كيف قال ربنا: انهم آمنوا قبل المهاجرين، أو لم يسبقوهم بالإيمان؟ فأجابوا: بلى. ولكن إنما سبقهم بعضهم، و التحق بهم آخرون، إذ أن كلمه «من قبلهم» خاصه بالإيمان.

و يبدو لى أن المعنى أنهم تبوؤا دار الإيمان، فيكون معنى الدار التقارن كما لو قلنا: ركبت البحر و الريح الهائجه، أى مقارنا مع هيجان الريح.

و قد اشتهر فى الأدب الاسلامى التعبير بدار الإسلام، و لعله مستوحى من هذه الآيه.

فقد جاء فى الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): «و الايمان بعضه من بعض، و هو دار، و الكفر دار» (١).

فيكون المعنى انهم الاسبق الى تكوين التجمع الإيمانى المتكامل.

يُجِبُونَ مَنْ هَذَا جَزَإِ لَهُمْ و نستوحى من الآيه أنه إذا انتصر المؤمنون فى بلد، و كُونُوا المجتمع الإسلامى فلا يعنى أن الذين فى تلك البلاد من المسلمين أفضل من غيرهم، و لا يجوز أن يستأثروا بالمكاسب، أو يفرضوا وصايتهم على غيرهم، كلاً. فكل ما عند المؤمنين حتى أنفسهم ملك للإسلام و لأهله، الذين هم إخوانهم، و ينبغى لهم أن لا- يأخذهم غرور الانتصار، أو العجب بالنفس، بل يفعلون كما فعل الأنصار، فلقد بلغ بهم الإيمان و الحب لإخوانهم أن آثروهم على أنفسهم، لأنهم انتموا للإسلام ابتغاء فضل الله و رضوانه و ليس بحثا عن المكاسب الماديه، و لأنهم يقدرون ظروف إخوانهم المهاجرين، حيث ضحوا بأموالهم و بيوتهم و مستقبلهم

ص: ٢٤٢

المادى من أجل الدين، وحبًا فى الانتماء إليهم، وضم جهودهم وطاقاتهم إليهم لتقويه مجتمع الحقّ و جبهته.

و السؤال: كيف يجب أن تكون علاقه الأجيال المؤمنه(السابقه و السؤال: كيف يجب أن تكون علاقه الأجيال المؤمنه(السابقه باللاحقه و الأنصار بالمجاهدين، و المنتصرين بالحركات التى تسعى للانتصار فتهاجر إليهم)؟ أولًا: الحب القلبي الصادق.. فلا يرون اللاحقين بهم من سائر الفصائل الرساليه غرباء أو دخلاء، و لا يريدونهم أن يكونوا عملاء لهم، و لا يستشير وجودهم و تنافسهم و لا حتى انتقادهم أى حقد و حسد و لا أى لون من الحساسيات السلبيه، لأنّ رابطتهم ببعضهم أكبر من كلّ ذلك. إنّها رابطة الإيمان و الجهاد.

و هكذا يحدّد القرآن محور التواصل بين فئات المؤمنين: الأنصار الذين سبقوا غيرهم فى بناء التجمّع الإيماني، و المهاجرين الذين تجرّدوا عن مصالحهم فى سبيل الله، فيبيّن أنّ الحبّ هو ذلك المحور.

و لا يصل الإنسان إلى هذا المستوى الرفيع من الأخلاق إلّا إذا تمكن الإيمان من نفسه فتجاوز شح نفسه(الأهواء و الشهوات، و المصالح) و تحرر عن أغلال الوطنيه و القوميه و العنصريه و الطبقيه و الحزبيه، و أصبح مثلما

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أحبّ لله و أبغض لله، و أعطى لله، و منع لله فهو ممن كمل إيمانه» (١) بلى. ان الحب فى الله من أوثق عرى الإيمان،

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَكْبَرِ شَيْءٍ» (٢).

ص: ٢٤٣

١-١) المحاسن للبرقى/ ج ١ ص ٢٤٣

٢-٢) المصدر

و قد اعتبر أئمة الهدى الحب هو الدين، و

يجيب الإمام الصادق (عليه السلام) سائلا سأله عن الحب: هل هو من الإيمان؟ فيقول: و يحكك و هل الدين إلا الحب؟ أ لا ترى إلى قول الله: **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**؟ أ لا ترى قول الله لمحمد (صلى الله عليه و آله): **« حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ »**؟ و قال: **« يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ »** فقال: **«الدين هو الحب، و الحب هو الدين» (١) و**

عنه (عليه السلام) قال: **«قال رسول الله لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق؟» فقالوا: الله و رسوله أعلم، و قال بعضهم:**

الصلاة، و قال بعضهم: الزكاة، و قال بعضهم: الصوم، و قال بعضهم: الحج و العمره، و قال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): **«لكل ما قلتم فضل و ليس به، و لكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، و البغض في الله، و تولى أولياء الله، و التبرى من أعداء الله عز و جل» (٢) و كيف لا- يحب المهاجرون، و المنتصرون، و السابقون الى الإيمان من يلحق بهم، و قد جاؤوا ليحققوا أهم أهدافهم و هو نصره الدين؟! و كلمه أخيره: إن المؤمن الصادق محكوم بمعادله التولى و التبرى، و بالتالى فإن نسبه تبريه من الأعداء هي من وجهها الآخر تولى للمؤمنين: **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (٣).****

و اننا اليوم نسعى من أجل المجتمع المسلم فلا بد أن نبدأ بأنفسنا، و نجعل تجمعنا ربانيا إلهيا، يدور على محور الحب في الله، و البغض في الله، حتى يباركه الله من فوق عرشه، و يراعه بنصره و تأييده.

ص: ٢٤٤

١-١) المصدر

٢-٢) المصدر/ص ٢٦٤

٣-٣) الفتح ٢٩/

و كلما ازداد صراعنا مع أعداء الله شدّه و عنفا كلما ازددنا تلاحما و تماسكا و انصهارا فى بوتقه التوحيد.

ثانيا:التجرد عن الحسد لللاحقين..مهما أوتوا من شىء مادی أو معنوی، فصدورهم صافیه طاهره،لا تنطوى على غلّ و لا حساسیه تجاه إخوانهم، كما أنها واسعه لا تضيق بتقدمهم أو تقدیمهم،لما هی معموره به من الإيمان و الوعى،و الواحد منهم متجرد عن ذاته للقيم،و للأمه كلها،فلا يرى أن الإنتصار أو الدوله أو المغانم أو المناصب حكرا له أو لفريق دون آخر،انما هی للجميع،كما يرى أن تقدم أى فرد أو جهه هو تقدّم له أيضا.

و لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا لِأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ،و الرأى للقياده الرساليه تقرّر ما تراه مناسبا،و الحق لصاحب الكفاءه،و ليست لأحد الوصايه فى فضل الله و ما له و ما للأمه،فلما ذا الحسد و التقاتل على المكاسب و المراتب؟!ان المؤمنين يسعون بكل ما أوتوا لدعم إخوانهم،و رقد مسيرتهم لكى يتقدموا و يعلو شأنهم و يعلو من خلالهم شأن الدين و الأمه،و ما يؤسف له اليوم أن نرى فى الأمه فريقا من مرضى القلوب الذين يجهدون بكل ما أوتوا من حول و طول و مكر من أجل تحطيم كل قياده ناشئه تبرز فى الساحه،و ترى فى صدورهم الف الف حاجه مما أوتى أولئك من الفضل و السمعه.

و قد وقف الإسلام موقفا صارما من الحسد حتى عدله بالشرك و الكفر و النفاق.

قال الإمام الصادق(عليه السلام): «يقول إبليس لجنوده:ألقوا بينهم الحسد و البغى(يعنى المؤمنين)فإنهما يعدلان الشرك» (1)و

قال(عليه السلام)محذرا :

ص:٢٤٥

١-١) بح/ج ٧٥ ص ٢٧٨



«إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً، فإن الكفر أصله الحسد» (١)و

قال: «ان المؤمن يغبط و لا يحسد،و المناق يحسد و لا يغبط» (٢)و

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «ان الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» (٣)و

قال الرسول (صلى الله عليه و آله)(يعنى الحسد): «ليس بحائق الشعر، لكنه حائق الدين» (٤)و

قال الله عزّ و جلّ لموسى بن عمران: «يا ابن عمران! لا تحسد الناس على ما أتاهم من فضلى، و لا تمدّن عينيك إلى ذلك، و لا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمى، صاّد لقسمى الذى قسّمت بين عبادى» (٥)و قوله تعالى:

□ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّ الْحَسَادَ هُمْ أَصْحَابُ الصُّدُورِ الضَّيِّقَةِ، وَ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ.

و أهم الحاجات التى يضمها الحاسدون فى صدورهم هو تحطيم إخوانهم، و لا-ريب أنها سوف تتضخم فتراكم العقد فى نفوسهم، و تدفعهم إلى سلوك اجتماعى خطير تجاه الآخرين، و لذلك

جاء فى الروايه عن الإمام الصادق (عليه السلام): «للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، و يتملق إذا شهد، و يشمت بالمصيبة» (٦)و لك ان تتصور مجتمعا متحاسدا يكاد يتمزق داخلياً كيف يتسنى له أن يتقدم حضارياً، و كيف ينتصر أمام التحديات الكبيره.

ثالثاً:الإيثار..و هو علامه الإيمان،و المظهر الخارجى للحب الصادق تجاه الإخوان،و قّمه التماسك فى جبهه الإيمان،حيث التفانى و التضحية من أجل الغير

ص:٢٤٦

١-١) المصدر/ج ٧٨ ص ٢١٧

٢-٢) المصدر/ج ٧٣ ص ٢٥٠

٣-٣) المصدر/ص ١٤٤

٤-٤) المصدر/ص ٢٥٣

٥-٥) المصدر/ص ٢٤٩

٦-٦) المصدر/ص ٢٥١

لوجه الله، و المؤمن الصادق هو الذى يقدم نفسه للخطر ليسلم الآخرون، و يؤخرها عند المكاسب ليغنموا. أ و ليس يبحث عن القمه السامقه من الإيمان و الفلاح التى تتمثل فى الإيثار؟ بلى. و هو لا يقيم وزنا لحطام الدنيا حتى يتقاتل عليه أو ينفرد به.

و الأنصار ليس أحبوا إخوانهم المهاجرين، و تطهروا من الحسد تجاههم، بل و آثروهم على أنفسهم، و وصلوا من الإيثار سنامه، حينما تنازلوا عن حظهم من القسمة رغم حاجتهم الشديده.

و يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ فَهَمَّ لَمْ يَجْعَلُوا عِزَّهُمْ وَ حَاجَتَهُمُ الشَّدِيدَةَ تَبْرِيرًا لِتَرْكِ الْإِيثَارِ، وَ قَدْ اهْتَمَّ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بِبَيَانِ فَضِيلَةِ الْإِيثَارِ، وَ الدَّعْوَةَ إِلَيْهَا،

فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: «خياركم سمحاًؤكم، و شراركم بخلاؤكم، و من صالح الأعمال البرّ بالإخوان، و السعى فى حوائجهم، و فى ذلك مرغمه الشيطان، و ترحح عن النيران، و دخول الجنان. يا جميل! أخبر بهذا الحديث غر أصحابك، قال: قلت جعلت فداك من غر أصحابى؟ قال: هم البارون بالإخوان فى العسر و اليسر، ثم قال: يا جميل! ان صاحب الكثير يهون عليه، و قد مدح الله عزّ و جلّ صاحب القليل، فقال: « وَ يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (١).

و

جاء فى حديث آخر مأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام) فيما رواه عنه أبان بن تغلب قال: سألته فقلت: أخبرنى عن حق المؤمن على المؤمن؟ فقال:

«يا أبان! ادعه لا ترده» قلت: بلى. - جعلت فداك - فلم أزل أرد عليه، فقال:

ص: ٢٤٧

يا أباان تقاسمه شطر مالك. ثم نظر الى فرأى ما دخلنى، فقال: «يا أباان! أما تعلم أن الله عزّ وجلّ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟» قلت: بلى. - جعلت فداك - فقال: «أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد إنما أنت و هو سواء، إنما تؤثره إذا أعطيته من النصف» (١).

و قد حفل تاريخ صدر الإسلام بمصاديق رائعة للإيثار، أحدها إيثار الأنصار للمجاهدين على أنفسهم، و الآخر أولئك النفر السبعة من مجاريح المؤمنين فى اليرموك، الذين حمل إليهم الماء فكان واحد منهم يؤثر إخوانه على نفسه رغم الظم الذى يحس به المحتضر حتى استشهدوا عن آخرهم عطاشاً، و

قد روى أبو حمزه قال :

جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه و آله) فشكا اليه الجوع، فبعث الرسول (صلى الله عليه و آله) الى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال الرسول (صلى الله عليه و آله): «من لهذا الرجل الليلة؟» فقال على بن أبى طالب (عليه السلام): «انا له يا رسول الله» و أتى فاطمه (عليها السلام) فقال لها:

«ما عندك يا ابنه رسول الله؟» فقالت: «ما عندنا إلا قوت العشيء لكننا نؤثر ضيفنا» فقال (عليه السلام): «يا ابنه محمد! نؤمى الصبيء و اطفئى المصباح» (٢) و

جاء فى حديث آخر أن رجلا جاء الى النبي (صلى الله عليه و آله) و قال:

أطعمنى، فانى جائع، فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شىء، فقال: «من يضيفه هذه الليلة؟» فأضافه رجل من الأنصار و أتى به منزله، و لم يكن عنده إلا قوت صبيء له، فأتوا بذلك اليه و أطفئوا السراج و قامت المرأة الى الصبيء فعللتهم حتى ناموا، و جعلوا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله (صلى الله عليه و آله) فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف، و باتا طاويين، فلما أصبحا غدوا الى

ص: ٢٤٨

١-١ (١) المصدر/ص ٢٨٧

٢-٢ (٢) المصدر/ص ٢٨٦

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنظر إليهما و تبسم و تلا هذه الآية (١).

هكذا ينبغي للمؤمنين و بالذات المجاهدين منهم ان يتساموا إلى هذا الخلق الرفيع فى تعاملهم مع بعضهم، و لن يبلغوا ذلك حتى يتجاوزوا أصعب عقبه تربويه و عمليه و حضاريه، تغل الأفراد و التجمعات و الأمم عن النهوض و الارتفاع فى آفاق التقدم و الفضيله و هى النفس، التى يعدها الإسلام (قرآنا و سنّه) أعدى أعداء الإنسان، الذى إذا انتصر عليها صار الى السعاده و الفلاح.

وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فبالقدر الذى يسعى الإنسان إلى المزيد من العلم، ينبغي ان يسعى بأضعافه إلى تزكيه نفسه و كمال أخلاقه، و إنما اعتبر القرآن الوقايه من شح النفس هى الفلاح لأنه رأس كل خطيئه و انحراف فى حياه البشر، فهو أساس الكفر و الشرك و الظلم و الحسد و..و.. إلخ،

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب -عليه السلام -:

«البخل جامع لمساوى العيوب، و هو زمام يقاد به إلى كل سوء» و هل أنزل الله رسالاته و بعث رسله إلا ليخرج الإنسان من سجن شح النفس؟ و إن الشحيح لا - يرى إلا - ذاته، كما لا - يرى المسجون إلا جدران زنزانتة. و لكن ما هو السبيل الى التحرر من هذه التهلكه؟ انه التوكل على الله و الاستعاذه من شر النفس الأماره بالسوء، و الانفتاح على هدى القرآن و بصائر السنه، و تقبل نصائح الواعظين، و التعبير القرآنى بليغ للغايه إذ يقول: «يوق» مبنى للمجهول، أى أن الله هو الذى يحرر الإنسان، و ينقذه من ذلك.

و مشكله الإنسان أنه يحسب السعاده تتمثل فى اتباع الأهواء، و إشباع شح

ص: ٢٤٩

(١ - ١) مجمع البيان / ج ٥ ص ٢٤٠

النفس، ولكنه لا- يعلم أن ذلك يجعله عبدا ضعيفا لها. أليس محب الرئاسة يتبع هوى المنصب أنني اتجه، و يلخص كل كيانه فيه، حتى عواطفه و عقله و صلاته الإنسانية يجعلها جميعا وقفا للمنصب! كذلك المولع بالثروه يرى الدنيا من خلالها فلا يجد حرجا من مسخ شخصيته الإنسانية من أجل المال، فيولد إنسانا متكاملا، و يموت و هو لا يملك من خصائص الانسانيه شيئا.

ان التحرر من حب الرئاسة، و حب الثروه، و الخروج من شح النفس، جعل المؤمنين أحرارا، منطلقين في رحاب الحياه، بلا قيود و لا أغلال.

و بما أن الإيثار قمه الفضيله فإن بلوغها بحاجه إلى عمليه تربويه متواصله، و ذلك بالاستعاذه بالله سبحانه من الحرص و البخل و شح النفس..

فقد جاء في الخبر المروى عن الإمام الباقر (عليه السلام) فيما رواه عنه أبو بصير قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يتعوذ من البخل؟ فقال: نعم. يا أبا محمد في كل صباح و مساء، و نحن نتعوذ بالله من البخل لقول الله: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١).

و

في الحديث: «لا يجتمع الشح و الإيمان في قلب رجل مسلم، و لا يجتمع غبار في سبيل الله و دخان جهنم في جوف رجل مسلم» (٢).

و

روى الفضل بن أبي قره السندی انه قال: قال لى ابو عبد الله عليه السلام: أتدرى من الشحيح؟ قلت: هو البخيل، فقال: «الشح أشد من البخل، ان البخيل يبخل بما فى يده، و الشحيح يشح بما فى أيدي الناس و على ما فى يده، حتى لا يرى

ص: ٢٥٠

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٣٩٠

٢-٢) المجمع/ج ٩ ص ٢٤٢

فى أيدى الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له بالحل و الحرام، و لا يقنع بما رزقه الله عزّ و جلّ « (١).

و

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «ما محق الإسلام محق الشحّ شىء، ثم قال: ان لهذا الشحّ ديباً كدبيب النمل، و شعبة كشعب الشرك» (٢).

و

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا لم يكن لله عزّ و جلّ فى العبد حاجه ابتلاه بالبخل» (٣).

و

قال على بن إبراهيم: حدثنى أبى عن الفضل بن أبى قره قال: رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) يطوف من أول الليل الى الصباح و هو يقول: اللهم قنى شحّ نفسى فقلت: جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء؟ قال: و أى شىء أشد من النفس، ان الله يقول: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٤) [١٠] تلك كانت العلاقة النموذجيه التى ينبغى أن يتحلّى بها السابقون تجاه اللاحقين، و قد جعل الله الأنصار الصادقين مثلاً لها، فما هى العلاقة من طرفها الآخر (اللاحقين بالسابقين)؟ يضع القرآن أمامنا قواعدها الرئيسيه و نموذجها من حياه المهاجرين المخلصين.

وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدَ الْأَنْصَارِ فِي الْمَدِينَةِ، وَ الثَّوَارِ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُتَنَصِّرِينَ فِي

ص: ٢٥١

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٩١

٢-٢) المصدر

٣-٣) المصدر

٤-٤) المصدر

أى بلد، و اللاحقون من الأجيال فى الحركة الرساليه، فإنهم يحترمون أولئك، و يعون قيمه دورهم الريادى، و انعكاسه الإيجابى عليهم، و يريدون لهم الخير كما يريدونه لأنفسهم.

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ فَهَم لَّا يَنسُونَ جَمِيلَ السَّابِقِينَ إِلَيْهِمْ، وَ تَلَكَّ الْجُهُودَ وَ التَّضَحِيَّاتِ الَّتِي بَدَلُوهَا لِمَا لِحَمِهِمْ، وَ يَقْدِرُونَ بِالذَّاتِ سَبَقَهُمْ إِلَى الْإِنْتِصَارِ، وَ تَأْسِيسِهِمْ دَارَ الْإِسْلَامِ (دولته) مما يَتِيحُ لَهُمُ الْهَجْرَةَ إِلَيْهِمْ، وَ التَّحْرُكَ بِفَاعِلِيهِ أَفْضَلَ وَ أَوْسَعَ، وَ سَبَقَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ الَّذِي تَأْسَسُ بِهِ إِيْمَانُهُمْ، وَ عِلَاقَتُهُمْ بِهِمْ تَأْسَسُ عَلَى نَظَرِهِ الْإِحْتِرَامِ وَ الْحُبِّ وَ التَّقْدِيرِ.

و للآيه بصيره هامه تبين موقف التقييم السليم من قبل الأجيال اللاحقه تجاه الأجيال السابقه، فهناك ثلاث نظريات تستتبع ثلاثه مواقف متباينه:

١- الذين اعتبروا السابقين متخلفين و سببا لتخلف اللاحقين، و وقفوا منهم موقفا سلبيا للغاية، و سموهم رجعيين، و دعوا إلى بناء الواقع و المستقبل من جديد على انقاض الماضى، و يمثل هؤلاء اليوم فى المسلمين المتغربون و السليبيون الذين أصيبوا بردات فعل تجاه الواقع الذى نشأوا فيه، و بلغ الأمر ببعضهم أن اتهموا دين الإسلام ذاته لأنهم رأوا بعض السلبيات فىمن اعتنقه من آبائهم، كما قال تعالى:

وَ الَّذِي قَالَ لَوْلَا إِدْرِيهِ أَفُّ لَكُمْ أَمْ تَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَشْتَكِيَانِ اللَّهَ وَيَلْكَ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١).

٢- و هناك فريق آخر وقفوا موقف القبول المطلق و هم يرددون

ص: ٢٥٢

(١ - ١) الأحقاف ١٧/

«إِنَّا وَحَدَّثْنَا أَبَاءَنَا عَلِيًّا أُمَّهُ وَ إِنَّا عَلِيًّا آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (١) فهم يقدسون التراث إلى حدّ العباده، و نجد صورته لهذا الفريق في الذائنين في السلف و أفكارهم، يرحبون بحسناتهم و سيئاتهم على السواء، و لا يقبلون أدنى انتقاد لسلوكهم و أفكارهم و مواقفهم، و يعدّون الشخص ذا فضل و عظمه لمجرد كونه من الأولين، الذين أدركوا الرسول و الخلفاء، أو عاشوا في صدر الإسلام.

٣- اما الفريق الثالث فهم الذين يقيّمون السابقين بواقعيه، و يعرضون أفكارهم و موافقهم على موازين الشرع (القرآن و السنه و السيره) فما وافقها احتراموه و تأسّوا به، و ما خالفها ضربوا به عرض الحائط، و هم الذين تشير إليهم هذه الآيه الكريمة. كيف؟ انهم- حسب الآيه- يعترفون بأخطاء السابقين، و يتبعون القيم بإخلاص و شجاعه، سواء وافقت حياه أولئك أم خالفتها، و لكن النقد و الانتقاد لا يسقطهم في أعينهم، بل يظلمون أصحاب الفضل عليهم، الذين يكتّون لهم الود و الاحترام.

و في الوقت الذي يعترفون بأخطاء السلف، و لا يتابعونهم فيها، يسعون بكلّ ما أوتوا (بالدعاء و العمل) لإصلاح أخطائهم في الواقع الخارجي، و يستغفرون لهم عند الله، و انه سبحانه يستجيب دعاء الأخ لأخيه،

فقد روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال: «أسرع الدعاء نجحا للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به: آمين و لك مثلاه» (٢).

و قد ظهرت بدعه جديده في عصرنا الحاضر تتخذ من السلف الصالح شعارا لتأسيس حزب سياسى معين.. إن هؤلاء يرفضون أى تطوير فى مناهج الدين لأن

ص: ٢٥٣

١-١) الزخرف ٢٣/

٢-٢) بح/ج ٧٦ ص ٦٠ و للمزيد راجع ميزان الحكمه/ج ٣ ص ٢٨٠ الباب (١٢١٠)



أسلافهم لم يشهدوه، و يخلطون بين قيم الدين و واقعيّات التراث، و قد يقدسون التراث أكثر من الدين، و لا يفكرون بأن التراث الذى يشكله سلفهم ليس كيانا ثقافيا و حضاريا واحدا، فما الذى يقدسونه فيه؟! لقد تناقضت سيره السلف إلى درجه كبيره فهل يمكنهم العمل بكل المذاهب و المدارس الفكرية التى اتبعها أولئك السلف، أم انهم يجتهدون فى اختيار مذهب واحد و مدرسه واحده؟! و هم كذلك يفعلون مما يثير التساؤل: إذا جاز لهم الاجتهاد فى اختيار أصل المذهب فلما ذا لا يجوز الاجتهاد فى فروعه؟! و أساسا إذا كان للاجتهاد قيمه عندهم فما الذى يمنعهم من توسيع نطاقه؟! و إذا جاز لهم التطوير فى شؤون حياتهم الماديه فاذا بهم يركبون السيارات المرفّهه، و يسكنون القصور الفخمه، و يأخذون بكل معطيات العلم الحديث، فلما ذا لا يجوز لهم التطوير فى فهم دينهم حسب تقدم العلم، و توسع نطاق العقل؟! و إذا كانوا يستندون فى تقديس التراث إلى بعض الأحاديث المتشابهه فلما ذا تراهم يتركون كتاب ربهم الذى يصرح: بأن المستقبل أفضل من الماضى و ان الله يورث الأرض عباده الصالحين.

و قد ساق المؤلف الشهير محمد سعيد رمضان البوطى (1) أدله عديده على أن السلف (فى القرون الثلاث الأول) قد طوّروا منهج فهم الدين بأنفسهم، و قد أخذوا بالوسائل الجديده، ثم عاب على هذه الطائفه المستحدثه انتماءهم للسلفيه قائلا: ننتهى من هذا الذى أوضحناه إلى أن كلمه السلفيه ليس لها من المضمون العلمى أو الواقع الإسلامى ما يجعلها تنطبق على جماعه من المسلمين بعينها، و يضيف قائلا: ان السلف الصالح الذى تنتسب إليهم كلمه السلفيه لم يجمدوا

ص: ٢٥٤

---

١- ١) فى كتابه: السلفيه مرحله زمنيّه مباركه لا مذهب سياسى الذى طبع عام (١٩٨٨)

فى قرونهم الثلاثة، بل حتى فى قرن واحد منها على حرفيه أقوال صدرت منهم أو واقع آراء أو عادات تلبسوا بها بحيث يصبح ذلك الجمود هو دستور الانتماء إليهم، و التوقع فى حزبهم (١).

و الآيه الكريمة من خير دعاء المؤمنين لإخوانهم سواء السابقين أو المعاصرين و الأنداد، و إن المؤمن الصادق هو الذى تتجلى له الأخوه بلحاظ الإيمان اعمق من تجليها بلحاظ النسب، فأخوه كل مؤمن و أخته كل مؤمنه، مهما اختلف اللون و اللسان و الحسب، و مهما اختلفت المسافه الزمنيه و المكانية بينهما أو اختلفت الطبقات، و هو لا- ينظر إلى نفسه كفرد، انما جزء من امه بكاملها، بتاريخها و حاضرها و مستقبلها فيدعو لنفسه و لها على السواء، و يسعى لتحقيق أهدافه، كما يساهم فى تحقيق أهداف إخوانه، و يسعى نحو تطهير نفسه من رواسب الحقد و الحسد و الشحناء تجاه إخوته فى الدين.

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ حَقْدٍ أَوْ حَسَدٍ أَوْ أَىِّ أَمْرٍ يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَىٰ مَعَادَاتِ إِخْوَانِهِ، وَ هَذَا مِنْ أَهَمِّ الطَّمُوحَاتِ الَّتِي يَسْعَى الْمُؤْمِنُونَ نَحْوَهَا مَتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّ الْخُرُوجَ مِنْ شَحِّ النَّفْسِ الْفَرْدِيَّةِ، وَ التَّخْلُصَ مِنَ الْأَغْلَالِ تَجَاهِ الْآخَرِينَ مِنَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَوْفِيقِ إِلَهِي، وَ ارَادَهُ قَوِيَّةً، وَ لِأَنَّ ذَلِكَ عُنْوَانُ بُلُوغِ الْإِنْسَانِ دَرَجَةَ رَفِيعَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ،

فقد جاء فى الحديث الشريف: «آخر ما يخرج من قلوب الصديقين الحسد» و المؤمنون يدركون ذلك و يعلمون أن بلوغهم درجه التخلص من الأغلال تجاه إخوانهم دليل رأفه الله و رحمته بهم، و لذلك يشنون عليه فى دعائهم فيقولون:

رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ

ص: ٢٥٥

و هذان الاسمان لله يتجليان في سلوك المؤمنين عبر تعاملهم مع بعضهم، و هم يسألون ربهم المزيد من التوفيق للتخلق بهما، و أن يرأف بهم بنزع الأغلال من قلوبهم تجاه بعضهم، و يرحمهم بالغفران.

[١١-١٢] تلك كانت صوره المؤمنين في توادهم و تراحمهم، و هناك صوره معاكسه تمثل المنافقين و الكافرين، و تحكى تفقت علاقاتهم، و يحدثنا السياق عن أمثوله لها من علاقه منافقى المدينه مع كفار بنى النضير، فبالرغم من العهود و المواثيق التى أعطاهها أولئك لهؤلاء، و رغم التحالفات التى عقدوها مع بعضهم ضد الإسلام و الرسول إلا أن ذلك لم يصف إلى تماسكهم شيئاً، إنما تقطعت بهم الأسباب مع أول مواجهه تمت بينهم و بين المسلمين. و هذه الأمثوله جديره بالتأمل من قبل المؤمنين بالذات و هم يخوضون الصراع مع الأعداء، فان ذلك ينفخ فيهم روح الثقه و الاطمئنان بالنصر، و لذلك يدعو الله نبيه و كل مؤمن إلى دراسه ذلك بقوله سبحانه:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ۖ سَمَى الْمُنَافِقِ مَنَافِقًا ۖ فَسُيِّمُوا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٧﴾  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ۖ سَمَى الْمُنَافِقِ مَنَافِقًا ۖ فَسُيِّمُوا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٧﴾  
التصنع و التكلف و الكذب يخفى فيه شخصيته الحقيقيه، و لقد كان المنافقون على مر التاريخ مزدوجى الشخصيه، فهم بين المسلمين يتظاهرون بأحسن صور الإسلام، و بين الكفار يظهرون على حقيقتهم المعاديه للحق و لأهله، و يتخذون ذلك مطيه لنيل الغنيمه و المصلحه من الفريقين.

يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هَؤُلَاءِ هُمْ إِخْوَانُهُمُ الْحَقِيقِيُّونَ لِأَنَّهُمْ شَخْصِيَّتُهُمْ وَ مَصَالِحُهُمْ وَ أَهْدَافُهُمْ وَاحِدَةٌ،

بالرغم من تظاهرهم بالأخوه للمؤمنين، و ليس إخوانهم كل أهل الكتاب ففيهم المؤمنون، انما إخوانهم الكافرون و المشركون منهم، و جزء من مسيره النفاق تربص أهله الدوائر بالمؤمنين بحثا عن المصلحه التي لا- تتحقق بسياده الحق و أتباعه المخلصين، لذلك ارتأى المنافقون و قد بدت علامات الحرب بين بنى النضير و المسلمين أن يؤججوا الصِّراع طمعا في انتصار الباطل، و صعودهم داخليًا الى سده الحكم، أو لا أقل تجنبهم المخاطر المترتبه على هزيمه المؤمنين لو حسبهم أولئك منهم، و لكنهم- وهذا ديدنهم في كل زمان و مكان- لم يضعوا البيض كله في سله اليهود، انما وضعوا احتمال هزيمتهم فخططوا و مكروا على أساسه بأن تبقى تحالفاتهم مخفيته، حتى لو انهزموا لا يفقدون كل شيء بين المسلمين المنتصرين، فراحوا يتسللون لهم فرادى و جماعات، و يكاتبونهم مؤكدين:

لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ أَوْ لَوْ قَرَّرَ الْمَسْلُومُونَ إِخْرَاجَكُمْ فَسَنَخْرُجُ، و مصيرنا و إياكم واحد على كل حال، و لعل في الآيه اشاره إلى أن مصير المنافقين و وجودهم مرهون بدعم القوى الخارجيه بحيث لا- يبقى لهم كيان و لا مبرر وجود من دونها، و يؤكدون لهم صدق موقفهم، و يحرضونهم بصورة أكبر ببيان استعدادهم للتمرد الدائم على قرارات القيادة الرساليه و دعوه إخوانهم لو أنهم حاولوا دفعهم الى الوقوف ضد اليهود.

وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا أَوْ لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْمُحَارِبَةِ ضَدَّهُمْ مَهْمَا كَانَ الدَّاعِي، و أنى كانت صورته الدعوه، و أن هذا الأمر من الثوابت التي لن تتغير، و حيث يؤكدون لليهود هذا الأمر بالذات فلأنهم يعلمون مدى طاعه المؤمنين لرسول الله (صلّى الله عليه و آله) يومئذ، و ان هؤلاء ربما تتغير مواقفهم لسبب ما.

ثم ان المنافقين يخبرون بنى النضير أن المسلمين قد يتخذون قرارا بالحرب ضدهم، و يؤكدون لهم استعدادهم للوقوف معهم فيها.

وَإِنْ قَوْلْتُمْ لَنْصُرَنَّكُمْ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَ يَفْضَحُ اللَّهُ هَذِهِ الدَّسَائِسَ الَّتِي تَدُورُ فِي الْخِفَاءِ:

□  
وَ اللَّهُ يَشْهَدُ وَ ان كانت مؤامراتهم المشؤومه تحدث فى السر بعيدا عن علم الرسول القياده و المؤمنين.

□  
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فَمَهْ إِذَا حَانَ الْقِتَالُ لَا يُوْفُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَ إِنِ الذِّى بَاعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ بَاعَ دِينَهُ مِنْ أَجْلِ أَهْوَاءِهِ وَ مَصَالِحِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِمَسْتَعِدَّ أَنْ يَبِيعَ أَيَّ أَحَدٍ كَانَ مِنْ أَجْلِ سَلَامَتِهِ.

□  
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ فَهَمَّ غَيْرُ مُسْتَعِدِّينَ لِلتَّضْحِيهِ بِدَوْرِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ، وَ لِتَحْمِلِ أَلْوَانَ الْمَشَقَّةِ فِي سَبِيلِ حَلْفَائِهِمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ كَرَسُوا إِمْكَانَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِ رَاحَةِ الدُّنْيَا، وَ مَا ذَا يَدْفَعُهُمْ إِلَى تَحْمِيلِ ذَلِكَ وَ الْإِتِمَارِ بِعَهْدِهِمْ لِمَعِ فَرِيقٍ مِنَ النَّاسِ، وَ قَدْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ اللَّهِ وَ مَعَ رَسُولِهِ وَ حَارِبُوهُمَا وَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا؟ فَهَمَّ إِذَا كَاذِبُونَ.

□  
وَ لَئِنْ قَوْلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي مَسْتَوَى التَّضْحِيهِ بِالْمَادَةِ، فَكَيْفَ التَّضْحِيهِ بِالنَّفْسِ، وَ بِالْأَخْصِ

إذا كان ظاهر المعركة انها تنتهى الى انتصار الحق و اهله؟! فهم غير مستعدين لخوض معركة تذهب بفضيحتهم و خسارتهم، و قد صنعوا المستحيل من أجل أن يلعبوا على الحيلين، و لا يصنفوا فى جهة و جماعه ما من أجل سلامتهم، و هب ان المنافقين جازفوا و دخلوا الحرب ضد المسلمين فما ذا سوف يغيرون فى الواقع؟! وَ لَيْسَ نَصِيرُهُمْ لِيُؤَلِّمُوا هَذَا هَزِيمَةً لَّهُمْ وَأُولَئِكَ، لأنهم لا يملكون مقومات الثبات فى القتال، و أهمها روح التضحية و الشهاده، و المتوفره عند اتباع الحق دونهم، و لأن إرادته الله أقوى من أن يثبت أمامها أحد، و حينها يخسر الكافرون أنصارهم، و سوف يخسر المنافقون مستقبلهم.

ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ أَى لَا أَحَدٌ يَمْنَعُهُمْ سَطْوَةَ الْحَقِّ وَ أَهْلِهِ.

[١٣] و انما ينهزم المنافقون و حتى الكافرون عسكريًا أمام المسلمين لأنهم يعيشون الهزيمة النفسيه فى داخلهم أيضا، و دليل ذلك توسلهم بالنفاق بين المسلمين لأنهم لا يملكون الشجاعه الكافيه للظهور على حقيقتهم، و كان الأولى لهم أن يخافوا الله الشاهد عليهم لو كانوا يعلمون و يؤمنون بالغيب.

لَمَّا تَمَّ أَشَدُّ رَهْبَةٍ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ أَى لَا - يعرفون الحقائق بعمق، و الى حدّ اليقين، و إلا لكانوا يتركون النفاق و التعاون مع أعداء الحق خشيه سطوه الله و عذابه فى الدنيا و الآخرة. و هذه الصفه

متأسسه على النظره الماديه للحياه، فهم لا- يعيشون حقائق الغيب، و لذلك لا- يخشون ما يتصل بها كخالق عزّ و جلّ، و قال سبحانه: «صدورهم» لبيان خلوها من الايمان بالله.

[١٤] و من مظاهر خوفهم و هزيمتهم الداخليه أنهم لا- يملكون شجاعه المواجهه المباشره مع المؤمنين، إنما يتوسلون بألوان الدفاعات الممكنه خشيه الموت، و من أسباب ضعفهم بالإضافه الى روح الهزيمه هذه التفتت في الجبهه الداخليه اجتماعيا.

□ □  
لا- يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا صَفًّا و احدا متكاتفا(المنافقين و الكافرين، أو أفراد الجبهه المعاديه بصوره عامه) لأنهم لا يجتمعون-بسبب الخوف، أو بسبب اختلاف المصالح و الأهواء- على رأى و موقف واحد أبدا، أنى كانت الوحده هى الصوره الظاهره فيهم.

□  
إِلَّا فِي قُرَىٍّ مَّحْصَنَةٍ يَأْمَنُونَ بِحِصُونِهَا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ، أَوْ لَا أَقْلَ مِنَ الْمَوْتِ وَ لَوْ بِصُورِهِ نَسِيهِ.

□  
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ وَ الْجُدُرِ جَمْعُ جِدَارٍ وَ هُوَ الْحَائِطُ، و انما يحاربون من ورائه لخشيتهم من الموت، و جنبهم من المواجهه، و هو يشبه جدار النفاق الذى يسترهم عن الفضيحة و الجزاء، و لعل ذلك يفسر خلفيات قرار الرسول صلى الله عليه و آله بهدم بعض بيوت بنى النضير، و قطع نخيلهم بأنهم كانوا ينتفعون بها فى الحرب للتستر و التسلل و التحصن، و هب أنها توفرت الحصون و الجدر و تجمعوا ظاهريًا فى صفّ واحد، و من أجل غايه واحده،

فان ذلك لا يعنى أنهم متوحدون،فانك لو فتشت قلوبهم و قلبت آراءهم لوجدتها متفرقه و متناقضه،بل لوجدتهم متناحرين فى كثير من الأحيان،و السبب انهم لا يدورون على محور واحد،و لا يسعون نحو هدف واحد كما يدور المؤمنون مع الحق أينما دار،و يستهدفون إقامة الحق فى الأرض.و أساسا الفرق بين الحق و المصالح:

هو أن الحق واحد،بينما الأهواء و المصالح تتناقض و تعود الى صراعات داخلية جذريه و دائمه.

بَأْسِيَهُمْ يَتَّيَهُمْ شَدِيدٌ أَى أَنَّهُمْ يَعَادُونَ بَعْضَهُمْ عِدَاوَهُ شَدِيدَةً،حَتَّى أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ بَعْضَهُمْ بِشَدِّهِ،و هَذِهِ صِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ عَنِ الْيَهُودِ،و قِيلَ مَعْنَاهُ:أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالشَّدَّةِ،و يَكِيلُونَ الْوَعِيدَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ،بَيْنَمَا قُلُوبُهُمْ خَاوِيَةٌ مِنَ الشَّجَاعَةِ.

و المعنى الأول أقرب الى السياق.لقوله سبحانه:

تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعاً مُتَحَدِينَ،كَمَا يَتَظَاهَرُونَ بِذَلِكَ أَوْ يَظْهَرُ اِعْلَامُهُمْ.

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى مُتَبَايِنَةٌ،و ان الاختلاف الجذرى و الحقيقى هو الذى يبدأ من القلوب المتشثته.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ أَى لِأَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ هَدَى الْعَقْلِ و الْآلِ لِتَوْحِيدِهِ،لَأَنَّ الْحَقَائِقَ الَّتِي تَهْدِي إِلَيْهَا الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ الْمَجْرَدَةُ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ و مَكَانٍ وَلِذَلِكَ كَلَّ النَّاسُ،و قَدْ اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ الَّذِي لَا يَتَّفِقُ مَعَهُ النَّاسُ،فَتَفَرَّقُوا و تَشْتَتَوْا،و لَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ الْعَقْلَ لَقَادَهُمْ



[١٥] وهذه المسيره التي لا تقوم على التفقه و التعقل لا ريب انها ستقودهم إلى المصير السيء فى الدارين.

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة. وقد يكون المعنى: أنّ أولئك لقوا جزاءهم، و لهؤلاء أيضا عذاب اليم مثلهم، و الوبال هو سوء العاقبه (١) و قيل فى « الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ »: انهم عموم أعداء الحقّ، و قيل: هم المشركون الذين هزمهم الرسول فى بدر، و قيل: هم بنو قينقاع و هو الأقرب و الأشهر بين المفسرين، و هم أول فريق من اليهود نقضوا عهدهم مع الرسول (صلى الله عليه و آله) و أرادوا حربيه حسدا من عند أنفسهم، لما يرونه من تعاضم قوته، و قد نصحهم (صلى الله عليه و آله) بان يتركوا ذلك، و لكنهم أصرروا و قالوا: لسنا مثل قومك العرب الجبناء، الذين هزمتهم فى بدر، فاستعدوا للحرب التى دارت رحاها بذريعه بسيطه: حيث أن امرأه من المسلمين ذهبت لصائع منهم تشتري منه ذهباً، فاجتمع اليهود عليها و أصرروا ان تكشف عن وجهها لهم فلم تفعل -مما يدل على اشتهاى الحجاب أيام الرسول بحيث كان يستر الوجه- فبادر الصائع بشدّ ثوبها الذى عليها، بحيث ينكشف بعض بدنها للحاضرين، و كان اليهود يتضحكون كلما بدت سواتها.

و فى الأثناء التفت رجل من المسلمين للأمر فأخذته الغيره للحق فقتل الصائع

ص: ٢٤٢

لما فعله، و لكن اليهود الجالسين معه اجتمعوا عليه و قتلوه، فثار المسلمون جميعا، و قرر الرسول الأ-عظم صلى الله عليه و آله ان يحاربهم، فحاصر حصونهم و قراهم، و أمرهم بالجلأ فما وجدوا بدًا من التسليم لأمره، و رحلوا عن المدينه» و قال عبد الله ابن أبى:

لا- تخرجوا فإنى آتى النبى فأكلمه فيكم، أو ادخل معكم الحصن، فكان هؤلاء أيضا فى إرسال عبد الله ابن أبى إليهم، ثم ترك نصرتهم كأولئك» (١).

هكذا كانت حساسيه المسلمين تجاه الظلم و إلى هذا الحد، بحيث يجهزون الجيوش، و يجلبون قوما بأجمعهم لأنهم هتكوا عرض امرأه مسلمه و حرمتها، و لا ادرى اين هم الآن؟! [١٦] و يضرب القرآن لنا مثلا عن علاقته المنافقين بالكفار من أهل الكتاب و التى هى علاقتهم مع الآخرين فى كل زمان و مكان، فهم يحرضون الأعداء على المسلمين بأساليبهم الماكره ما داموا يرتجون مكسبا، و لكنهم بمجرد أن يجدوا أنفسهم أمام خطر جادّ يتهددهم من قبل المؤمنين أو يشعرون بالهزيمه يتبرءون منهم.

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ و زين له الأمر حتى كفر، و وجد نفسه فى عذاب الله.

فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِّنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ و كذلك المنافقون حرضوا بنى قينقاع و بنى النضير حتى تورطوا فى حرب مع المسلمين، فلما انهزموا انسلخوا عنهم، و تركوهم و حدهم يلقون جزاءهم، و جاء فى النصوص الاسلاميه: أن الشيطان ليملى فم الإنسان المخدوع به بالبصاق، و يبصق فى وجهه يوم القيامه إذا عاتبه أو سأله الخلاص.

ص: ٢٦٣

[١٧] وماذا تكون النهايه حينما يتبع الإنسان الشيطان، سواء شيطان الجن أو الإنس كالمناققين؟ بلى. قد يحصل على بعض المصالح الماديه المحدوده، و يحقق بعض أهوائه و رغباته الدنيويه، و لكن يخسر المستقبل الأبدى.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَى الْأَبَدِ يَذوقا ألوان العذاب، و ما هى قيمه بعض من حطام الدنيا إذا كانت هذه هى عاقبته؟! وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم و غيرهم باتباع هوى النفس، و وسواس الشيطان، و فى التاريخ صور كثيره عن هذه العاقبه المشينه. إليك واحده منها: جاء فى الأثر: انه جىء لعابد زاهد من بنى إسرائيل بشابه جميله أصابها الجنون كى يدعو لها بالاسم الأعظم فتشفى، فلما صار عليهما الليل حدثه الشيطان عن الفاحشه، و ايقظ فيه الهوى و الشهوه، و وسوس له حتى واقع المرأه، و كانت هذه الخطوه الأولى. ثم عاوده على قتلها حتى لا يفتضح امره بقولها أو بحملها فقتلها و دفنها. و لما أصبح الصباح جاء إخوتها يسألون عنها فأخبرهم بأنها خرجت الى حيث لا يعلم، فرجعوا، إلا أن الفلاح الذى دفنت فى مزرعته وقع على جسدها و هو يحرث الأرض فأخبرهم، و ترافعوا معه لدى القاضى و اعترف بالجريمه فحكم بالشتق. و لكن الشيطان لم يتركه الى هنا انما تابع مسيرته، فقد جاء له عند جبل المشنقه و أوعده بخلاصه و اشترط عليه السجود له، فسجد للشيطان و لكن الشيطان لم يف له و انما تركه يشنق، و هكذا صار الى نار جهنم، و هذه عاقبه كل من يتبع خطوات الشيطان.

ص: ٢٦٤

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

### هدى من الآيات:

هكذا بصرتنا الآيات السابقة بالصفات الرفيعة التي يتحلّى بها المؤمنون الصادقون، و التي هي ركيزه فلاحهم، كما حدثتنا عن العلاقة السيئه بين المنافقين و بين حلفائهم من أعداء الأمة، و فى ختام الفصل فضحت دورهم فى تضليل الناس، و انهم كالشيطان الغوى، الذى يقود أتباعه الى النار ثم يتبرأ منهم.

و حيث أن اشراك إبليس منصوبه لكل إنسان و حتى المؤمنين فلا بد من التحصن عنه بالتقوى، كما أن المنافقين الذين يمثلون دور الشيطان فى الأمة الإسلاميه سيعملون على تجريد المؤمنين من صفه الإيثار، و تفريقهم، ثم جر بعضهم إلى حزبهم، لذلك يدعو الوحي فى هذا الدرس الى تقوى الله، و التفكير فى مستقبل الآ-خره، و الإحساس بهيمنه الله عبر ذكره الدائم مما يحفظ الإنسان عن الانحراف، و يحصنه ضد الشيطان.

و تشير الآيات باختصار الى الفرق الكبير بين أهل الجنة و أصحاب النار، ثم يثنى السياق على عظمه القرآن و فاعليته فى التأثير باعتباره النهج الذى يربط المخلوق بربه و يذكره به، فهو لو أنزل على جيل لخضع و تصدّع من خشيه ربه، و لك أن تعلم كم ينبغى أن يكون قلب الإنسان قاسيا إذا لم يتأثر بآياته الحكيمه. و لكن هذا الكنز الإلهى العظيم لا يكتشفه الإنسان إلا إذا استثار عقله للتفكر فى آياته، و التدبر فى أمثاله و قصصه.

و يكتسب القرآن عظمته الكبرى من كونه كلام الخالق، و التجلى الأعظم له إلى خلقه، و هذه الحقيقه هى التى تكشف لنا العلاقه بين الكلام عن عظمه القرآن فى الآيه (٢١) و الحديث عن صفات الله فى الآيات (٢٢/٢٤)، فإن عظمه القرآن من عظمه خالقه المتجليه فى أسمائه و صفاته. و لن تتحقق خشيه الله لأحد إلا إذا سمى الى آفاق المعرفه به سبحانه، و ذلك بالتعرف على أسمائه الحسنى التى تتجلى فى كتابه و فى خلقه، و لذلك يختتم الله سورة الحشر بذكر مجموعته منها لكى يتعرف إلينا و نعرفه كما يريد.

### بينات من الآيات:

[١٨] يتميز المؤمنون عن غيرهم بخصال ثلاث هى:

١- تقوى الله التى تسوقهم الى الطاعه و تحجزهم عن المعصيه، و هى روح الإيمان.

٢- الإيمان بالآخره كدار للبقاء و السعى الجاد و المستمر من أجل إعمارها باعتبارها دار مقرّ الإنسان، فلا يصدّهم عن الاستعداد لها و التزود إليها شخص و لا شىء.

ص: ٢٤٧

٣-الإحساس العميق برقابه الله على أعمالهم، وهذا ما ينمى فيهم روح التقوى و الإلتقان.

و يسعى الشيطان (إنسيا كان أو جنيا) إلى مسخ شخصيتهم بسلبهم هذه الصفات الفاضله، و جرهم إلى الفسوق بأساليبه الخفيّه كالوساوس، و الظاهره كالدعايه المضلله، لذلك يوجه الوحي نداءه إلى المؤمنين بلطفه و عظيم منته، لكي يظهر هذا النداء الرباني على ما يلقي الشيطان من نداءاته الخبيثه في القلب، و وساوسه الداعيه الى التمرد و العصيان، و إلى نسيان الآخره فيقول عز من قائل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ و التقوى درجه أرفع من الإيمان، و في الآيه تحريض الى كل مؤمن بأن ينمى إيمانه ليصل به إلى درجه التقوى لأن الإنسان بحاجه إلى درجه رفيعه من الإيمان ليواجه بها الضغوط و التحديات الشيطانيه، فحتى المؤمن قد ينحرف عن الصراط المستقيم خشيه الطاغوت أو الآباء أو المجتمع، و يمكن القول بأن التقوى هي:

التحصن دون أسباب عذابه و سخطه، أو الحرمان من رحمته، و التعرض لعقابه، مما تتسع الكلمه للعمل بالواجب و المندوب و ترك المحرم و المكروه.

وَ لَتُنظُرَنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ بلى. إن الشيطان و هوى النفس يدعوان الإنسان إلى المزيد من التركيز في حاضر الدنيا، و الاسترسال في لذات العيش من دون حدود أو قيود، و على المؤمنين أن يقاوموا ذلك بالتفكير في مستقبل الآخره الذي يرتكز على سعيهم في الدنيا، و ما على الإنسان الذي يريد أن يعرف مستقبله إلاّ مراجعه حساباته، و النظر في أعماله، و ضروره هذه المحاسبه تنطلق من أننا نستطيع التغيير و الاستزاده ما دمنا

نعيش فرصه الحياه الدنيا، أما بعد الموت فلا تجدنا التوبه شيئاً. و ما أخرج الإنسان إلى النقد الذاتى البناء للمستقبل، فإنه فى عرصه القيامه حيث المحاسبات الحاسمه يحتاج إلى أقل من مثقال الذره من أعمال الخير،

فقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله :

«تصدّقوا و لو بصاع من تمر، و لو ببعض صاع، و لو بقبضه، و لو ببعض قبضه، و لو بتمره، و لو بشقّ تمره، فمن لم يجد فبكلّمه طيبه، فإن أحدكم لاقي الله فيقال له: ألم أفعل بك؟ ألم أفعل بك؟ ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالا- و ولدا؟ فيقول: بلى. فيقول الله تبارك و تعالى: فانظر ما قدمت لنفسك، قال: فينظر قدّامه و خلفه، و عن يمينه و عن شماله فلا يجد شيئاً يقى به وجهه من النار» (١).

و كما يجب على الإنسان النظر الى ما يقدمه الى مستقبله الأخرى، فانه مسئول عن النظر إلى ما يقدمه لمستقبله الدنيوى أيضاً (مفرداً أو جماعه أو جيلاً) و من الخطأ أن يعيش لحظته الراهنه بمعزل عن المستقبل و اخطاره، لأن هذه اللحظه جزء من المستقبل، و لأنه و الجيل الحاضر رقم فى مسيره الآتين شاء ذلك أم أبى.

و لكى لا- يقيم البشر ما يقدمه للمستقبل من بعد الكم و حسب، يدعوننا القرآن لتركيز التقوى التى تأتى من الإحساس بالرقابه الإلهيه، فان الذى يشعر بمعايينه الخالق له، و خبرته بسعيه لا شك سوف لن يكتفى بالكم بل سيجتهد بإحراز النوع المرضى عنده عزّ و جل، و ذلك بالإخلاص فى النيه و الإتيان فى العمل.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ و لك أن تتصور فاعليه الإنسان و سعيه (كما و نوعاً) و هو يتحرك بشعور الحضور تحت رقبه رب العمل و الحساب و الجزاء. إنه سيجتهد حقاً لإحراز مرضاته، و بلوغ

ص: ٢٦٩



ثوابه، و تجنب غضبه.

[١٩] و انما يدعو الله المؤمنين الى خشيته، و الاستعداد للقائه و تقواه بتحسس رقابته على الأعمال، لأن ذلك مما يميزهم عن غيرهم، فيصدق عليهم اسم المؤمنين، فلو أنهم تجردوا عن هذه الخصال الثلاث لما أصبحوا في عداد أهل الجنة و حزب الله، و من هنا نكتشف العلاقة بين الآيه السابقه و هذه، فان ما اشتملت عليه تلك يمثل أهم مضامين الشخصيه المؤمنه المتمثله في ذكر الله، الذي يجعل الفرد من أصحاب الجنة.

□ □ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ أَي لَمْ يَتَّقُوهُ، و لم يستعدوا للقائه في الآخره، و لم يستشعروا رقابته على أعمالهم، إذا فنسيان الله لا ينحصر في الكفر المحض به تعالى و حسب، بل يمكن ان يكون المؤمن ناسيا له لو تورط في واحده أو أكثر من هذه الأمور الثلاث. و تعبيره عنها بالنسيان يهدينا الى ان الإيمان به و ذكره مودع في فطره البشر و ذاكرته، و لكنه يحيد عن ذلك بسبب الغفله أو الشهوه و غيرهما.

و قد أوضح أئمه الهدى معنى هذه الآيه الكريمه،

قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: «يعنى إنّما نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته» (١) و ذلك جرهم الى عواقب خطيره هي الضلال و النار.

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ كَنَتِجَه طَبِيعِيَه لَنَسِيَانَه سَبْحَانَه، فان الذي لا يؤمن بربه، و لا يعتقد بالآخره، لا يجد قطبا ثابتا يدور حوله، و لا هدفا حقيقيا يسعى إليه، إنما تتجاذبه التيارات

ص: ٢٧٠

المختلفه، فيتبع يوما مجتمعه، و ثان: المحتلين الأجانب، و ثالثا: التاريخ، و رابعا:

شهوة الرئاسة، فيصير مثل ذره تائهة تسيير حسبما تسيير الريح، و لا يعمل لمصلحته الحقيقيه، و لا انطلاقا من غايات وجوده، فإذا به و قد حان يوم القيامة «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا» و لم يقدم لنفسه شيئا.

و بعبارته: ان الذى يثبت للإنسان وجوده، و يعرفه بمصلحته، و هو ايمانه بربه، فالإيمان يمنحه الاستقلال و يعطيه الرؤيه السليمه تجاه نفسه و الثقة بها، و هذه من مميزات بصائر القرآن التى تحرر البشر من سلطه الهوى و هيمنه الشهوات، و عبوديه الطغاه و المترفين الذى يمتونه بالهوى، و يرهبونه بصدده عن الشهوات، كلا..

المؤمن يتجاوز هواه ليكرس وجوده و لا يستسلم لجواذب الشهوة فيثبت استقلاله، و يتحدى سلطه المستكبرين ليعى ذاته، و يعود الى كيانه، بينما الثقافه الجاهليه بألوانها و اتجاهاتها تفقده هذه القيم، و تحدوه إلى الذوبان فى محيطه، فيضل عن سواء السبيل.

أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ حِصْنِ الْقِيمِ فَتَخَطَفْتَهُمْ ذُنُوبُ الْهَوَىٰ وَ سَبَاعُ الطَّغْيَانِ.

[٢٠] بلى. نسيان الله يسبب الضلال، و يجعل الإنسان من أهل النار، لأن أصحاب الجنّه هم الذين تتوفر فيهم الخصال الثلاث (تقوى الله، و الاستعداد للآخره، و الإحساس برقابته)، و كما يختلف الفريقان فى الدنيا فى صفاتهم فإنهم يختلفون فى العقبى فى مصائرهم.

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ

إذا فلنبحث عن صفات هذا الفريق و نسعى لتقمصها، و نبحث عن تجمعهم فننتمى اليه حتى نفوذ معهم فى الدنيا و الآخرة.

و هكذا تتوالى آيات الذكر تبصرنا بمدى تميّز المؤمنين عن سواهم لكى لا يغرنا إبليس بأنهما سواء. كلا.. لا تستوى الجنّة و النار، و لا- تستوى الحسنه و السيئه، و لا- يستوى النور و الظلام، و لا الظل و لا الحرور، كذلك لا يستوى الصالحون أصحاب الجنه، و المسيئون أصحاب النار، بالرغم من أنهما فى الدنيا يتعايشون فى بلد واحد، و ربما تحت سقف واحد، و يتراءى للمعائين أنهما سواء، بل و يحاول المسيئون تميع الفرق بينهم و بين الصالحين، و الدعايه بأنهم ما داموا فى الدنيا لا يؤاخذون بسوء أفعالهم فهم فى الآخرة كذلك بمنجى منها، كلا.. إنهما ليسوا سواء، و معرفه هذه الحقيقه تساهم فى بعث الإنسان الى الصلاح.

[٢١] و إذا كان أصحاب الجنه هم الفائزين، فكيف نبلغ درجاتهم؟ إنما بالقرآن الذى لن يأتى مثله مذكرا للإنسان بربه، و مربيا له على روح الإيمان و التقوى، ذلك أنه لم نزل على الجبال لتصدعت فكيف لا يستجيب له قلب الإنسان؟! لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ و التدبر فى هذه الآيه يهدينا إلى عدّه حقائق:

الأولى: أنه تعالى أضاف اسم الاشاره «هذا» الى القرآن. لماذا؟ ربما لأنه أراد أن يذكر قارئ القرآن بأن المعنى بالكلام هو كتابه الذى بين يديه، و أنه يتضمن من الآيات و الحقائق ما يصدع القلب، فإذا لم يخش تاليه ربه بسببه فليعلم

أن قلبه أقسى من الجبال.

و إذا كانت الاشاره متوجهه إلى القرآن كله فهي تشير بصوره خاصه إلى ذات الآيات القرآنيه التي تقع فى سياقها من سوره الحشر-بصفه أخص-و كيف لا تكون كذلك و هى تشتمل على تجلّ لله للمؤمنين بأسمائه الحسنی؟! الثانيه: جاء اسم القرآن بالذات فى هذا السياق لماذا؟ربما لأن بلوغ الخشيه و النفع بالآيات يكون بتلاوتها و كونها مقروءه،و ليس بمجرد اقتنائها أو التزين بها، فالجبل يخشع و يتصدع لو أنزلت عليه الآيات التي تقرأ.

الثالثه: أن الجبل لا يخشع و لا يتصدع من القرآن بحروفه و ورقه،إنما يصير الى ذلك نتيجه المضامين العظيمة التي تشتمل عليها آياته،و أهمها و أعظمها انطواؤها على تجلّى الخالق عزّ و جلّ.لذلك كان القرآن هو المنزل،بينما كانت الخشيه من الله سبحانه.اذن فعظمه القرآن مكتسبه من ذلك التجلى،الذى ظهر بصوره أخرى للجبل فاندك و خرّ موسى صعقا.

وَ تَلَعَكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ لَنَا ان نهتدى من هذا المثل الى تصور مدى القسوه التي ينبغى أن يبلغها قلب الإنسان حتى لا يتأثر بالوحي خشيه و تقى.لا- شك أنه سيكون أشد قسوه من الحجاره،« وَ إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ »(١)هكذا يضرب الله الأمثال للناس.

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

ص: ٢٧٣

فيهدون إلى عظمه كتاب ربهم، فتلين به قلوبهم، و تأكيد القرآن على إثارة العقل بالتفكير لدليل واضح إلى أنه ليس بديلا عن عقل الإنسان إنما هو مكمل و مرشد له الى الحق فى أقوم صورته. و هذه الآيه تهدينا إلى أن عظمه القرآن لا تتكشف لأحد إلا بالتفكر بآياته و أمثاله، ذلك أنه كلما تقدم بالإنسان الوعى و العلم كلما عرف عظمتة و أحس بالحاجه إليه، و أن الرساله الالهيه جاءت لتحرك عقول البشريه، و ترفع تخلفها الفكرى، ذلك أن الحركه الحضاريه الحقيقيه تبدأ باستثارة العقل و تركز عليه، و العقول التى لا يحركها القرآن نحو التفكير و الخشيه من الله و هو أعظم محرك لهى أقرب إلى الموت من الحياه.

[٢٢] أسماء الله وسائل معرفته، و معرفه الله سبيل قربه، و القرب من الله غايه كمال الإنسان، و إنما خلق الله أسماءه لكي ندعوه بها، و لولا تلك الأسماء كيف كان يتسنى لنا معرفته؟ هكذا

جاء فى حديث شريف عن الإمام الرضا-عليه السلام- يسأله ابن سنان عن معرفه الله بنفسه، و متى خلق أسماءه؟ فيقول: «هل كان الله عزّ و جلّ عارفا بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها و يسمعها؟ قال:

ما كان محتاجا الى ذلك لأنه لم يكن سألها و لا يطلب منها، هو نفسه، و قدرته نافذه فليس يحتاج أن يسمى نفسه، و لكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف» (١).

و لكن كيف ندعو الله بأسمائه؟ إنما يتم ذلك حينما نجعلها وسيله الى معرفته، فلا نجمد عند حروفها، و لا ندعو بالأسماء كأسماء، بل نجعلها سبيلا الى ذلك الرب الذى نشير اليه ب«هو» ذلك الذى تجلت آياته فى كل شىء، و لكن تعالت ذاته عن العقول.

ص: ٢٧٤

و هكذا

جاء فى حديث مأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام) حين يجيب هشام بن الحكم حين يسأله عن أسماء الله و اشتقاقها: «يا هشام! الله مشتق من إله، و إله يقتضى مألوهاء، و الاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئاً، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك و عبد اثنين، و من عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد» (١).

و يبدو لى ان كثيرا من البشر يضلّون حين يجمدون على حدود الأسماء و الحروف الدالّة عليه أو على حدود آيات الله دون أن ينفذوا ببصائرهم و حقائق إيمانهم إلى المعنى، و لعل أساس طائفه من أقسام الشرك هو هذا الجمود، و من هنا جاءت آيات الذكر لتوجهنا الى الله بإشارات فطريه.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ سَيَأْتِيُ إِنْشَاءَ اللَّهِ بَعْضَ التَّدْبِيرِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُضِيئَةِ.

عَالَمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ

جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الباقر (عليه السلام): «الغيب ما لم يكن، و الشهادة ما كان» (٢).

و إحاطه الله بالغيب علما آيه قدرته النافذه، أو لم يقل ربنا سبحانه: «وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ.. الْآيَةَ» (٣).

أو تدرى كيف نستدل على ان ربنا عالم الغيب؟ لأنه تعالى قبل أن يخلق

ص: ٢٧٥

١-١) المصدر/ص ٢٩٦

٢-٢) المصدر

٣-٣) الانعام/٥٩

الخلايق علم كيف يخلقها بلا مثال سبق، و لا نقص لحق، فلو لا علمه السابق كيف كان يخلقها بهذه الدقه و المتانه؟ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وسعت رحمته كل شىء، و تفضل على المؤمنين برحمه خاصه.

[٢٣] فى كل أفق و مع كل شارقه و غاربه، و على كل صغيره و كبيره آياته، فمن هو و ما هى صفاته؟ أنى ألقىت ببصرك شاهدت آثار ملكه و عظمته، و أى شىء رأيت أنبأك بقدرته و حكمته، و اى حدث شاهدت لامست تجليات عزته و جبروته، فمن هو و ما هى أسماؤه؟ سؤال يرتسم على كل شفءه، و بكل مناسبه، و يأتى الجواب: انه «هو» و يلتقط الفكر هذه الإشاره ليجمع بها خيوط معارفه، بلى. هو غيب كل شاهد، و باطن كل ظاهر، هو نور كل ظلام، و خالق كل مخلوق.

«هو» و كفى بذلك تذكره لمن كان له قلب، أو ليس فى القلب فطرته، و فى أغوار كل فؤاد أشعه من نور معرفته؟ و لكن ما هى أسماؤه الحسنى؟ أو لا: «الله» فهو الإله الحق، الذى اجتمعت فيه كل صفات الألوهيه، فأشرنا اليه ب(الألف و اللام) و قلنا: «الله» و لم نقل:

«إله» فهو الإله الحق الذى لا يحق لغيره ادعاء الألوهيه، و هكذا تكون الأسماء التالىه تفسيرا لاسم «الله» و بالذات الجمله التالىه له.

هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَا تُدْعَى بِأَلَاءِ هُوَ فَلَئِنْ سَأَلْتَهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَئِنْ سَأَلْتَهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

و تجلياتها؟ أولاً: إنه «الملك» يملك ناصيه القدره فى كل شىء، فلا حول لشىء و لا قوه له إلا به، و لا يقع حدث إلا فى دائره علمه و قدرته، و له مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.. تصور نمله صغيره فى غابه واسعته تنتقل فى ليله ظلماء من موقع لآخر، يعلم الله بسرها و هدفها، و حركه الروح بين أضلعها، و وساوس الشهوه فى قلبها، و انبعاث الغرائز فى نفسها.. يعلم كل ذلك و يحيط بها ملكوته.

إن الله يملك حركه الأشياء، و يملك ذاتها، فله ملكوت السموات و الأرض، تعالى ربنا و عظم ملكه.

انه ملك لا يزول ملكه، و لا تحدده الحدود الجغرافيه، و لا تقيده المعادلات الكونيه. هل سمعت قصه المأمون العباسى عند ما دنت منه الوفاه كيف أشرف على معسكره العريض، و تنفس الصعداء، و قال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه؟! هكذا قهر ربنا الجبار عباده بالموت و الفناء، حتى وضع الملوك على رقابهم نير العبوديه فهم من سطواته مشفقون، و من عزته خائفون.

ثانياً: للقدره حين تكون عند البشر سكرها، و سكر القدره أعظم من أى سكر، و حين تلعب برأس المقتدرين خمره القدره يفسقون عن حدود المشروع، و ينسابون فى الأرض انسياب الأفعى يزرعون السمّ و الموت، و قد قال ربنا سبحانه: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (١) و قال سبحانه: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢) و لكن ربنا سبحانه قدوس منزّه عن

ص: ٢٧٧

١- (١) العلق ٧/

٢- (٢) محمّد ٢٢/



الظلم و الحيف، و القدوس الطاهر، و سمي الدلو عند أهل الحجاز ب(القدس) لأنه يتطهر به. و لعل معنى القدوس: أنه سبحانه طاهر بذاته، و مطهر لغيره، كما نقول في قيوم: أن معناه القائم بذاته الذي تقوم به الأشياء.

ثالثاً: و من تجليات اسم القدوس أنه سلام، فهو لا يعتدى على أهل مملكته، و لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب، أما إذا التجأ إليه العبد فإنه يجد دار السلام، حيث يحيطه من فضله بسكينه في قلبه يمنحه بها سلامه من وساوس الشيطان، و سلامه من همزاته و دفعاته، و سلامه من الخوف و القلق و التردد، و سلامه من الحقد و الحسد و ظن السوء، و يحيطه من فضله بعافيه في حياته و سلام من الأخطار، إلا حسبما تقتضيه حكمته من ابتلائه و فتنته، و يرحيه من فضله بعاقبه حسنى، فيها كل أمنه و سلام.

و هكذا

جاء في الدعاء :

«اللهم أنت السلام، و منك السلام، و إليك يعود السلام».

رابعاً: و يشتق من السلام اسم «المؤمن» حيث يؤمن من التجأ إليه من شر نفسه و شر الشيطان و شر كل ذي شر هو آخذ بناصيته.

و لولا الأمان الذي وفره رب الرحمه و القدره لهذا الإنسان -و لكل الخلائق- كيف كان ينمو هذا المخلوق الضعيف عبر الأطوار المتلاحقه من حيث كان نطفه من منى يمنى، حتى خلقه فى رحم أمه علقه فمضغه فعظاما، حتى جعله خلقا سوياً، و الى أن أحاطه برعايه أمه و عنايه أبيه، و وفر له الحمايه بالحفظه الذين ساقهم بين يديه و من خلفه حتى قال ربنا سبحانه: **﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾** (1) و هذا أقرب معنى لكلمه «المؤمن»، و قد استشهدوا عليه بقول النابغه:

ص: ٢٧٨

و المؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل و السلم

اي قسما بالذى أعطى الأمان للطيور التى عاذت بالبيت الحرام فاذا بالحجيج يمسحون عليها بين غابات الشوك و كئبان الرمل.

و قال بعضهم: ان معنى «المؤمن»: انه سبحانه شهد أنه لا-إله الا-هو، و روى عن ابن عباس قوله: «إذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار، و أول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم: أنتم المسلمون و أنا السلام، و أنتم المؤمنون و أنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين» (١).

خامسا: و لكن هل يؤمن الناس من الشرور الا-المليك المقتدر الذى استوى على عرش القدره تماما؟ كذلك ربنا سبحانه فهو «المهيمن» الحفيظ الرقيب، الذى لا يضع عنده أحد.

و قد قالوا فى معنى «المهيمن» أنه الأمين، و قيل: الشاهد، و قيل: هو المؤمن فى المعنى، لأن أصل اللفظ المؤيمن، إلا أنه أشدّ مبالغه فى الصفه، و قيل: هو الرقيب على الشىء، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشىء» (٢).

و يبدو أن أصل معنى المهيمن المسيطر، و أنّ سائر المعانى مشتقه منه، فإن من سيطر كان رقيبا و شاهدا و حفيظا..

سادسا: و هيمنه الله على الخليقه بلا- معارض أنه يقهر و لا- يقهر، و يسأل و لا- يسأل، و يجير و لا يجار عليه، و هو المنيع الذى لا يرام، و هو شديد المحال.. و كل هذا ينبى عن عزته، و هى غايه الهيمنه. كما ان فى الهيمنه كما الإيمان.

ص: ٢٧٩

١- (١) مجمع البيان/ج ٩ ص ٢٦٧

٢- (٢) القرطبي/ج ١٨ ص ٤٧

و الايمان قمه السلام.

سابعاً: هل تريد ان ترى تجلياً لاسم «العزیز»؟ انظر الى جيروت الخالق، و كيف انه قهر خلقه بما ألزمهم من سننه، فهم لا يخرجون عن الحدّ الذى رسم لهم الا بما شاء، فلا يملك أحد يوم ولادته و لا ساعه وفاته، و لا ما قدر له من رزق، و لا ما سيّر عبره من قضاء.. انه الله «الجبار».

و «الجبار» اسم من الجبر، و هو القهر و السلطه، و إذا أطلق على عباد الله كان ذمّاً، لأن الحاكميه المطلقه لله، أما خلقه فخير صفاتهم الالتزام بحاكميه الله، اما إذا قهروا الناس فقد اعتدوا عليهم، و نازعوا الله سلطانه.

و قيل: ان معنى الجبار الذى يجير الكسير، و يبدو أن المعنى الأول أظهر.

ثامناً: و ليست صفه الجبار كامنه عند الله، و لكنها تتجلى فى تكبره حيث لا يدع أحدا يعتدى على سلطانه الا بقدر ما تقتضيه حكمه الابتلاء، فهو «المتكبر»، و لذلك

جاء فى الحديث القدسى المأثور عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): «الكبرياء ردائى، و العظمه إزارى، فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته، ثم قذفته فى النار» (١).

و

جاء فى حديث مأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: «و الكبرياء رداؤه فمن نازعه شيئاً من ذلك أكبه الله فى النار» (٢).

هذه هى أسماء الله التى لو تدبر فيها الإنسان و تفتح قلبه على نورها ازداد ايماناً بربه و عرفانا.

ص: ٢٨٠

١- (١) القرطبي/ج ١٨ ص ٤٧

٢- (٢) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٩٨

الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ فهل في خلقه أحد يمكن ان يدعى هذه الأسماء، حتى يكون شريكاً له في ملكه؟ كلا..

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هل أنبأت عن إله مثل رب العزه في أسمائه الحسنى يشرك به؟ كلا.. إنما هم مخلوقون مربوبون عاجزون محدودون فاني يذهبون؟! ترى بعضهم يعبد بقره، و الآخر يعبد طاغوتا، هو أقل شأنًا من البقره؟ و الثالث يعبد صنما أصم. أ فلا- يعقلون؟! حقا! ان الذين يشركون بربهم لا- يعرفون الله بأسمائه و صفاته، و لو عرفوا شيئاً منها لأدركوا تفاهه من يشركون به ربهم و سفاهه عقول من يشرك.

و

قد جاء في الأثر المروى عن الإمام علي (عليه السلام) في معنى و فضيله (سبحان الله) أنه سأل رجل عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين: ما تفسير (سبحان الله)؟ فقال: إنَّ في هذا الحائط رجلاً إذا كان سئلاً أنبأ، و إذا سكت ابتداءً، فدخل الرجل و إذا هو على بن أبي طالب، فقال: يا أبا الحسن! ما تفسير (سبحان الله)؟ قال: «هو تعظيم جلال الله عزَّ و جلَّ و تنزيهه عما قال فيه كل مشرك، فإذا قالها العبد صلَّى عليه كلَّ ملك» (١).

[٢٤] ذكرت الآيه المتقدمه بصفات الله، و يبدو أن هذه الآيه تذكر بأفعاله

ص: ٢٨١

الحميده، و تلك الأسماء المشتقه منها.

اولا: الخلق، و يبدو ان معناه صنع الأشياء بعد ابتداعها، و لذلك يمكن أن يسمى غير الله خالقا، و قد قال ربنا: **فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١)** و قال سبحانه: **وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ (٢)**.

ثانيا: و نحن إذ نصنع شيئا فانما نغير شيئا موجودا من صورته لأخرى، بينما ربنا سبحانه أنشأ الخلق انشاء، و ابتدعه ابتداعا، لا من شيء كان احتذى به، و يبدو أن هذا هو معنى «البارئ» حيث قال المفسرون: ان معناه المنشئ المبتدع، و بهذا صرح طائفه من اللغويين أيضا.

و قال بعضهم: إن أصل معنى برأ شوفى من مرض، ثم توسع ليشمل من يصنع شيئا بلا نقص أو عيب، و على هذا فان «البارئ» هنا الذى اتقن خلقه فلم يدع فيه ثغره أو فطورا.

ثالثا: و قد خلق الله الأشياء بعد ان ابدعها، و بعد أن قدرها تقديرا حسنا، و لعل هذا هو معنى «المصور» فقد قدر فى علم الغيب العالم بما شاء ثم أبداع ماده العالم لا من شيء، ثم خلقه و صنعه بأحسن الصنع سبحانه.

و قيل: ان التصوير هو التشكيل و التخطيط، و هو يتم بعد الإنشاء و الصنع، فيكون المعنى انه سبحانه أحسن صنع الأشياء، و أحسن صورها.

رابعا: ليست أسماء الله محدودده بهذه الكلمات على عظمتها، بل «**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**» جميعا. أ فليست الخلائق آياته؟ أو ليست آياته تجليات أسمائه، فهو نور

ص: ٢٨٢

١-١) المؤمنون ١٤/

٢-٢) المائدة ١١٠/

السموات و الأرض، و له المثل الأعلى؟! أو إذا نظرت الى آيه من آيات قدرته و عظمته و بهائه و جلاله فاتخذها وسيلة الى معرفه ربك، و ادعه بها لأن الذى تدعوه..

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَ

جاء فى الحديث المأثور عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): «اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ تَسْعَةٌ وَ تَسْعُونَ أَسْمَاءً مِنْ دَعَا اللَّهَ بِهَا اسْتَجَابَ لَهُ، وَ مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١) إِنَّ معرفه الله بأسمائه الحسنى تحصن الإنسان من الإلحاد فيها، و التنكب عن صراطه القويم، ذلك أن جهاله الإنسان، و وساوس الشيطان تدفعه نحو تقديس غير الله، أو اتباع الشركاء من دونه، مما يهلكه و يجعله من الخاسرين، و إنما النجاه عن ضلاله الشرك الظاهر و الخفى بتسبيح الله و تقديسه، و ذكر أسمائه الحسنى، فإذا عظم الخالق فى قلب الإنسان تلاشى عنه غيره. أو ليس النور نجاه من الظلام كذلك التوحيد نجاه من الشرك.

و حين نقدر -نحن البشر- ربنا العزيز فإننا ننسجم مع سنه العالم، فكل ما فى السموات و الأرض يسبح له، و هكذا تخدم سنن العالم من يسبح الله و يوحد، بينما الذى يشرك به يبقى وحده فيتخطفه الشيطان و يلقيه فى سواء الجحيم.

يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ هَكَذَا تَخْتَمُ السُّورَةُ بِتَسْبِيحِ اللَّهِ كَمَا افْتَتَحَتْ بِهِ، وَ بَيْنَ تِلْكَ الْفَاتِحَةِ وَ هَذِهِ

ص: ٢٨٣

الخاتمه رفعت آياتها الكريمة أهل البصائر الى آفاق المعرفة التي تتصل فيها معرفه المجتمع و ما فيه من صراع بين الكفر و الإيمان بمعرفه آفاق السموات و الأرض و ما فيها من أسماء الله الحسنی.

□  
و لهذه الآيات الثلاث الأخيره من سوره الحشر فضل كثير حسب النصوص المأثوره. أو ليست تهدينا الى أسماء الله الحسنی التي بها خلق ربنا سبحانه السموات و الأرض، و بها صلح أمر الأولين و الآخرين؟ تعالوا نستمع الى النبي (صلى الله عليه و آله) و الى أوصيائه (عليهم السلام) كيف يعظمون شأن هذه الأسماء، التي لو قرأها المرء بتدبر و وعى، و جعلها وسيله لدعاء ربه فانها تصنع الكرامات.

□  
□  
روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله انه قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، و قرأ الثلاث آيات من آخر الحشر، و كل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا، و من قال حين يمسي كان بتلك المنزله» (١).

و

□  
روى عن أبى هريره قال سألت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه و آله عن اسم الله الأعظم؟ فقال: «يا أبا هريره! عليك بآخر سوره الحشر فأكثر قراءتها، فأعدت عليه فأعاد علي، فأعدت عليه فأعاد علي» (٢).

و

□  
روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لعبد الله بن سنان: يا بن سنان! لا بأس بالرقيه و العوذ و النشره (٣) إذا كانت من القرآن، و من لم يشفه القرآن فلا شفاء له، و هل شىء أبلغ من هذه الأشياء من القرآن؟ أليس الله تعالى

ص: ٢٨٤

١-١) المصدر/ص ٢٩٣

٢-٢) القرطبي/ج ١٨ ص ٤٩

٣-٣) نور من الرقيه

يقول جل ذكره «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» (١).

وقد وردت نصوص كثيرة في الاستشفاء بهذه الآيات من مختلف الأمراض (٢) ويجدر بنا أن نستمع في خاتمه هذه السورة الكريمة إلى قلب نابض بالتوحيد، تنساب من ثناياه معرفه الرب، ذلك

□  
على بن أبي طالب (عليه السلام) الذي انعكست عليه آيات الكتاب حتى انغمست نفسه في بحار المعرفة فقال: «والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا».

□  
تعالوا نستمع إليه وهو يخطب في مسجد الكوفة فينبهر الناس من حسن صفته، فيقول: الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، لأنه كل يوم في شأن، من إحداث بديع لم يكن، الذي لم يولد فيكون في العزّ مشاركا، ولم يلد فيكون موروثا هالكا، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبعا ماثلا، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا، الذي ليست له في أوليته نهاية، ولا في آخريته حدّ ولا غايه، الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدّمه زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا بما ولا بمكان، الذي بطن من خفيات الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير، الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد ولا ببعض، بل وصفته بأفعاله، ودلت عليه بآياته، لا تستطيع عقول المتفكرين جحده، لأنّ من كانت السموات والأرض فطرته وما فيهن وما بينهن وهو الصانع لهن فلا مدفع لقدرة، الذي بان من الخلق فلا شيء كمثلته، الذي خلق الخلق لعبادته، وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بينه هلك من هلك، وعن بينه نجا من نجا، والله الفضل مبدءا ومعيدا، ثم إنّ الله -و له الحمد- افتتح الكتاب بالحمد

ص: ٢٨٥

١- (١) نور الثقلين / ج ٥ ص ٢٩٤

٢- (٢) راجع ذات المصدر / ص ٢٩٤-٢٩٥



لنفسه، و ختم أمر الدنيا و مجيء الآخرة بالحمد لنفسه، فقال: « وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

□

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسد، و المرتدى بالجلال بلا تمثيل، و المستوى على العرش بلا زوال، و المتعالى عن الخلق بلا تباعد، القريب منهم بلا ملامسه منه لهم، و ليس له حد ينتهى إلى حده، و لا له مثل فيعرف بمثله، ذلّ من تجبر عنه، و صغر من تكبر دونه، و تواضعت الأشياء لعظمته، و انقادت لسلطانه و عزّته، و كلت عن إدراكه ظروف العيون، و قصرت دون بلوغ صفتة أو هام الخلائق، الأول قبل كل شيء، و الآخر بعد كل شيء، و لا يعد له شيء، الظاهر على كل شيء بالقهر له، و المشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها، و لا تلمسه لامسه، و لا تحسه حاسه، و هو الذى فى السماء إله و فى الأرض إله و هو الحكيم العليم، أتقن ما أراد خلقه من الأشياء كلها بلا مثال سبق إليه، و لا لغوب دخل عليه فى خلق ما خلق لديه، ابتداءً ما أراد ابتداءه، و أنشأ ما أراد إنشاءه على ما أراد من الثقيلين (الجن و الانس) لتعرف بذلك ربوبيته، و يمكن فيهم طواعيته « (1).

ص: ٢٨٦

سوره الممتحنه

اشاره

ص: ۲۸۷



بسم الله الرحمن الرحيم

## فضل السوره:

في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال :

□

«من قرأ سورة الممتحنه في فرائضه و نوافله امتحن الله قلبه للإيمان، و نور له بصره، و لا يصيبه فقر أبدا و لا جنون في بدنه و لا في

ولده» نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٩٩

ص: ٢٨٩



□  
الصورة المثلى التى تبشّر بها رسالات الله لحضاره الإنسان فى المستقبل، هى صوره ذلك المجتمع المبدئى الذى يتعالى عن مؤثرات ماده السلبىه، ليسمو إلى أفق القيم الربانىه، آئذ تنصهر كل القوى فى بوتقه الوحى، بعيدا عن عصبىه الإقليم و القوم، و حزازات الطائفه و الطبقة و الحزب.

□  
و لكى تسعى البشرىه نحو تحقيق هذه الصوره المثلى فإنّ الوحى يصنع نموذجا بشريّا رائعا ممن يسميهم بحزب الله أو الأمه الشاهده و الصفوه الخالصه.. لكى تكون سيرتهم قدوه لغيرهم، و لكى يكونوا كما الدرع الواقيه تحيط بالأمه و تمنعها عن التمزق و التشرذم..

□  
□  
أ رأيت كيف جعل الله الجبال أوتادا للأرض تحميها من القواصف و العواصف و الهزات و الزلازل، كذلك حزب الله المنتشرين فى أوساط الأمه يمنعونهم من التقاتل تحت ضغوط المصالح و الأهواء، و عن الاختلاف و التمزق.

و يبدو أنّ سورة الممتحنه تربي في الأمه تجمّع حزب الله ثم الأمثل فالأمثل ممّن يتبع نهجهم و يقتدى بسيرتهم، و هكذا الخطاب يتوجه في فاتحتها الى المؤمنين لكي يتعدوا عن موده الكفار المعادين للرسول و لكم لأنكم قد تفرغتم للجهاد في سبيل الله، و لأنكم تبحثون عن مرضاته، و لأن الله يعلم سركم و نجواكم، و لأنّ هذه الموده ضلال عن الصراط السوي، و لأنهم قد يتظاهرون اليوم بالموده و لكنهم إن يأخذوكم يشبعونكم أذى بألستهم و أيديهم، و أخيراً: لأنهم لا يزيدونكم عند الله إلاّ خبالاً، هنالك إذ يتميّز المؤمنون عن الكافرين.

و لمزيد من التحريض على الكفار المعادين يرغّب الرب المؤمنين بالتأسي بإبراهيم -عليه السلام- و المؤمنين في عهده الذين تبرّأوا من قومهم الكافرين، و نابذوهم العدا، و توكلوا على الله.

□  
إنّ هذا الموقف الصلب قد يجعله الله سبحانه سبباً لانتصار المسلمين على الكفار أو لتحديدهم لا أقلّ مما يسمح للمؤمنين يومئذ بموده من يشاءون منهم لأنّ الله لا ينهي عن المبره إلى غير الأعداء من الكفار و القسط إليهم لأنّ الله يحب المقسطين.

و ينعطف السياق الى الحديث عن المهاجرات، ربما لأنّ المعروف التحاق المرأه بالرجل بينما صله الدين أقرب من علاقه الزوجيه، و هكذا كانت المرأه تترك زوجها للالتحاق بأبناء دينها، و لكن يأمر القرآن امتحانها، فإذا عرف منها الإيمان انفصلت عن زوجها، و من جهه ثانيه إذا آمن الرجل لم يجز له الإبقاء على زوجته الكافره.

و بعد بيان جملة أحكام تخص هذه المفارقه يبين القرآن بنود بيعه النساء، و أبرزها نبذ الشرك (و الذي يعنى نبذ كل حاكميه مخالفه لحاكميه الله)، و الأمانه في المال و العرض، و المحافظه على الأولاد، و التورع عن اتهام أحد (فيما يتصل ظاهراً

بالأمانة في النسب)، و الطاعه للقياده.

و في خاتمه السوره يذكّرنا الرب بضروره الطالعه للقياده الرشيده، و ينهى عن اتباع القيادات الضاله.

ص: ٢٩٣



## [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١ الى ٦]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَّقِفُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْـَٔطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَلَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَجَاتُكَ وَإِلَيْكَ آبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦)

## اللغه

٢[يتقفوكم]:في المفردات:أن التقف:الحذق في إدراك الشيء،و ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر، و في المصباح:ثقفت الشيء أخذته،و ثقفت الرجل في الحرب:

أدركته،و ثقفته:ظفرت به،و ثقفت الحديد فهمته.

٤[أسوه]:الاسوه بالضم أو الكسر:القدوه، و تأسيت به و اتسيت به:اقتديت، و زاد الراغب في مفرداته:وهي الحاله التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا و إن قبيحا، و إن سارا و إن ضارًا.

ص:٢٩٥

هدى من الآيات:

□  
لكى تتكامل نفس المؤمن، و تصفو من شوائب الشرك و الشك، و تتعالى عن المؤثرات الماديّه، و بالتالى لكى تتهيأ للقاء الله و نيل جنّاته و رضوانه، فإنّ عليه أن يجتاز بنجاح امتحان الولاء، و تتمخّص علاقته فى الإيمان، و قد يدعو ذلك إلى قطع و وشائج الولاء عن أقرب أرحامه فيقاوم تيار عواطفه الجياشه تجاههم، و يتحمّل مضاعفات العزله عنهم و ضغوط الحياه دونهم.

و ذلك من أصعب ما يتعرّض له الإنسان، و لكنّ القرآن يعالج ذلك علاجاً موضوعياً من شأنه تهوين الأمر فى نفوس المؤمنين، و دفعهم لخوض الامتحان بنجاح، ببيان الحقائق التاليه:

أولاً: إن الكفّار لا يوادّون المؤمنين أبداً، بل يكتنون ضدهم الحقد و العداًء، و إذا كانوا يتظاهرون بالموّدّه أحياناً فإنّما لأسباب و ظروف و مصالح، فحيث لا يجدون

القدره على إظهار العداة للمؤمنين الذين قويت شوكتهم يخفون كل ذلك، أما لو يظفرون بهم فإنهم، لا يزقون في مؤمن إلا و لا ذمة و أولئك هم المعتدون (١)، و دليل ذلك أنهم أخرجوا من قبل الرسول صلى الله عليه و آله و المؤمنين من مكة المكرمة، و استحلوا حرمتهم و أموالهم.

ثانيا: المهم عند المؤمن الآخره فعله أن يعمل في الدنيا ما ينفعه يوم القيامة، و ليس تنفعه تلك الولاءات شيئا، فلما ذا التثبت بها؟  
ثالثا: إن المقاطعة التي يفرضها الله على المؤمنين ليست أمرا مستحيلا، فهناك من عمل بها و هو نبي الله إبراهيم عليه السلام و المؤمنون معه، حيث ضربوا المثل الأعلى في البراءة من قومهم المشركين و من آلهتهم المزيفة، و في الكفر بهم، و إظهار العداوة و البغضاء ضدهم، و ما أروعها أسوه لكل مؤمن يرجو ربه، و يؤمن بالحياه الأخرى.

### بينات من الآيات:

[١]/ قالوا في شأن نزول الآية: «لقد كانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه و آله فصاروا إلى عيال حاطب بن أبي بلتعه، و كان قد أسلم و هاجر تاركا أهله بمكة -و سألوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسألونه عن خبر محمّد هل يريد أن يغزو مكة؟ فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك، فكتب إليهم حاطب: إن رسول الله صلى الله عليه و آله يريد ذلك، (و في روايه): من حاطب بن بلتعه إلى أهل مكة:

إن رسول الله يريدكم فخذوا حذرکم (٢) و

دفع الكتاب إلى امرأه تسمى صفية، و قيل: ساره مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام، و كانت قد أتت رسول الله صلى الله عليه و آله

ص: ٢٩٧

١- (١) التوبه ١٠ /

٢- (٢) مجمع البيان / ج ٩ - ص ٢٦٨

بعد بدر بستين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: أ مسلمه جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل والعشيره و الموالى، وقد ذهب موالى فاحتجت حاجه شديده فقدمت عليكم لتعطوني و تكسونى و تحملونى، قال: فأين أنت من شباب مَكَّة؟ -و كانت مغنيه نائحه- قالت: ما طلب منى بعد وقعه بدر أحد- حيث فجعوا بأبطالهم و أخذهم الحزن و الغم- فحث رسول الله صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب فكسوها و حملوها و أعطوها نفقه، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتجهز لفتح مَكَّة، و أتاه حاطب بن أبى بلتعه فكتب معها إلى أهل مَكَّة، و أعطاه عشرة دنانير، و قيل عشرة دراهم، و كساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مَكَّة» (١) فوضعتة فى قرونها و مرّت، فنزل جبرئيل على رسول الله و أخبره بذلك، فبعث رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام و الزبير بن العوّام فى طلبها، «و قيل: معهم عمّار، و عمر بن الزبير، و المقداد بن الأسود» (٢)، فلحقوها فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أين الكتاب؟ فقالت: ما معى شىء، ففتشوها فلم يجدوا معها شىء، فقال الزبير: ما نرى معها شىء، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: و الله ما كذبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، و لا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله على جبرئيل، و لا كذب جبرئيل على الله عزّ و جلّ ثناؤه، و الله لتظهرن الكتاب أو لأردن رأسك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: تنحيا عنى حتى أخرجنه، فأخرجت الكتاب من قرونها، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام و جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: و الله يا رسول الله ما نافقت، و لا غيّرت، و لا بدّلت، و إننى أشهد أن لا إله إلا الله، و أنّك رسول الله حقاً، و لكنّ أهلى و عيالى كتبوا إلى بحسن صنيع قريش إليهم فأحببت أن أجازى قريشا بحسن معاشهم- و فى روايه أخرى- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حملك على ما صنعت؟ فقال يا رسول الله! و الله ما كفرت مذ أسلمت، و لا غششتك مذ نصحتك،

ص: ٢٩٨

(١-١) المصدر بتصرّف طفيف

(٢-٢) المصدر

و لا أحببتهم مذ فارقتهم، و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكّه من يمنع عشيرته، و كنت عريرا (أى غريبا) و كان أهلى بين ظهرانيتهم فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا، و قد قلت: إن الله ينزل بهم بأسه، و إن كتابى لا- يغنى عنهم شيئا، فصدقه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عذره» (١) فأنزل الله عزّ و جلّ على رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢):

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَ الْوَلِيّ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُهُ الْإِنْسَانُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ بِحَبِّهِ وَصَلْتِهِ وَ طَاعَتِهِ، وَ إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ تَوَلَّى الْأَعْدَاءِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْكُفَّارِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَنْقُضُ تَوَلِّيَهُ عَزَّ وَ جَلَّ الَّذِي يَقْتَضِي الْبِرَّاءَةَ مِنْ أَعْدَائِهِ حَيْثُ لَا يَحْتَمِلُ الْقَلْبُ الْوَاحِدَ وَ الْإِثْنَيْنِ مُتَضَادِّينَ، قَالَ تَعَالَى لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (٣).

و لم يقتصر القرآن على بيان عداوه أولئك لله، بل أثبت عداوتهم للمؤمنين، مع أنّ المحور هو العداوه لله، و أنّ كلّ عدوّ له هو عدو للمؤمنين به، و ذلك ليؤكد عداوتهم العمليه و المباشره لهم، و التى تظهر فى مواقفهم السياسيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه من المؤمنين، كما إخراجهم الرسول (صلى الله عليه و آله) و المؤمنين من بلادهم و المشار إليه فى الآيات (١٨،٩)، فإنّ العدوّ لله عدو للمؤمنين، و لكنّه قد لا يجد سبيلا للتعبير عمليا عن عداوته لهم، إنّما يحفظها ظغائن فى صدره. و المؤمن قد يلقى بالموده للأعداء نتيجة العواطف أو الانهزام النفسى تجاههم، و سواء هذا أو ذاك

ص: ٢٩٩

١-١) تفسير القمى ج ٢ ص ٣٦١

٢-٢) المصدر ٣٦١

٣-٣) المجادله ٢٢/

فإنه نوع من الضعف النفسى الذى ينبغى التعالى عنه. و لعلّ الباء فى قوله «بالموده» جاء بمعناه الحقيقى على أن يكون المفعول لقوله: «تلقون» متروكا ليفيد الإطلاق، فلا يجوز إلقاء أى شىء بسبب الموده، فلا يجوز السلام بالموده، و لا الكلام بالموده، و لا التعاون بالموده، و لا أى شىء آخر بالموده، بلى. قد يجوز كل ذلك للضرورة أو المصلحه، و ليس بالحب و الموده، و الله العالم.

و لكن لماذا كل ذلك؟ للأسباب التاليه:

أولا: الصراع المبدئى بينكم و بينهم.

وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ فَهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْإِسْلَامِ وَ حَقِّهَا فِي الْوُجُودِ، لِأَنَّ الاعْتِرَافَ بِأَيِّ مَجْتَمَعٍ يَبْدَأُ مِنَ الاعْتِرَافِ بِقِيَمِهِ وَ مَبَادِئِهِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِمَا حِينَمَا كَفَرُوا بِالرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَ لَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْكُفْرِ يَنْطَوِي عَلَى التَّحْدِي وَ الْعِدَاءِ، بَلْ هُوَ اسْتِهْزَاءٌ بِمَقَدَّسَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَلْ يَصِحُّ بَعْدَئِذٍ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَادَّهُمْ؟ كَلَّا..

ثانيا: محاربتهم للقياده الرساليه و للمؤمنين، عداوه لله، و ترجمه عمليه لصراعهم مع الحق.

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْبَاطِلَ الَّذِي يَبْزُرُ وَجُودَهُمْ، وَ يُوصلُهُمْ إِلَى شَهَوَاتِهِمْ، وَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ لِمَحَارَبَتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَ لَيْسَ مَا تَعَكَّسَهُ وَسَائِلُ إِعْلَامِهِمْ مِنْ ضَلَالَاتٍ يَبْزُرُونَ بِهَا بَغْيَهُمْ وَ فِسَادَهُمْ، وَ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَبَادِرَ الظُّلْمَةُ إِلَى اعْتِقَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَ طَرْدِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ مَبَاشَرَةً، إِنَّمَا يَصْطَنَعُونَ أَجْوَاءَ الْكَيْتِ وَ الْإِرْهَابِ الَّتِي

تضطّهرهم إلى الهجره. و تسأل: لماذا يلجأ الظلمه على مرّ التاريخ لإخراج المؤمنين من بلادهم؟ و الجواب: لأنهم يخشون أن يستجيب المجتمع لمبادئهم الحقّه، و يتبع قيادتهم، و ينتمى إلى تجمّعهم، و بالتالى يصيرون بديلا عن أنظمتهم الفاسده، و قيادتهم. و لا ينبغي للمؤمن الذى يريد الله له العزه و بالذات من تعرّض لأذى الكفّار و الظلمه كالتهجير و الاعتقال أن ينسى جراحه، و يودّ عدوّه.

ثالثا: لأن موادّتهم نقيض لأهم قيمتين عند المؤمنين و هما الجهاد فى سبيل الله، و ابتغاء مرضاته. بلى. الجهاد لإعلاء كلمه الله، و تحرير البلاد و العباد من ربقه الجبت و الطاغوت هو صبغه العلاقه بين المؤمنين و أعداء الرساله، و هو بحاجه إلى الشده منهم، بينما حبّهم و توليهم يفرّغ الجهاد من هذه الروح، ثم لماذا موادّتهم و توليهم، هل لنيل رضاهم فإنّ ذلك لا يرضى الله عزّ و جلّ؟ لأنّ السبيل إلى رضاه باتجاه مناقض تماما لسبيل رضى أعدائه، كما تشير الآيه إلى ذلك فى نهايتها.

إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي وَ يَنْطَوِي هَذَا الْمَقْطَعُ عَلَى بَيَانٍ عَمِيقٍ لِمَعْنَى الْهَجْرَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مَفْهُومِ الْقُرْآنِ، حَيْثُ تَعْنَى الْانْقِطَاعُ التَّامُ عَنِ الْأَعْدَاءِ، وَ هَجْرَتُهُمْ مَادِيًا وَ مَعْنَوِيًا.

أو ليس مقياس المؤمن هو الدّين، يحبّ عليه، و يبغض عليه، حتى

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

«كُلٌّ مِنْ لَمْ يَحِبَّ عَلَى الدِّينِ، وَ لَمْ يَبْغُضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ» و حيث يريد الله أن يستخلص قلوب المؤمنين له و حده نهاهم بصوره غير مباشره حتى عن مجرد الموده الخفيه التى يلقونها إليهم بعيدا عن علم الآخرين، و ذلك ببيان



إحاطه علمه بها.

تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَ عِثَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ مَوَادَّ الْأَعْدَاءِ تُصِيرُ بِهِ إِلَى مَصْلَحَةٍ حَقِيقَةٍ فِي الدِّينِ أَوْ فِي الْآخِرَةِ، كَلَّا..

وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ يَعْنِي النَّهْجَ وَ الطَّرِيقَ السَّلِيمَ الَّذِي يُوَصِّلُ الْإِنْسَانَ إِلَى أَهْدَافِهِ وَ مَصَالِحِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي اتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَ تَوَلَّى أَوْلِيَائِهِ، وَ لَيْسَ فِي مَوَادِّ الْأَعْدَاءِ.

[٢-٤] / وَ يَبَيِّنُ الْقُرْآنُ كَيْفَ أَنْ مِنْ يُوَادُّ الْأَعْدَاءَ أَوْ يَتَوَلَّهُمْ يَضِلُّ سَوَاءَ السَّبِيلِ:

أولاً: لأن مودتهم لا تغير شيئاً من عدائهم المبدئي للمؤمنين و لدينهم، فلربما تظاهروا بحب المؤمنين و لكنهم يكتنون العداة لهم، و يستهدفون القضاء على الحقّ و أهله، فهم لو غلبوا المؤمنين إذا قوهم ألوان العذاب.

إِنَّ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَ الْآيَةُ تُوْحَىٰ بِأَنَّ الْكُفَّارَ يَسْعَوْنَ لِلتَّسَلُّطِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الظُّفْرَ بِهِمْ، وَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَظَاهَرُونَ بِقَبُولِ الْمَوَدَّةِ مَا دَامَ الْمُؤْمِنُونَ نَدَا لَهُمْ فِي الْقُوَّةِ أَوْ أَقْوَى مِنْهُمْ، أَمَّا لَوْ انْعَكَسَتِ الْمَوَازِينُ لِصَالِحِهِمْ فَلَنْ يَدْخُرُوا جِهْدًا فِي إِبْدَاءِ الْحَقِّدِ وَ الْعِدَاوَةِ.

وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ يَعْنِي بِالْوَانِ الْأَذَى الْمَادِي كَالْقِتَالِ وَ التَّنْكِيلِ، وَ الْمَعْنَى كَالْحَرْبِ الْإِعْلَامِيَّةِ،

وقد نزلت هذه الآيات فى المدينة بعد ما قويت شوكة المؤمنين، لذلك يفترض تعالى تمكن المشركين منهم افتراضاً، و يعزّز صدق قوله عزّ وجلّ أنّهم أخرجوا الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين منذ قبل من بلادهم مكة حيث كانوا أقوياء.

كما أنّ الأعداء لا يعترفون بأنّ المؤمنين أمّة مميّزه، بل تجدهم يسعون إلى إعادتهم إلى ربه الكفر.

وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ هكذا يكشف الوحى طبيعه الأعداء، ولعلنا نستفيد من الآية بأنّ موالات الكفار و مودتهم تنطوى على خطر عظيم قد يقع فيه من يفعل ذلك و هو الكفر بالله سبحانه.

ثانياً: ثم إنّ المؤمن الحق هو الذى يعتبر الإيمان بالآخرة و التفكير فيها حجر الزاوية فى سلوكه، و الصراط المستقيم «سواء السبيل» هو أن يقدم الإنسان على ما ينفعه فى الآخرة، و ليس ينفع المؤمن ولاؤه للكفار إذ تتلاشى يومئذ كل الروابط غير الإيمانية.

لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَكَيْفَ بِالْآخِرِينَ؟ و السبب أنّه لا تبقى صلة بين الناس لأنها متأسسه على الإيمان بالله و اليوم الآخر، أما الأخرى المصلحية و العاطفيه فهى محدوده بالدنيا و تنتهى عند حدودها.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَ هُنَا لَكَ يتضح الانفصال الحقيقى بين المؤمنين و الكافرين، و بين الأرحام

بعضها، و بين الآباء و الأولاد. و يحذّر الله من طرف خفى بأن المناوره لا- تنفع فى الالتفاف على أحكامه و حكومته، كأن يودّ المؤمن أحدا من الكفّار أو يتولّاه ثم يبرّر هذا الانحراف بأنه رحم أو ما أشبهه.

□ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ثالثاً: إنّ سواء السبيل هو خط الأنبياء و الذين آمنوا، و قد تبرّأوا من أعدائهم و عادوهم و بغضوهم لوجه الله، و قد ضرب أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) و المؤمنون معه المثل الأعلى فى هذا الجانب فأصبحوا خير أسوة على امتداد الزمن، فإنّهم لم يقطعوا جبل الموده و الولاء عن الأبعدين و حسب، بل قطعوها عن أقرب الناس إليهم و هم قومهم و أرحامهم و آباؤهم.

لقد كان إبراهيم يتيما يحتاج إلى الحمايه الاجتماعيه و الاقتصاديه، و لكنّه لم يخضع لعمّه آزر طمعا فى شىء من ذلك، بل مضى قدما على نهجه الحنيف، فلم يتحدّد الكفّار اعتمادا عليه و لا على قومه، بل تحدّى قومه بدءا من عمّه، و تحدّى كلّ الشرك بدءا من قومه، فأصبح أسوة المؤمنين، و هكذا تتحوّل حياه الأنبياء أسوة حسنه للأجيال المؤمنه من بعدهم، و يتعزّز دور إبراهيم (عليه السلام) و الذين معه كأسوة للمخاطبين بهذه السوره حينما ندرك ظرف نزولها فى المدينه حيث تحوّلت الأمه الناشئه إلى مجتمع مستقل، و ذى قوّه لا- يستهان بها، فإذا قسنا ذلك الظرف بما عاشه المؤمنون فى عهد إبراهيم كانت المسافه عريضه، حيث قاطع إبراهيم و المؤمنون معه تلك الفئه القليله المستضعفه مجتمع الشرك مقاطعه جذريه شامله، فكيف يزعم البعض من مؤمنى المدينه و من كان مثلهم أنّ مقاطعه الكفر غير ممكنه؟! كلاً..

أولئك أسوة لنا و حجّه علينا.

□ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

لماذا عبّر القرآن الحكيم بهذه الصيغة مع تأكيد على شخص إبراهيم، و كان من الممكن أن يقول تعالى: قد كانت لكم أسوه حسنه فى المؤمنين على عهد إبراهيم؟ ربما ليؤكد على دور القائد إبراهيم (عليه السلام) لأنه هو الأسوه أولاً و إنما المؤمنون أتباع له، و هذا تأكيد من قبل الله على الدور الريادى للإنسان الفرد فى التاريخ.

و هذا هو أبو الأنبياء و المؤمنون معه يعلنون موقفهم الحازم و الراسخ تجاره قومهم المشركين و ضد قيمهم الضاله، لم تشهم قلتهم، و لم تلجؤهم الضغوط إلى الركون و الخضوع لهم.

إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِذَا بُرَأُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ بِذَلِكَ تَحَدَّوْا الْأَشْخَاصَ وَ الْمَبَادِئَ مَعَا لَمَّا يَنْطَوِيَانِ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، و كم يكون الأمر صعباً و التحدى مكلفاً إذا كان المتبرّأون هم الأقلية الضئيلة، ذلك أن العزله عن الآخرين مكلفه حتى و لو كانت من الأَكثَرِيه للأقلية، فكيف بالعكس؟! بلى. إنهم أعلنوا البراءه من قومهم، و هجروهم، و اشتروا ألوان المحن بقيمه تحديهم، و صبروا على الحق، و هكذا ينبغى للإنسان الحر أن يختار طريقه، بعيداً عما يجد عليه قومه و مجتمعه، و بالذات المؤمن الذى يعتبر الحق هو المقياس الأول و الأخير. و لعلّ القول «إذ قالوا» لا يعنى مجرد الكلام، إنما يشمل كل ما من شأنه التعبير عن موقفهم و براءتهم مادياً و معنوياً، فلقد أعلنوا بكل الوسائل براءتهم منهم..

كَفَرْنَا بِكُمْ فَلَا تَوْمَنُ بِنَهْجِكُمْ فِى الْحَيَاةِ، و لا نتخذكم مقياساً لمعرفة الحقّ و الباطل، و الكفر

بالباطل هو الوجه الآخر لولاء الحق، وقد أكد الله ذلك في قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا (١)، و يجب أن لا- يكتفى المؤمنون بمجرد الكفر الباطن، إنما ينبغي ترجمه ذلك عملياً في واقع الحياة، كما كان إبراهيم (عليه السلام) و المؤمنون معه.

وَ بَدَأَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ هَذِهِ هِيَ الصُّورَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَ السَّلِيمَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهَا عِلَاقَةُ الْمَجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، مَثَلُهُ فِي إِعْلَانِ الْعَدَاءِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ، لَا تَقْطَعُ ذَلِكَ عَاطِفُهُ وَ لَا شَهْوَاهُ أَوْ مَصْلَحَتُهُ.

أَيْدَاءٌ بَلَى. إِذَا هَتَدَى الْمَشْرُكُونَ وَ الضَّالُّونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ، لَا يَبْقَى بَعْدَئِذٍ مَبَرِّرٌ لِمَوْقِفِ الْبِرَاءَةِ (الكفر، إظهار العداء و البغضاء)، ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَعَادِي أَحَدًا لِعَنْصَرِيَّةٍ أَوْ قَوْمِيَّةٍ أَوْ بِسَبَبِ أَحْقَادٍ مُتَوَارِثَةٍ أَوْ مَصَالِحٍ مُتَضَارِبَةٍ، إِنَّمَا تَقُودُهُ الْمَبَادِئُ فِي كُلِّ مَوَاقِفِهِ، وَ كَمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي صِفَتِهِ: «قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابُ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حُلَّ ثَقَلُهُ، وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزَلُهُ».

حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَ هَذَا الْمَقْطَعُ يَفْسِّرُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ فِي الْآيَةِ (٧): عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً بَأَنَّ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْأَعْدَاءِ تَكُونُ إِذَا آمَنَ أَوْلِيُّكَ وَ نَبَذُوا الْأَنْدَادَ وَ الضَّلَالَةَ أَوْ سَلَّمُوا لِقِيَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

ص: ٣٠٦

ثم يستثنى القرآن لقطه واحده من حياه إبراهيم (عليه السلام) يعالجها و يرفع ما حولها من غموض، فيقول:

إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَ لِهَذِهِ الْآيَةِ تفسيران:

الأول: بأن تكون هذه اللقطه من حياه إبراهيم (عليه السلام) مستثناه من عموم التأسى، فلا ينبغي لمؤمن أن يأتّم به فيها. قال بعضهم ذلك، و برّر بأحد الأمرين:

الأول: أنّ الله سبحانه قد خصّ بذلك إبراهيم (عليه السلام) و أمره به لأسباب يعلمها و لمدّه محدوده، كما أجاز لنيبه (صلى الله عليه و آله) الزواج بأكثر من أربع، حيث أنّ إبراهيم (عليه السلام) لم يقف عند حدود الوعد بل استغفر له، قال تعالى يحكى عنه: وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (١).

ثانيا: أو لأنّ القرآن يشير بعض الأحيان إلى التراجعات التي تحدث في حياه الأنبياء لكي لا يتحوّلوا إلى آلهه في نظر المؤمنين بهم و أتباعهم، بالذات و أنّ هناك سابقه في الاستغفار عند النبي نوح (عليه السلام) حيث قال: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ \* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَشْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

الثاني: التفسير الذي نختاره حيث نعتبر اللقطه مما يتأسى به في حياه إبراهيم (عليه السلام) و لكن الوحي استثنى لإلفات الأنظار الى هذه اللقطه و علاجها،

ص: ٣٠٧

بالذات و أن فهمها الخاطيء قد يجزّ المؤمنين إلى سلوكيات خاطئه في علاقتهم مع أعداء الله، كأن تكون مبرّرا لمواده الأرحام منهم و موالاتهم، فإنّ إبراهيم (عليه السلام) حينما وعد عمّه آزر بالاستغفار و استغفر له لم يكن قد أظهر عداوته لله، إنّما كان ظاهره الشرك الموروث، أو العداة الشخصى الموجه ضد إبراهيم (عليه السلام) نفسه، أو لعلّ آزر كان فى بيئه الحنفيه كما هى أسره إبراهيم (عليه السلام) و لكنّه أنهار أمام ضغط المجتمع، و صار إلى الشرك شيئا فشيئا حتى تمحض فى الضلال عن الحق و العداة لله و لإبراهيم (عليه السلام)، و إلا فالاستغفار للمشركين محذور حتى على الأنبياء، قال تعالى: **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** \* **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** (١).

من هذه الآيه يظهر أنّ الاستغفار له قبل أن يتبين موقفه النهائى جائز، و يتأول إلى طلب هدايته، كما

كان الرسول (صلى الله عليه و آله) يطلبها لقومه بقوله:

«اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»، أما إذا تبين موقف المشرك و أنّه قد أصبح من أصحاب النار بجحوده و إنكاره فإنّ الواجب يومئذ البراء منه بصراحه.

كما أنّ الاستغفار ليس بمعنى التّحتم على الله سبحانه حيث قال إبراهيم (عليه السلام):

**وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ و لم يكن إبراهيم (عليه السلام) و الذين معه أقوياء و أشداء، حتى لا تكون البراءه بالنسبه إليهم تحديا صعبا، إنّما كانوا فى غايه الضعف ماديا، و لذلك جأروا**

ص: ٣٠٨

إلى الله في لحظة البراءة، وأساسا الدعاء الحقيقي إنما ينطلق من الإنسان عند الإحساس العميق بالحاجة إلى العون.

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَالإِنَابَةَ هِيَ الرُّجُوعُ وَالاسْتِغْفَارُ، وَفِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرَكُونَ الضَّلَالَاتِ وَالْمَجْتَمَعَ الْفَاسِدَ إِلَى الْفِرَاقِ، إِنَّمَا إِلَى بَدِيلٍ إِجْبَابِي هُوَ الْهُدَى وَتَجْمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ تَبَرَّأُوا مِنْ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ لِيَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ يُوْحَى بِأَنَّ الَّذِي يَهْجُرُ مَجْتَمَعًا مَنحَرَفًا بِحَاجَتِهِ إِلَى التَّطَهُّرِ بِالتَّوْبَةِ إِلَى رَبِّهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَنَهْجِهِ الْقَوِيمِ فِي الْحَيَاةِ..

و بعد التوكل على الله و العوده إليه يجب على المؤمن أن يكمل ذلك بالتسليم المطلق لإرادته، و القبول بما يرضاه له.

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [٥] /و لكن لا يعنى ذلك أن لا يسأل المؤمنون ربهم السلامه.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَى مَوْضِعِ ابْتِلَائِكَ لَهُمْ، كِنَايَةٌ عَنْ أَذَاهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ إِذَا تَمَكَّنَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ عَذَّبُوهُمْ، وَأَظْهَرُوا تَجَاهَهُمْ عِدَاوَتَهُمْ لِلْحَقِّ، كَمَا صَنَعَ الظَّالِمَةُ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ.

و تبقى نفوس الصالحين تواقه إلى التوبه.

وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ



و هذا الوله إلى التوبه ينطلق من شعورهم بالتقصير فى جانب الله عزّ و جلّ، و عدم بلوغهم حدّ الإشباع فى التسليم له. و من الناحيه الواقعيه لا يضمن المؤمن عدم الوقوع فى الأخطاء مائه بالمئه، لذلك يجعل التوبه ذريعه لتصحيحها و اتقاء سلياتها.

أمّا نهايه الآيه فهى غايه فى أدب الدعاء حيث لا يصح أن يحتمّ الداعى على ربه ما يريد، إنّما يدع الإجابه رهن مشيئته، فإن شاء استجاب لهم بعزّته، و إن شاء لم يستجب لهم بحكمته، فإنّه قادر على نصره المؤمنين و منع الكافرين عن أذاهم بعزّته، كما أنّه قد يجعلهم فتنه للكافرين بحكمته. و ليس من تناقض بين حكمه الله و عزّته. و المؤمن الحقيقى هو الذى يسلم مصيره لربه مهما كان قضاؤه.

[٦] و فى خاتمه الدرس يؤكّد القرآن دعوته للإقتداء بإبراهيم (عليه السلام) و المؤمنين معه، ليكشف لنا أهميه التبرّى من المشركين، و ضروره الأسوه فى مسيره الإنسان المؤمن.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فليست المهم أن يختار الواحد أسوه فى الحياه و حسب، بل الأهم أن ينتقى أحسن الأسوات و سنامها ليقتدى بها، و إبراهيم و المؤمنون معه خير أسوه لمن أراد البراءه الحقيقيه من أعداء الله، و لكن دون التأسى بهم ألوان التحديات و المصاعب التى تحتاج مقاومتها إلى الإراده الصلبه و الاستقامه، و كلّ ذلك يستمدّه المؤمن من إيمانه برّبّه و بالجزاء.

لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ناصراً يتوكّل عليه، و ولينا ينب إليه.

وَ الْيَوْمَ الْآخِرِ حَيْثُ يَلْقَاهُ وَ عِنْدَهُ يَجِدُ رِضَاهُ وَ مَا يَرْضِيهِ مِنَ الْجَزَاءِ وَ الثَّوَابِ.

□  
وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

الْحَمِيدُ وَ فِي الْآيَةِ إِذْ نَادَى مَبْطِنٌ لِمَنْ يَتَوَلَّى بِأَنَّهُ الَّذِي يَخْسِرُ، وَ لَيْسَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ.

وَ كَلِمَةُ آخِرِهِ:

إِنَّ صِرَاعَ إِبْرَاهِيمَ مَعَ عَمِّهِ آزَرَ-وَ الَّذِي يَشِيرُ إِلَيْهِ الْوَحْيُ فِي بَعْضِ السُّورِ-لَمْ يَكُنْ صِرَاعًا شَخْصِيًّا بَيْنَ الْأَجْيَالِ، إِنَّمَا كَانَ صِرَاعَ الْمَبَادِيءِ، لِذَلِكَ نَجَدُ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يُوَدُّ بِحَمَلِهِ وَ قَلْبِهِ الْوَاسِعَ لَوْ يَرَى عَمَّهُ مُؤْمِنًا، وَ هَذِهِ مِنَ اللَّقَطَاتِ الْحَسَّاسَةِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

ص: ٣١١

اشاره

عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِمِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ أَجْرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَهُنَّ وَلَا هُنَّ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ أَوْلَاهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَ سَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقْتُمْ مَا أَنْفَقُوا وَ لَيْسَ لَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَّاقِبْتُمْ فَامْتَحِنُوا أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَ لَا يَسْرِقْنَ وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُّوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُّ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

اللغة

٩[ظاهروا]:عاونوا و عاضدوا،و في المنجد:ظاهر مظاهره و ظاهارا عاونه،و تظاهر القوم:تعاونوا،و منه قيل:تظاهر الناس تظاهره:أى اجتمعوا و خرجوا الى الشوارع متعاونين، يطالبون بأمر يريدونه،و الظهير:المساعد.

١٠ [عصم الكوافر]: لا- تمسكوا بنكاح الكافرات، و أصل العصمه المنع، و سمي النكاح عصمه لأن المنكوحه تكون في حبال الزوج و عصمته، و العاصم: المانع، و المعصوم: الممنوع من الخطأ و السهو و الزلل، و الله يعصم الرسول من أن يتناوله الكفار، و العصمه شبه السوار، و لذلك سمي السوار معصما.

ص: ٣١٣

### هدى من الآيات:

فى هذا الدرر ترسم الآيات الكرىمه المنهج السلىم للعلاقه بىن المؤمنىن و الكفار، و إنما قدّم الله التأكىد على ضروره المقاطعه، و التأسى بخليله إبراهيم (عليه السلام) لأنها الأصل، و هنا ينثنى السىاق لعلاج الموضوع فى بعض تشعباته الأخرى.

فبعد أن يؤمّل المؤمنىن الذىن صمدوا أمام الرغبه الجامحه فى تولى الكفار أو مودتهم، و صبروا على الضغوط المتواصله من قبلهم، يؤملهم بالعاقبه الحسنى، المتمثله فى تحطيم عناد الكفار على صخره الصمود فىنهزمون، و هنا لك ىسمح لهم بإقامه العلاقات الاعتياديه، ثم ىنهى عن اى لون من الولاء للمحاربىن منهم، سواء الذىن يحاربون مباشره، أو الآخرىن الذىن يعىنون على محاربه الحق و أهله، و يعدّ من يتولاهم ظالما. و فى الآتىن (الثامنه و التاسعه) دلالة واضحه حتى على

حرمه البر و الإقساط لهم. و الى جانب هذا التفريق بين الصنفين (المحاربين و المسالمين) هناك موقف واحد من قبل الإسلام تجاههما فى الحقل الاجتماعى و الأسرى، و بالتحديد فى موضوع هجره المؤمنات الى الإسلام و المجتمع المؤمن، فإنه لا يعتبر ولايه الزوج عقبه فى قبول هجرتهم إذا تبين منهن الصدق، بل و يحرم على المؤمنين إرجاعهن لأزواجهن الكفرة، و هذا لون من الحماية التشريعيه و الاجتماعيه، فإنه ليست للكافر الولايه على المؤمنه، كما لا يجوز للمؤمن أن يتزوج الكافره بالأصل أو بالردّه، و يبيح الدين الزواج من الكافرات إذا آمنَ لأن الإسلام يجب ما قبله.

و لكن لا تضيع فى هذا المجال الحقوق الماليه، إنما يحفظها الإسلام حتى للكفار حيث يقرر لكل ما أنفق. للكافر الذى أسلمت زوجته، و للمؤمن الذى كفرت زوجته، و ذلك شاهد عدل الله و حكمته.

### بينات من الآيات:

[٧] عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً أَى تتحول العلاقه بين الفريقين من العداة الى المودّه، إمّا بدخول أولئك الإسلام، أو بتحولهم من حاله المحاربه الى حاله السلم، فالإسلام اذن لا يحارب الكفار كعنصر إنما يحاربهم لموقفهم السلبى من الحق و أهله، و نهتدى من الآيه الكريمه الى فكرتين:

الأولى: أن السلام الذى ينشده الإسلام هو السلام المدعوم بالقوه و العزه، لذلك يدعو أتباعه لمقاطعه العدو و تحديه حتى يسلموا أو يستسلموا، ذلك لأن الخضوع له ليس سيلا الى الإسلام الحقيقى الدائم، و إنما المقاطعه التى تكشف عن العزه

الثانيه:أما كيف يتحول عداء الكفار الى موده للمؤمنين، فإن الإنسان حينما ينهز بقوه قاهره يتحسس بالود تجاهها،حتى لقد ثبت فى علم النفس الاجتماعى أنّ الشعوب المغلوبه تود القوى القاهره،و تقلدها فى الأفكار و السلوكيات فى الغالب،و حيث كانت القوه فى بادئ الأمر للكافر كان يخشى أن يميل المؤمنون إليهم بالموده ميلا،و بالذات لأنّ فيهم الأرحام و الأقارب،أما إذا تحول ميزان القوى لصالح المسلمين بالغلبه و القوه فإنّ الموده ترتجى أن تكون من قبل الكفار لهم،و لعل التعبير ب«منهم» يشير إلى ذلك.

و«عسى» هنا تفيد الرجاء القريب،مما يحيى روح الأمل بالله فى النفوس المؤمنه،و يلاحظ أنّ القرآن يعبر بعسى و لعلّ فى مواضع كثيره،دون أن يقطع و يحتم،مع أنّ كثيرا من الأمور هى واقعه فى علم الله،و ذلك يهدينا إلى أنّ الطبيعه ليست جامده،و إنما تخضع لأمرين:المشيئه الإلهيه،و إرادته الإنسان،و لم يحتم ربنا نصر المؤمنين،و تحول ميزان القوى لصالحهم فى المستقبل حتى لا يتواكلوا،أو ينتظروا الإراده الإلهيه تغير الأمور بوحدها.

□  
وَ اللَّهُ قَدِيرٌ عَلَىٰ صَنَعِ ذَلِكَ فَيَسْتَسْلِمُ الْمُشْرِكُونَ لِأَوْلِيَائِهِ أَوْ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ،فَتَعُودُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

□  
وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و من غريب ما قاله المفسرون فى هذه الآيه هو تأويلهم لها فى أبى سفيان،بأنه من المعنيين بقوله تعالى عَسَىٰ  
اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ،مع أنّ الآيات نزلت قبل

فتح مكة، قبل أن ينطق أبو سفيان بالشهادتين فكيف أصبح مصداقا للآية؟! [٨] ويحدد لنا القرآن الموقف المطلوب تجاه المسالمين من الكفار-الذين لا يحاربوننا ولا يؤذوننا-حيث يبيح التعامل معهم إنسانياً على أساس البر والقسط، فيقول:

لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ مُسَالِمُونَ، ويجمع المسلمين معهم إطار الإنسانيه، وهذا يعنى أن الإسلام دين السلام، فهو لا ينشد الحروب و العداوات بذاته، إنما دعوته للتبرى و المقاتله تكون موجهه ضد الكفار المحاربين، وقائمه على أساس موقفهم السلبي ضد الدين و أتباعه.

و البر عموم الإحسان، و منه التواصل، و تبادل الاحترام، و مقابله الإحسان بمثله، أما القسط فقد قيل: هو اقتطاع بعض المال و إعطائه لهم قرصاً أو غيره.

و الأظهر أنه العداله الظاهرية و الباطنه التي هي أسمى درجات العدل (١) و هذا الحكم الإلهي يبين كيف أن مجرد الكفر و اعتناق المبادئ المغايره للدين ليس وحده مبرراً لاستباحه حرمة الإنسان ماله و عرضه و نفسه، و فى نهايه الآيه يحث ربنا على الإقساط إذ يقول:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ و يريد للمؤمنين به أن يكونوا كذلك، و لعل قوله « يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » تخصيص للقسط بالذات على وجه الترجيح له على البر. و حيث يبيح ربنا هذا اللون من

ص: ٣١٧

---

١- (١) مر كلام مفصل حول العلاقه بين العدل و القسط فى سوره الحجرات.



العلاقة مع الكفار المسالمين فانه لا يفرض قييدا محددا على المؤمنين، وذلك يعنى أنهم (قياده، و مجتمعا) هم الذين يشخصون الموقف، وطبيعته العلاقة المطلوبه حسب متغيرات الواقع. وقد جاء فى الأثر: أن أسماء بنت أبى بكر سألت النبى (صلى الله عليه و آله): هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركه؟ قال: «نعم» (١) [٩] و يعود السياق ليؤكد الأمر بالمقاطعه و ينهى عن التولى:

إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ بِالْحِزْبِ مِنَ الْأَعْدَاءِ الْمَحَارِبِينَ، أَوْ إِعَانَتِهِمْ بِأَيْهِ صُورِهِ وَوَسِيلِهِ، فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ أَوْ تَبْرَّوهُمْ، وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَشَارِكُهُمْ فِي كُلِّ ظُلْمٍ يَصِلُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَ يَنَالُهُ الْعَذَابُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا احْتِسَابُهُ مِنَ الْجَبْهَةِ الْمَعَادِيهِ، وَ الْوُقُوفُ مِنْهُ كَمُوقِفِهِمْ مِنَ الظَّالِمِينَ أَنفُسَهُمْ.

أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَ بالمقارنه بين الآيتين (الثامنه و التاسعه) نتوصل إلى التالى:

١- إن إباحه البرّ و القسط تجاه غير المحاربين من الكفار، و عدم تعرض الآيه لذكر التولى لا يعنى أنه سائغ، كلاً.. إنما يعنى بأن حدّ الإباحه هو البرّ و القسط دون التولى.

٢- إن مجرد البرّ و الإقساط للكفار المحاربين محرم على المؤمنين، و لكن لماذا؟

ص: ٣١٨

أولاً: لأنّ القسط ليس ضروريا مع المحاربين، لأن دمهم و مالهم حلال. أو ليس يستحلون ذلك منا؟ و ثانياً: إنّ القسط هنا ليس بمعنى العدالة إنّما هو فوقها، و هو فى الحقوق يشبه الإيثار فى الأخلاق، و لذلك كان حكمه الإباحه «لا- ينهى» حتى مع المسالمين، بينهما العدالة فهى واجبه تجاههم (أى غير المحاربين) و مثل هذا التعامل غير مناسب مع المحاربين، حتى و لو كانت العدالة واجبه تجاههم فى بعض الجوانب.

[١٠] و يمضى بنا السياق شوطا آخر فى الحديث عن ضروره التمحض فى العلاقات الإيمانيه فيبين أنّ الصلات الزوجيه لا ينبغى أن تكون حاجزا دون الولاء الإيماني، لأنّه أسمى من كلّ علاقته، و هو يفصل بين المؤمنه و زوجها الكافر، كما يفصل بين المؤمن و زوجته الكافره، بالرغم من أن أكثر الناس يزعمون أنّ الزوجه تابعه لزوجها فى كل شىء حتى فى دينها و ولائها، بينما يؤكّد القرآن استقلالها فى القضايا المتصله بمصيرها، فلا- يحق لها أن تبقى رهينه إرادته الزوج الكافر لو اختارت الإسلام عن وعى و قناعه، و لا يجوز للمؤمنين أن يرفضوها أو يرجعوها إلى زوجها فإنها حرام عليه، إذ لا ولايه لكافر على مؤمن و لا على مؤمنه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ بِهَدَفٍ مَعْرِفَةٍ صَدَقَ نَوَايَاهُنَّ وَ خُلُوصِهَا عَنْ أَى هَدَفٍ مَادى، كأن تكون الواحده قد هاجرت هربا من العصمه الزوجيه أو طمعا فى مؤمن، و تأتي أهميه الامتحان من أنّ المجتمع المؤمن ينبغى أن ينتقى أفراده انتقاء، و بالذات عند ما يواجه التجمع الإيماني محاولات التسلل و الاختراق من قبل أعداء الدين، أمّا كيفيه الامتحان فإنّ القرآن لا يحددها، بل يترك الأمر للمؤمنين أنفسهم يجتهدون على

أساس معطيات الظروف، ولكن يجب أن لا يدفعهم ذلك إلى الظنّ السيء، أو التمتع من قبول انتماء الآخرين إلى صف المجتمع المؤمن بحجه الخوف من الاختراق ممّا يسبّب في حالة الانطواء و الانغلاق، فإنّ الشخصيه الواقعيه للناس لا يعلمها إلاّ الله.

اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ فَإِنَّهُنَّ إِذَا خَدَعْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَنْ يَخْدَعَنَّ اللَّهُ، وهكذا يجب أن يأخذون الامتحان الالهي بعين الإعتبار، وربما ظنّ الواحده منهن أنّها قادره على اللعب على المؤمنين فهل تفلت من عداله الله أيضا؟ كلاً.. وإنما يجب على المؤمنين الاجتهاد و الحكم على أساس المعطيات العلميه الممكنه.

أما عن كيفية امتحان الرسول لهم فقد جاء في مجمع البيان: قال ابن عباس:

صالح رسول الله صلى الله عليه و آله بالحديبيه مشركى مكه على أنّ من أتاه من أهل مكه رده عليهم، و من أتى أهل مكه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله فهو لهم و لم يردوه عليهم، و كتبوا بذلك كتابا و ختموا عليه، فجاءت سبيعه بنت الحارث الأسلميه مسلمه بعد الفراغ من الكتاب، و النبي صلى الله عليه و آله بالحديبيه، فجاء زوجها مسافر من بنى مخزوم، و قال قاتل: هو صيفى بن الواهب فى طلبها و كان كافرا، فقال: يا محمد اردد عليّ امرأتى فإنّك شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منا، و هذه طينه الكتاب لم تجف بعد، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ جِرَاتٍ مِنَ الدَّارِ الْكُفْرِ إِلَى الدَّارِ الْإِسْلَامِ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ﴾، قال ابن عباس: امتحانهن ان يستحلفن ما خرجت من بغض زوج، و لا رغبه عن أرض إلى أرض، و لا التماس دنيا انما خرجت حبا لله و لرسوله فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه و آله ما خرجت بغضا لزوجها و لا عشقا لرجل منا، و ما خرجت الا رغبه فى الإسلام، فحلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك، فأعطى

رسول الله صلى الله عليه وآله زوجها مهرها و ما أنفق عليها و لم يزدها عليه، فتزوجها عمر بن الخطاب، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرد من جاء من الرجال و يحبس من جاء من النساء إذا امتحن و يعطى أزواجهن مهورهن. قال الجبائي: لم يدخل في شرط صلح الحديدية الا- رد الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر، و ان أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء أخوها الى المدينة و سألا رسول الله صلى الله عليه وآله ردها عليهما،

فقال صلى الله عليه وآله : ان الشرط بيننا في الرجال لا في النساء، فلم يردها عليهما، قال الجبائي: و انما لم يجر هذا الشرط في النساء لان المرأة إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر، فكيف ترد عليه و قد وقعت الفرقة بينهما؟ (١).

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ بَعْدَ الْامْتِحَانِ فَحِينَئِذٍ لَا يَجُوزُ رُدُّهُنَّ لِأَنَّهُ لَا مَبْرَرَ لَذَلِكَ، وَ لِأَنَّ الْمَجْتَمَعَ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ حَكْرًا عَلَى أَحَدٍ دُونَ أَحَدٍ.

فَلَا تَزَجُّوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنَّ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَ لَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ السُّؤَالُ: لِمَاذَا ذَكَرَ الْحَرَمَةَ مِنَ الطَّرْفَيْنِ مَعَ أَنَّ نَفِيهَا مِنْ جِهَةٍ قَدْ يَفِيدُ نَفِيهَا مِنَ الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ؟ وَ الْجَوَابُ: لَعَلَّ الْحَلِّيَّ هُنَا بِمَعْنَاهَا الْأَوَّلِ وَ هُوَ الْإِنْسِجَامُ الَّذِي يَعْتَبَرُ هَدْفًا وَ شَرْطًا أُسَاسِيًّا فِي الزَّوْجِ، وَ مَرَادُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَأْكِيدَ انْعِدَامِهِ لَيْسَ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ بِحَيْثُ يُمْكِنُ عِلَاجُهُ وَ الصَّبْرُ عَلَيْهِ، بَلْ مِنَ الطَّرْفَيْنِ مَعًا لِأَنَّ يُمْكِنَ عِلَاجَهُ أَبَدًا.

و حيث تبين المؤمنه من زوجها الكافر يتحمل المؤمنون إعطاءه ما أنفق عليها،

ص: ٣٢١

لأنَّ المهر ليس موضوعاً للوطأ الأوَّل بل للعلاقه المستمره الدائمه، وحيث خسرها بغير إرادته يجب أن يعوّض، و لعل التعويض منصرف للكافر غير المحارب، أو في حال الهدنه، وهذا من صميم العدالة في الإسلام. و في إيتاء الكفار ما أنفقوا قيمه معنويه هي أن لا تبقى لكافر يد على مؤمن أو مؤمنه.

و تعويض الزوج الكافر يتحملة بيت مال المسلمين، و لذلك جاء الخطاب موجّها للمؤمنين عامه، و هو يحلل المرأه المؤمنه من زوجها الكافر فقط، و ليس يجعلها حلاً للمؤمنين إلا إذا أعطوا لها المهر.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ كَمَا تَحْرِمُ الْمُؤْمِنَةَ عَلَى الْكَافِرِ كَذَلِكَ تَحْرِمُ الْكَافِرَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِ، سواء بالأصالة أو بالرده لما في ذلك من اثار سلبيه على حياه المؤمن و تربيته الأولاد... إلخ.

وَلَا تُمَسِّكُوا بَعْضَ الْكُوفِرِ وَ الْفُقَهَاءُ اسْتَفَادُوا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ حِكْمًا قَاطِعًا بِحَرْمِهِ الزَّوْجِ مِنَ الْكَافِرَةِ، أو الاستمرار في الزواج عند إسلام الزوج دون زوجته. و قد طلق المسلمون زوجاتهم المشركات بعد نزول الآيه، و جاء في التاريخ أن عمر بن الخطاب طلق بعد نزول الآيه امرأتين له كانتا في مكه مشركتين، إحداهما قريبه بنت أبي أميه، فتزوجها معاويه بن أبي سفيان و هما على شركهما بمكه، و أم كلثوم بنت عمر الخزاعيه (1)، و هكذا تنفصم العصمه التي كانت بينهما، لأنَّ عصمه الإسلام من عصمه النكاح.

ص: ٣٢٢

و السؤال: هل الآيه تشمل أهل الكتاب فتكون ناسخه للآيه التي نزلت في سورة المائدة، و هي قوله سبحانه أَلْجَلْ لَكُمْ  
الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ جَلْ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ جَلْ لَهُمْ وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ.؟ قال بعضهم: بلى، و استدلوا ببعض الأحاديث المأثوره عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، و أبرزها الحديث  
الموثق التالي

المأثور عن ابن الجهم قال: قال لى أبو الحسن الرضا (عليه السلام): يا أبا محمد ما تقول فى رجل يتزوج نصرانيه على  
مسلمه؟ قلت: جعلت فداك و ما قولى بين يديك؟ قال: لتقولن فإن ذلك تعلم به قولى، قلت: لا يجوز تزويج نصرانيه على مسلمه و  
لا على غير مسلمه، قال: و لم؟ قلت: لقول الله عزّ و جل: وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ.. إلخ، قال: فما تقول فى هذه الآيه: وَ الْمُحْصِنَاتُ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ؟ قلت: قوله: و لا تنكحوا المشركات نسخت هذه الآيه، فتبسم ثم سكت..

و هناك روايات أخرى مشابهه، و فى كثير منها الإشارة إلى أنّ آيه الممتحنه قد نسخت آيه المائدة، مما جعل العلامة الشيخ  
حسن النجفى-صاحب موسوعه الجواهر- يجد مأخذا عليها بقوله: إنّ التحقيق الجواز مطلقا (أى جواز نكاح أهل الكتاب بصفه  
مطلقه) وفاقا للحسن و الصدوقين على كراهيه متفاوته فى الشده و الضعف. و أضاف: كما أومأت إلى ذلك كلّ النصوص التى  
ستسمعها: لقوله تعالى: وَ الْمُحْصِنَاتُ.. الى آخرها التى هى من سورة المائدة المشهوره (فى) أنّها محكمه لا نسخ فيها..

و ساق طائفه من النصوص التى تدل على أنّ هذه السوره هى آخر سوره نزلت

و هي محكمة لا نسخ فيها، منها

حديث مأثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إنَّ سورة المائدة آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها و حرّموا حرامها» (١).

ثم ساق طائفة كبيرة من النصوص عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و استدلت بها على أنّ نكاح أهل الكتاب جائز و لكنه يصبح مرغوبا عنه و مكروها في حالات معينة، مثل

صحيح ابن وهب المروى في الكافي و الغنية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الرجل المؤمن يتزوج النصرانية و اليهودية، قال: إذا أصحاب المسلمه فما يصنع باليهودية و النصرانية؟ فقلت: يكون له فيها الهوى؟ فقال: إن فعل فليمنعها من شرب الخمر، و أكل لحم الخنزير، و اعلم أنّ عليه في دينه في تزويجه إيّاها غضاضة (٢) و يبدو من هذه الرواية تأويله سائر الروايات على الكراهية، لا الحرمة.

و كما يلزم الإسلام المؤمنين بإتداء الكفار ما أنفقوا على زوجاتهم اللاتي آمننّ فإنه يعطى للمؤمنين الحق في المطالبة بما أنفقوا على زوجاتهم اللواتي يكفرن.

و شِئْلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ و ما دام ذلك حكم الله و ليس حكم أحد من البشر فهو يجب التقيد به تقيدا توفيقيا، فكيف و قد وضعه الله العليم الحكيم و رب العالمين، و لا ينبغي أن يدفعكم بغضكم للمشركين و عداؤكم المبدئي إلى تجاوز حقوقهم العادله.

[١١] وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا

ص: ٣٢٤

١- (١) المصدر/ص ٣٠ نقلا عن كتب الحديث و منها الدر المنثور/ج ٢ ص ٢٥٢

٢- (٢) المصدر/ص ٣٦

و لهذه الآيه تفسيرات ثلاث:

الأول: إذا تركت زوجاتكم دار الإسلام إلى دار الكفر، وأعقبتم الكفار بغزوه بعد أخرى حتى هزمتهم و غنمتم منهم الغنائم، فأعطوا الذين تركتهم زوجاتهم من الغنائم، وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين.

الثاني: إذا «فاتكم» أي لم يعطكم الكفار ما أنفقتم على زوجاتكم اللاتي كفرن، فخسرتم ذلك، و عاملتموهم كما عاملوكم عقابا لهم فلم تسلموا لهم ما أنفقوا على زوجاتهم اللاتي هاجرن و آمنن، فليس ذلك مسقطا للمسؤوليه تجاه الذين فاتت زوجاتهم، بل يجب عليكم أن تعطوهم ما أنفقوا عليهن من مال المسلمين.

الثالث: إن معنى التعاقب «فعاقتهم» أراد الذي فاتت زوجته النكاح مجددا، و في ذلك

جاء الحديث المأثور عن الإمام الباقر و الإمام الصادق (عليهما السلام) فيما رواه يونس عن أصحابه، قال: قلت: رجل لحقت امرأته بالكفار و قد قال الله عز و جل في كتابه: **وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا** ما معنى العقوبه هاهنا؟ قال: إن الذي ذهب امرأته فعاقب على امرأه أخرى غيرها يعنى تزويجها، فإذا هو تزوج امرأه أخرى غيرها فعلى الإمام أن يعطيه مهر امرأته الذاهبه، فسألته: فكيف صار المؤمنون يردون على زوجها المهر بغير فعل منهم فى ذهابها، و على المؤمنين أن يردوا على زوجها ما أنفق عليها مما يصيب المؤمنين؟ قال: «يرد الإمام عليه أصابوا أو لم يصيبوا، لأن على الإمام أن يجبر حاحه من تحت يده» (1).

ص: ٣٢٥



و سواء كان معنى (عاقبتهم) حصلتم على الغنيمه عبر تعاقب الحرب مع الكفار، أو التقاصى من الكفار و عدم اعطائهم المهر، عقابا لهم لأنهم لم يدفعوا المهر، أو إرادته الزواج المجدد (زواجه الأول)، أقول: سواء كان المعنى واحدا من الثلاث فإن الذى فاتته زوجته إلى الكفار يحصل على مهره من بيت المال، وقد نقل المفسرون أن النبى دفع لسته من المسلمين مهر أزواجهن اللاتى فانن إلى الكفار (١).

وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ مَنْ أَنْ يَدْعَى أَحَدٌ بِأَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى زَوْجَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقَ بِالْفِعْلِ لِكِي يَسْتَعْلِ هَذَا الْقَانُونَ اسْتِغْلَالًا سَلْبِيًا، أَوْ أَنْ يَسْتَهِينِ النِّسَاءَ بِحَقِّهِمْ مَا أَنْفَقُوا، كَمَا يَأْتِي التَّأْكِيدُ عَلَى التَّقْوَى بِاعْتِبَارِهِ الْمُرْتَكِزَ فِي التَّكَاثُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فَكَلَّمَا كَانَتِ التَّقْوَى عَمِيقَةً كَلَّمَا أَصْبَحَ التَّكَاثُلُ أَكْثَرَ وَأَعْمَقَ.

[١٢] و فى سياق حديث السوره عن الولاء و عن أن الولاء المبدئى أعظم من الولاء للزوج أو الأرحام يبين السياق استقلاليه المرأه فى مبايعتها و اختيارها للقياده، فهى ليس كما يتصور بعض الرجال أو كما تظن بعض النساء تابعه للرجل فى كل شىء، كلاً..إنها يحق لها بل يجب عليها أن تختار قيادتها بنفسها، و أن تظهر الولاء و تنشئ عقد الطاعه بينها و بين قيادتها، و هنا تشير الآيه إلى أهم مفردات عقد البيعه مع القياده الرساليه من قبل المرأه، و الواجب التزامها بها.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا

ص: ٣٢٦

فلا يخضعن لسياده غير سياده الإلهيه بالتسليم المطلق للأزواج و الأقارب، إنما يجب أن يخلصن الولاء و الطاعه للقياده الرساليه وحدها، وهذا هو أصل الولاء، و هو التجلّي الحقيقي للتوحيد في حياه الفرد، و لعل هذه البصيره تهدينا إلى ضروره مشاركته المرأه في الحقل السياسى انطلاقا من واجبهما في إقامة حكم الله، و مناهضه قوى الشرك و الضلال، و عليها أن تنتخب الولي الشرعى بمحض إرادتها و كامل حريتها.

□  
وَ لَا يَسْرِقَنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَجْتَمَعِ.

□  
وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَعَلَّ هَذِينَ الشَّرْطِينَ مَوْجِهِينَ بِالْخُصُوصِ لِلْمِهَاجِرَاتِ اللَّائِي تَرَكْنَ أَزْوَاجَهُنَّ، لِأَنَّهُنَّ فَقَدْنَ الْمُنْفِقَ فَقَدْ تَدْعُوهُنَّ الْحَاجَةُ إِلَى السَّرْقَةِ، أَوْ تَضْطَرُّهُنَّ شَهْوَةُ الْجِنْسِ إِلَى الزَّانَا، بَيْنَمَا الْآيَةُ بَلْفِظِهَا مُطْلَقَةٌ تَشْمَلُ كُلَّ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ.

□  
وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ مَعْنَوِيًّا وَ لَا مَادِّيًّا، وَ لَعَلَّ الْإِجْهَاضَ مِنْ مَفْرَدَاتِ الْقَتْلِ الْمُنْصَرَفَةِ إِلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ.

□  
وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ هَاتَانِ الْمَفْرَدَتَانِ تَتَصْلَانِ بِمَوْضِعِ الزَّانَا اتِّصَالًا مُبَاشِرًا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ الَّتِي تَتَوَرَّطُ بِالْحَمْلِ تَجِدُ نَفْسَهَا أَمَامَ خِيَارَيْنِ: فَأَمَّا تَتَخَلَّصُ مِنْ عَارِ الزَّانَا بِقَتْلِ حَمْلِهَا، أَوْ تَرْمِي بِهِ أَحَدًا بِأَنَّهُ اغْتَصَبَهَا، وَ لَعَلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ (السَّرْقَةُ، وَ الزَّانَا، وَ إِتْيَانِ الْبُهْتَانِ) مِمَّا

عرفت به المرأة في الجاهلية، كما أنّها بصورة عامه من أبرز المفردات الخلقية والسلوكية التي يمكن أن تتورط فيها المرأة، وبالذات البهتان، فإنّ موقع المرأة الحساس في المجتمع المسلم يجعلها أمضى أثرا في النيل من شخصيات الآخرين و أعراضهم، كما أنّها مرهفة الإحساس فقد تظن السوء في رجل نظر إليها من غير قصد.

وقد أجمع أشهر المفسرين على أنّ المقصود هو الحمل باعتباره يقع بين اليدين والرجلين، وبينهما ينشأ ويرتضع.

□ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ بَلْ يَسْلَمْنَ تَسْلِيمًا مَطْلَقًا لِلْقِيَادَةِ الرَّسَالِيَّةِ، بِاعْتِبَارِهَا السُّلْطَةَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْوَلِيَّ الْأَكْبَرَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَجْعَلَ لِأَحَدٍ مَهْمًا كَانَ (زوجها أو أبوها أو أخوها) ولا يه فوق ولا يه قيادتها، أو أن تعصياها ولو في معروف واحد.

والمعروف هو عموم الواجبات والخيرات،

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام :

هو ما فرض الله عليهن من الصلاة والزكاة، وما أمرهن به من خير (1)، ولعلنا نستشفّ من قوله «في معروف» أنّ الولاية الحقيقية للقيادته واقعه في حدود ولاية الله، فلو أنّها -جدلا- أمرت بغير المعروف لا يجوز اتباعها، بل يكون عصيانها هو الأولى، وهذا الأمر محتمل في غير القيادات المعصومة.

وهذه المفردات التي يفرضها الإسلام شروطا للبيعه مع القيادته الرسالية تظهر اهتمام الدين بالمرأة، باعتبار أن صلاح المجتمع متأسس على صلاحها. وإذا قبلت المؤمنات تلك الشروط والتزمن بها هنا لك تباعهن القيادته.

ص: ٣٢٨

فَلْيَايِعُهُنَّ وَاسْتِغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ واستغفار الرسول لهنّ الأخطاء السابقة و الجانيه التي قد يتورطن فيها، و هذه الآيه تعطى المعنى الحقيقى للهجره بأنه ليس مجرد الانتقال من مجتمع إلى آخر صالح، أو الانفصال المادى عن المجتمع الضال، إنما هو التطهر من السلوكيات المنحرفه التي كانت سائده على المجتمع الضال، كالسرقة و الزنا و البهتان و..و.

التي تعرضت الآيه لذكر أهمها.

[١٣] و فى ختام السوره يؤكد ربنا أمره بمقاطعه أعداء الله فيقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ إِنَّ مَحُورَ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ هُوَ رِضَى اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، فَهُوَ لَا يَضَعُ وِلَاءَهُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ، أَمَّا الَّذِينَ يَسْخَطُونَ اللَّهَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنَ الظَّالِمِينَ فَإِنَّهُ بَرَاءٌ مِنْهُمْ. وَ قَدْ تَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ الْمَفْسِّرِينَ فِي بَيَانِ هَوِيَّةِ الْمُعْتَبِينَ بِ «غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ الْيَهُودُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ وَ مَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِهَا وَ تَأْوِيلِهَا مِنَ الْأَخْبَارِ، وَ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمْ كُلٌّ مِنْ يَعْمَلُ مَا يَسْتَحِقُّ غَضَبَ اللَّهِ، وَ لَعَلَّهُمْ أَنَاسٌ مِنْ دَاخِلِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ كَالْمُنَافِقِينَ وَ الْحُكَّامِ الظَّالِمِينَ وَ الْعُلَمَاءِ الْفَسَّاقِينَ، وَ تَشْبِيهِ اللَّهِ لَهُمْ بِالْكَفَّارِ يَهْدِي إِلَى أَنَّهُمْ غَيْرُ الْكَفَّارِ بَلْ هُمُ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ السَّيْطِرَةَ عَلَى مَقَالِيدِ الْحُكْمِ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَيْرِ حَقِّ!

ص: ٣٢٩



سوره الصف

اشاره

ص: ۳۳۱



بسم الله الرحمن الرحيم

## فضل السوره:

فى كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبى جعفر-عليه السلام-قال: «من قرأ سورة الصف و أدمن قراءتها فى فرائضه و نوافله صفّه الله مع ملائكته و أنبيائه المرسلين» نور الثقلين/ج ٥ ص ٣٠٩

ص: ٣٣٣





ما هي صبغه التحرك الرسالي و استراتيجيته؟ نستلهم من سورة الصف خمس بصائر هي تحدد لنا ذلك:

أولاً: إنّ الحركة الرسالية ربّانية الصبغه كما قال ربنا سبحانه « صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً »، و لذلك فهي لا تخضع لأطر عنصرية أو إقليمية أو حزبية، إنّما تتسامى إلى حيث المؤمنون كالجسد الواحد، يشدّ بعضهم بعضاً.

و هذه الصبغه تتجلّى في تسيح الله تعالى في فاتحه السوره، فكلّ ما في السماوات و الأرض يسبح الله وحده فهو وحده القدوس، أمّا غيره فيستمد قداسته و شرعيته منه و بقدر قربيه منه و من قيم الوحي.

ثانياً: انعدام المسافه بين النظرية و التطبيق، بين القول و الفعل، لأنّ هذه هي مسافه المقت و الفضل، و ثغره يتسرب منها النفاق إلى ضمير الحركة، كما يتسلّل منها العدو إلى كيانها.

ثالثا:الوحده فى الظاهر و الباطن، كما البنان المرصوص، لا ترى فىه فطورا يذهب بصلابته، و لا خدشا ظاهرا يجعل العدو يطمع فى هدمه.

رابعا:التسليم للقيادة الإلهيه المتمثله فى رسول الله و أوصيائه -عليه و عليهم سلام الله- باعتبارها وسيله إلى الله، و محور لوحده عباده المؤمنين.

خامسا:الجهاد فى سبيل الله باعتباره يمثّل حاله التحدى الشجاع لأعداء الرساله.

و لعلّ الجهاد محور هذه السوره التى سميت لذلك بالصف، و لكنّ الحديث عنه يدور حول ثلاثه محاور:

ألف/ أن يكون الجهاد تحت رايه القيادة و بصفّ مرصوص. و هذا أهم المحاور الثلاث.

باء/ إنّ الله يظهر دينه على الدّين كلّّه، ممّا يعطى المجاهدين الأمل، و يزوّدهم بروح النصر، كما يرسم لهم استراتيجيات المستقبل و ألا يكون الجهاد ذا أهداف محدوده.

جيم/ التحريض على الجهاد بما يوحى إلى ضروره التفوّغ له حتى تتم الصفقه الرابعه بين العبد و ربّه.





**بَيِّنَاتٌ مِنَ الْآيَاتِ:**

[١] كلُّ شَيْءٍ يَسْبَحُ لِلَّهِ تَكْوِينًا وَبِالْقَوْلِ، تَكْوِينًا لِأَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً هَادِيَةً إِلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، فَتَقْصِهِ يَهْدِينَا إِلَى كَمَالِ خَالِقِهِ، وَحَاجَهُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ تَهْدِينَا إِلَى صَمَدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَيُزَوِّجُهَا وَيَكَامِلُهَا.. وَهُوَ يَسْبَحُهُ بِالْقَوْلِ وَكُنَّا لَا نَعِي ذَلِكَ لِانْعِدَامِ اللَّغَةِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الطَّبِيعَةِ.

والتسبيح هو البصيره الأصلية التي تنبثق منها سائر بصائر الوحي، وهو أعلى مراتب العرفان بالله، كما أنّ الجهاد أعلى درجات العمل، والقلب المسبّح هو الذي يبعث صاحبه على الجهاد، ويجعله مقاتلا مصلحا في الأرض، يسعى بكلّ خير، لا مفسدا ولا أشرا ولا بطرا. والتذكير بتسبيح كلّ شيء يهدي الإنسان إلى أن عدم تسبيحه أو طاعته له عزّ وجل ليست معصية لأمره وحسب بل شذوذا عن سنن الطبيعة ومسيرتها.

سَخَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ و ليس التسييح يصنع منه إلها(كما هو الأمر بالنسبه للاكله المزيّفه التي يصنعها الناس بانبهارهم بها)بل هو بذاته إله لا يزيده تسييح أحد شيئا و لا ينقصه عدمه أمرا!لأنه لم يزل عزيزا حكيما.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تتجلى عزّته و حكمته على مسرح الخلائق كلّها،و في ساحات الجهاد بالذات، ذلك أنّ نصره العزيز للمؤمنين به مظهر لعزّته،أما حكمته فإنّها تتجلى حين لا ينصر إلا من نصره و اتبع نهجه.

[٢]و ينهر السياق المؤمنين عن صفه من صفات النفاق ألا و هي الطلاق بين القول و العمل،و قد تساءل بعض المفسرين:كيف تخاطب المؤمنين و تنهرهم عن الازدواجيه في النفاق؟أو ليسوا مؤمنين بينما تلك الحاله من صفات المنافقين؟! بلى.بيد أنّ المؤمن لو لم يكن حذرا وقع في حفره من حفر النفاق،و باستثناء الكملين يحمل كلّ فرد(و حتى المؤمنين)بعض صفات النفاق،كالخلف، و الكذب،و إذا ما بلغ الأمر إلى حد سيطره هذه الصفات على مجمل حياته لحق بالمنافقين،و قبلئذ يبقى المؤمن يجاهد نفسه لتطهيرها من صفات النفاق جميعا.

و التناقض بين القول و الفعل،بين الشعار و الواقع،هو من أسوأ ما يتورّط فيه المؤمن، لأنّ ذلك يضعف شخصيته في المجتمع،و ثقه الآخرين به،بل و ثقته بنفسه أيضا، لذلك حذّر لله منه فقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ و كان هذا بعد واقعه بدر حيث عمّق النبي صلى الله عليه و آله حب الشهاده في من حوله،

و بين مناقب الشهداء و منازلهم فى الجنة، فتمنى الشهاده بعض المسلمين-الذين لم يحسنوا إلا التمنى-و قالوا: لو هتيا الله لنا قتالا نفرغ وسعنا فيه، و نبذل ارواحنا و أموالنا فى سبيل الله، فنحصل على مراتب المجاهدين و الشهداء، و سرعان ما حدثت واقعه أحد، فلم يفوا بما قالوا، إنما انهزموا و تركوا النبى فى الميدان، فنزلت حينها هذه الآيات الكريمة.

و لعننا نهتدى من الآيه اللاحقه إلى أنّ بلوغ الإنسان درجه الاتحاد بين القول و الفعل من أعلى رتب الإيمان، و من أصعب الأعمال، و ذلك يحتاج إلى سعى عظيم و مستمر. و الجهاد الذى تحدثنا الآيات التاليه عنه و ترغّبنا فيه من أبرز مصاديق هذا السعى، و بالذات إذا كان تحت رايه الوحد.

[٣] و ما أعظمها سيئه عند الله أن يقول المؤمن ما لا يفعل، بلى. لو صدر ذلك من المنافق فهو من طبعه، أما أن يدعى أحد الإيمان ثم يتلبس صفات النفاق فإنه يضع نفسه هدفا لمقت الله.

كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ قَالَ الرَّاعِبُ: المقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح (١)، و يقابله الحب، و يبدو لى أنه البغض المقارن للاحتقار، و لا ريب أنّ الذين لا يحترمون كلمتهم و عهودهم و مواعيدهم و.. يتخلفون و يذلون و تحتقرهم الدنيا، بل و يحتقرون أنفسهم. و هل تتخلف الأمم إلا بالعهود المنقوضه و اختلاف القول عن العمل؟! و نحن ينبغي أن نبحث عن جذور تخلفنا، و أسباب انحطاطنا على ضوء هذه الآيه الكريمة، و التى لا ريب نجدها فى التمنى البعيد عن العمل، و القول المجرد عن السعى، و العهد المنقوض، و الوعد المخلف، و اليمين الكاذب. و إذا

ص: ٣٤١



أرادت الأمة الإسلامية أن تعود إلى عزّها و مجدّها، و تبني حضارتها، فلا بد أن تردم الفجوه بين ما تقول و ما تفعل، بأن تنعكس قيمها على مجمل حياتها.

و لا شك أنّ مقت الله على من يقول ما لا يفعل يزداد كلما عظم الأمر الذي ينقض فيه كلامه و عهده، و حيث أنّ عهد المؤمن بالتسليم للقيادة الرسالية هو أكبر المواثيق في الحياه بعد التوحيد فإنّه يكون عرضه لأشد ألوان المقت الإلهي عند نقضه العهد معها. فلا غرابه إذن أن نقرأ تأويلا لهذه الآيه في غدیر خم، لأنّه أعظم المواثيق التي أخذها الله و رسوله صلى الله عليه و آله على المؤمنين إلى يوم القيامة.

و الآيه تعمّ كلّ مصداق للقول دون العمل به كالمواعيد،

قال الإمام الصادق عليه السلام: «عده المؤمن أخاه نذرا لا- كفّاره له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، و لمقته تعرّض، و ذلك قوله: الآيتين ٣/٢ «(١)».

[٤] و هناك مثل أجلى للفجوه بين القول و الفعل نجده في قضيه القتال في سبيل الله.

□  
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ مَنْ يَفِي بوعده، و يقف عند كلمته، و لكن عند ما تكون كلمه المؤمن في القتال من أجل الله، ثم يفي بها وفاء تاما و كاملا (بالقتال ضمن شروطه الشرعيه) فإنه آئذ فردا و جماعه و أمه يكون موضع حبّ الله بصوره خاصه، و حبّ الله يعنى توفيقه و كرامته لأهل حبه في الدنيا و الآخره و نصره لهم.

□  
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ

ص: ٣٤٢

و ليس الذين يرفعون شعارات الجهاد و حسب. و القتال(الجهاد)قمة العمل الصالح حيث يعرض المؤمن نفسه لألوان المخاطر في سبيل ربه. ثم إنَّ أحبَّاء الله لا- يقاتلون ليبلغوا مصالحهم و شهواتهم المادية، إنَّما يجاهدون مخلصين في إطار الحق و لتحقيق أهدافه النبيله متمخضين لذلك، فلا ترى بينهم أدنى حقد ضد بعضهم، و لا ثغره في جبهتهم الواحده، إنَّما يقفون كما يصفهم الله:

صَفًّا كَأَنَّهُمْ بِلِيَانٍ مَّرْضُوصٌ فوحدتهم ظاهره كالبنيان المتصل ببعضه، و هى حقيقه لأنَّها متينه فى الواقع، فليست كأى بناء إنَّما كالبنيان المتماسك تماسكا متينا، و قيل: كالبنيان المبنى بالرصاص. و لا تعنى هذه الآيه أنه لا يوجد أى اختلاف بين المؤمنين، لأنَّ الخلاف طبيعى، و لكنَّه لا يتحوّل إلى صراع بينهم، ثم إنَّه يتلاشى عند ظروف التحدى فتراهم جميعا ينصهرون فى بوتقه الوحده لتصبح الجهود و الطوائف و الجماعات كلَّها أمه واحده لا يجد الأعداء فيها ثغره ينفذون منها. و يحثُّ المؤمنين للتوحيّد صَفًّا واحدا فى القتال علمهم بمدى أثر عامل الوحده و اجتماع الجهود فى ترجيح ميزان الصراع لمصلحه الحق. و ليس من شىء يوحد الناس كما يوحدهم الوحي و الإمام العامل به إذا سلموا لهما، و هكذا يحدثنا السياق فيما يلى عن ثلاثه من أعظم أنبياء الله - عليهم السلام-.

[٥] إنَّ شرط الإنتصار أن يكون القتال صَفًّا واحدا، و شرط الصف أن يكون القتال تحت رايه القياده الرساليه، و إنَّما يكون للقياده اعتبارها العملى حينما يسلم لها المجتمع، لذلك فإنَّ أعظم ما يمكن أن يلحق القياده من الأذى هو عدم الطاعه لها، و هذا ما لقيه نبي الله موسى - عليه السلام - من قومه، و هم يعلمون أنَّ نبيهم هو صاحب الولايه الشرعيه من عند الله سبحانه و أنَّ طاعته مفروضه عليهم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُودُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَهَذَا التَّنَاقُضُ بَيْنَ عِلْمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِضُرُورِهِ التَّسْلِيمَ لِلرَّسُولِ، وَبَيْنَ مَوْقِفِهِمُ الْفَعْلِيَّ حَيْثُ الْعَصِيَانُ وَالْأَذَى، هُوَ صُورُهُ لِلزُّدْوَاجِيَةِ الْمُقَيَّتَةِ عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ الَّتِي حَذَّرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، وَلَعَلَّ أَوْضَحَ صُورَهُ لَهَا تَمَثُّلٌ فِي قِصَّةِ الْبَقْرَةِ. وَقَدْ حَذَّرَهُمْ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْ عَوَاقِبِ هَذَا الْإِنْحِرَافِ لَكِنَّهُمْ أَصْرَوْا وَاسْتَمَرُّوا فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْهُدَى.

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ وَهَذِهِ نَتِيجَةُ طَبِيعِيَّةِ الْعَصِيَانِ الْقِيَادَةِ الرَّسَالِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ هُدَى اللَّهِ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَبْرَ أَوْلِيَائِهِ وَالَّذِي يَحَارِبُهُمْ أَوْ لَا يَسْلَمُ لَهُمْ لَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ أَبَدًا. وَإِزَاغَةُ الْقَلْبِ تَعَكُّسُ مَدَى الضَّلَالِ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ، فَهَمَّ فِي بَادِي الْأَمْرِ آذُوهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَلَكِنْ بَقِيَ فِي قَلْبِهِمْ عِلْمٌ بِكَوْنِهِ رَسُولَ اللَّهِ، أَيْ أَنَّ سَلُوكَهُمُ الْعَمَلِيَّ مُنْحَرَفٌ وَهَمَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْهُدَى مَعْنَوِيًّا، وَلَكِنَّهُمْ حِينَئِذٍ أَصْرَوْا عَلَى الزِّيغِ سَلَبَهُمُ اللَّهُ تَمَامَ الْهُدَى، وَانْطَفَأَتِ الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ مِنَ شَعْلَةِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَصَارُوا كَثِيرًا عَلَى الضَّلَالِ وَالْفَسْقِ.

وَلَقَدْ اعْتَرَضَ الْبَعْضُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ أَحَدًا ثُمَّ يَضِلَّهُ، إِنَّمَا الْمَعْنَى: حَوْلَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَحِبُّونَ مِنَ النَّصْرِ إِلَى مَا كَانُوا يَكْرَهُونَ مِنَ الْهَزِيمَةِ، وَكَانُوا يَحِبُّونَ الرَّاحَةَ فَأَشْقَاهُمْ. وَلَا دَاعِيَ لِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّأْوِيلِ لِأَنَّ التَّفْسِيرَ الْأَوَّلَ مُوَافِقًا لظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَحَقَائِقِهِ.

[٦] وَ يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ حَقِيقَةَ الْخَطِّ الْوَاحِدِ فِي رِسَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ اللَّهِ

عيسى ابن مريم عليه السلام-الذى أعلن لبني إسرائيل أنه يشكل امتدادا لرسالات الأنبياء، فقد سبقه موسى و سوف يلحقه محمد-صلى الله عليه وآله-، فهم صف واحد. وهكذا ينبغي أن تلتحم مسيره المؤمنين بهم، و يجتمعوا تحت رايه النبوه و قياده من يحمل تلك الرايه.

وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ إِذْ نَسَّكَ بَيْنَ الرِّسَالَاتِ وَ الْقِيَادَاتِ الإِلَهِيَّةِ، إِنَّمَا يَكْمَلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ-مُصَدِّقٌ لِلْقِيمِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا التَّوْرَةُ، وَ رِسَالَتُهُ مُصَدِّقَةٌ لَهَا، وَ لَكِنْ لَا- تَعْنِي التَّوْرَةُ تِلْكَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ فَإِنَّهَا مُحَرَّفَةٌ، وَ قَدْ لَعِبَتْ بِهَا أَهْوَاءُ الْيَهُودِ الَّذِينَ سَرَّبُوا إِلَيْهَا الثَّقَافَةَ الْعَنْصَرِيَّةَ.

وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ وَ أَحْمَدُ عَلَى صِيغِهِ أَفْعَلُ فَهُوَ أَحْمَدُ لِلَّهِ مِنْ سِوَاهِ.

قالوا:الأنبياء كلهم حامدون لله، و نبينا محمد أكثرهم حمدا، و قد نقلت الكلمه من صيغه(أفعل للتفضيل)إلى الاسم.

و بالرغم من أن يد التحريف امتدت إلى العهدين المقدسين عند اليهود و النصارى إلا أن هناك إشارات لا تزال تشهد بأن عيسى-عليه السلام-قد بشر بالنبى محمد..و منها النص التالى:«لكننى أقول لكم الحق إن انطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتىكم(السيركلتوس)، و لكننى إن ذهبت أرسله إليكم». و يقول:إن لى أمورا كثيره أيضا لا- أقول لكم، و لكن لا- تستطيعون أن تحتملوا الآن، و أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل

ما يسمع يتكلم به، و يخبركم بأمر آتية، و يمجدني لأنه يأخذ مما لي و يخبركم (١).

علما بأن كلمة (البير كلتوس) تعنى فى اليونانية:الذى له حمد كثير مما يطابق كلمة أحمد،على أن الترجمة الحالية للإنجيل حرّفوها إلى بارقليطا و ترجموها ب(المسلّى)،بينما الأصل اليونانى الموجود غير ذلك.

و على أى حال فإنّ النصارى كذبوا به و بالإسلام مدّعين التمسك بدين عيسى، كما سبقهم إلى ذلك اليهود بالعصبيه لما فى أيديهم من التوراه.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله-.

بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ

قال أبو جعفر عليه السلام: لم تزل الأنبياء تبشّر بمحمد-صلى الله عليه و آله- حتى بعث الله تبارك و تعالى المسيح عيسى بن مريم،فبشّر بمحمد صلى الله عليه و آله، و ذلك قوله تعالى: يَجِدُونَهُ يَعْنى اليهود و النصارى مَكْتُوباً يعنى صفه محمد صلى الله عليه و آله «عندهم» يعنى فى التوراه و الإنجيل...و بشّر موسى و عيسى بمحمد كما بشّر الأنبياء-صلوات الله عليهم-بعضهم ببعض (٢).

[٧]و البشاره بالنبي صلى الله عليه و آله موجوده لدى أهل الكتاب لكنهم أنكروه و رفضوا التسليم لما جاء به حسدا من عند أنفسهم،فارتكبوا بذلك وزرین،وزر التكذيب بالدين و النبي الجديد،و وزر الافتراء بتمثيل الدين السابق لتبرير موقفهم من الحق.

ص: ٣٤٤

١- ١) للتفصيل راجع تفسير الفرقان للدكتور الصادقى /ج ٢٨-ص ٣٠٦

٢- ٢) نور الثقلين /ج ٥-ص ٣١٥

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِذْنٌ يُحَارِبُ الدِّينَ بِاسْمِ الدِّينِ، وَ يَرْفُضُ الْحَقَّ بِالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَهْدِي الَّذِي يَسْعَىٰ لِلْهُدَايَةِ وَ يَأْخُذُ بِأَسْبَابِهَا، أَمَّا الظَّالِمُ الَّذِي يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فَإِنَّهُ يَرْفُضُ اتِّبَاعَ الْهُدَىٰ فَيُضِلُّهُ اللَّهُ.

ص: ٣٤٧

اشاره

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَ أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

اللغه

٨ [بأفواههم]: «فوه» إذا اقترنت بالقول فهي كناية عن الكذب مثل قوله: «ذِكْرُكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» و قوله:

« كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ » و قوله: « يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ».





هدى من الآيات

□  
مهما تكن للباطل من جوله فإنّ الدوله للحق، والنصر و الفتح للمؤمنين المجاهدين و هم أنصار الله و جنده، و لكن هذه الحقيقه لا- يمكن أن تحدث فى الفراغ و بعيدا عن السنن الإلهيه الحاكمه فى الحياه، و منها سنه الصراع ضد الكفر و الشرك و مجاهدتهما، فلا بد أن تنبرى للحق فئه تقاتل فى سبيل الله صفاً، و تحت رايه القياده الرساليه، و تتاجر مع الله (تبيع نفسها و تشتري رضوانه و الجنه و الفتح)، كما فعل الحواريون الذين التفوا حول عيسى ابن مريم- عليه السلام- و نصروا الحق فأصبحوا ظاهرين بإذن الله.

و حينما نتدبر آيات هذه السوره المباركه فإننا نجدها تعبق بشذى الولايه الإلهيه، ففى البدايه كان الكلام عن الأذى الذى لقيه كلیم الله من قومه، و ربما كان ذلك الأذى متمثلاً فى رفضهم لأخيه و وصيه هارون (عليهما السلام) لما استخلفه و ذهب إلى مناجاه ربه، ثم عبادتهم للعجل رمز القياده المنحرفه فى

المجتمع آنذاك، كما أنّ عيسى عليه السلام -بشر بقياده الرسول صلى الله عليه وآله و لكنّ الكفار و المشركين من الناس رفضوا التسليم له، ثم إنّ القرآن يؤكد بأنّ الله سوف يتمّ نوره رغما على الكفار و المشركين الذين يسعون لإطفائه. و لا ريب أنّ قياده الرساليه مشكاه نور الله و وحيه، و التي لا يحصل الإنسان على الكمال الإلهي إلاّ بالتسليم لها.

### بينات من الآيات:

[٨-٩] يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ و النور لا- يطفؤه نفخ الإنسان عليه، فكيف إذا كان ينبعث من عند مليك السماوات و الأرض؟ و هذا التعبير من بلاغه القرآن و بديعه فى تقريب المعنى إلى ذهن المتدبر. و كلمه الأفواه يستخدمها القرآن للدلاله على الكلمات الكاذبه التي لا تنطلق من القلب و لا تملك رصيذا من الواقع، كالثقافات الجاهليه و الدعايات المضلله التي تبثها أجهزه الاعلام الطاغوتيه ضد الحق و رموزه و أتباعه.

و قد اختلف أقوال المفسرين فى بيان مصداق النور الإلهي، فقال بعضهم: إنّ الرسالة المتمثله فى القرآن و سائر كتب الله، و قال آخرون: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله، كما أولته بعض روايات أهل البيت فى الإمامه و صاحب الأمر -عجل الله فرجه-، و الذى يظهر لى أنّ الحقائق الكبرى تتواصل فيما بينها، فمثلا العقيدة بالتوحيد مبعث للعقيدة بالعدل، و هذه تبعثنا نحو الإيمان بالآخره، و كلّ هذه الحقائق تتركز فى الإيمان بالولاية، و هكذا يحدثنا الكتاب عن الحقائق الكبرى بلا فصل بينها و لا تمييز، ممّا نجد لها أكثر من مصداق، فمثلا عند ما يأتى فى القرآن ذكر لحبل الله أو نور الله فإننا نجد له أكثر من مصداق، فحبله كتابه، و كذلك قياده التي تمثل امتداده فى المجتمع، لا يفصل أحدهما عن الآخر، و لا يؤدي دوره العملى بتمامه

من دونه، وهكذا فسّرنا قوله سبحانه: « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا » بأنه الوحي الإلهي و القيادة التي تمثله، وهكذا أوضح الرسول -صلى الله عليه وآله- في حديث الثقلين (كتاب الله و عترته) أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وكذلك هنا لا يوجد أى تعارض بين أقوال المفسرين، فنور الله واحد و لكن له تجليات عديدة، فهو يتجلى فى كتابه كما يتجلى فى الرسول و فى الإمام الذى يخلفه، حسبما مرّ فى تفسير آيه النور (1).

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ إِنْ فَتَحْنَا لَهُ نُورَهُ لَأَفْزَقْنَا مِنْهُ غُطَيَاتٍ كَمَا فَزَقْنَاكَ إِذْ أَخْرَجْنَاكَ مِنَ بَيْتِكَ لِيُتَاجَرُوا بِكَ وَاللَّهُ يَكْفِي عَنَّا كَرْهَهُمْ وَ سَعِيَهُمْ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ وَ الطَّرِيقِ، فهو ليس محايدا فى الصراع بين الحق و الباطل، و إن كانت حكمته تقتضى امتحان المؤمنين و تعريضهم للفتنة بعض الأحيان. و لكنّ السؤال: هل أنّ نوره تعالى كان يشكو النقص حتى يكتمل؟ كلاً. فلما ذاق أنّه سيتمّ نوره؟ و الجواب: إنّ للنور كمالين: الأول فى ذاته، الثانى فيما يتصل بانتشاره، و نور الدين كامل فى ذاته، و لكنّ إنما يتمّ كمالا بانتشاره فى آفاق المعموره، و ذلك بإسقاط كل الحجب التى تمنع اتصال الناس بنور الله. و لعلّ من مصاديق إتمام النور أن تلتحم مسيره العقل المزكى بالوحي المنزل، فيتحوّل القرآن إلى برامج و مناهج عمليه مفضّله تحكم الحياه و تسير البشريه على سبيل الهدى و الصواب. أفتدرى كيف؟ بأن يتكامل عقل الإنسان بزياده علمه فى كافه الحقول حتى يكتشف المزيد من أسرار الدين و يقتنع الجميع بأنّه منزل من عند الله، فيصبح الدين ضروره

ص: ٣٥٢

---

١-١) هنا لك تجد بيانا للعلاقة بين قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ و بين قوله: فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ... .

علميه بعد أن كان ضروره نفسيه و اجتماعيه، و هنا لك يكشف الله الغطاء عن وجه وليه الأعظم مهدي هذه الأئمه الذى وعد الرسول بظهوره فى آخر الزمان فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً بعد أن ملئت ظلماً و جوراً.

□ □  
إذا كتاب الله كامل و إنما الناس بحاجه إلى الارتفاع إلى مستواه بالتدبر و التعلم حتى يتم الله نوره.

و هذه الآيه و التى تليها تحلاًن جدلاً حول مسيره البشريه هل هى نحو التكامل أو الانحطاط، فحسب النظرية الدينيه قال بعضهم: إنها تتجه نحو الانتكاس، و احتجوا على ذلك بأن حوادث القيامة التى تطوى بها صفحه الحياه الدنيا إنما تقع نتيجة لوصول البشريه إلى منتهى الانحراف، و نقل البعض

عن النبى ما نصه :

«إن خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم حتى يأتى أناس همج رعاع أتباع كل ناعق»، و

□  
رووا عن الرسول-صلى الله عليه و آله- قوله: «إنما تقوم الساعه على كل لكع ابن لكع»، و انطلقوا من ذلك فى تقييم مسيره الأجيال و أنها تسير نحو الانحطاط.

و قال آخرون: بل الحياه تسير نحو التكامل، و هذا ما نستلهمه من آيات القرآن و من بينها هاتان الآيتان، فإنهما تنطويان على بشاره بأن الكمال ينتظر البشريه فى المستقبل، و أن نور الله سوف يتم يوماً من الأيام ليشمل كل الأرض و يهيمن على الناس جميعاً. و هكذا جعل ربنا خاتم أنبيائه أفضلهم. و لا غرابه حينئذ لو قرأنا الأخبار القائله بأن آخر أوصيائه الاثنى عشر من ولده هو الذى ينهض بأعباء تلك النهضه العالميه نحو قمه السعاده و الكمال.

□ □  
قال على بن إبراهيم القمى (رض): «وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» بالقائم من آل محمد صلى الله عليه و آله حتى إذا خرج يظهره الله على الدين كله، حتى لا يعبد غير الله، و هو

قوله-عليه السلام-:«يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا» (١)، و

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حتى لا- تبقى قريه إلا- و ينادى فيها بشهاده أن لا إله إلا الله و محمد رسول الله بكره و عشيا «بلى. لو قسنا مسيره البشريه بالساعات و الأيام فقد نجد بعض أمارات التراجع، و ربما واجهتنا بعض الانتكاسات، و لكن المحصله النهائيه القائمه على أساس الأرقام الإستراتيجيه (بالأجيال و القرون) تهدينا إلى أن المسيره تتجه نحو الأمام، فليس من شك أن حال البشريه الآن خير مِمَّا كانت عليه قبل قرنين من الزمن لو اتخذنا مجمل القيم الدينيه مقياسا، كالتقدم العلمى، و الرفاه، و الحريه و.. و..»

و نجد فى الآيتين الكريمتين بيانا لمسيره الصراع بين الأفكار و الأمم، ففى المرحله الأولى يدور الصراع بين الفلسفات الدينيه و القيم البشريه، و فتنصر الفكره الدينيه على الأخرى. و ها نحن نلاحظ بشائر عوده الناس إلى الدين، و نبذها للكفر بالله عزّ و جل، و أظهر تلك البشائر ما نجده اليوم من تراجع سريع و واسع للمبدأ الإلحادى (و منه الشيوعيه) فى سائر أنحاء العالم، و سوف يستمر هذا التحول حتى يأتى اليوم الذى تعود البشريه بمعظمها إلى الله و الدين. فتبدأ المرحله الثانيه و التى يدور فيها الصراع بين الدين الخالص و الأديان المحرّفه، و قد تكفل ربنا بإظهار دينه الحق على كلّ الأديان. (٢)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَ عَلَى خَاتَمِهِ هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ يَنْتَصِرُ اللَّهُ بِوَلِيِّهِ الْأَعْظَمِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ -عَجَلَ اللَّهُ فَرَجَهُ- لِدِينِهِ الْخَالِصِ. وَ حَيْثُ حَدَّثَنَا الْآيَةُ الثَّامِنَةُ عَنِ الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى

ص: ٣٥٤

١-١) تفسير القمى / ج ٢ عند الآية.

٢-٢) مجمع البيان عند تفسير الآية.

جاءت خاتمتها: «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»، بينما اختتم الآيه التاسعه بالقول: «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» لأنّ الذين يعاكسونهم إنّما هم أتباع التوحيد الخالص من دنس الشرك و الارتياب! [١٠-١٣] أو لأنّ هذا التكامل يتحقّق عبر عشرات الألوف من المواجهات الممتده عبر قرون متطاوله فإنّه لا يخص عصرا أو طائفه أو جهه، إنّما هي سنّه إلهيه، كسنّه الضياء الذى ينبعث من الشمس و يهزم جيوش الظلام من كل بقعه.. فهى لا تخص زمانا أو مكانا أو تجمعا.

و هكذا تكون هذه البصيره القرآنيه شعله أمل فى أفئده المؤمنين بالله فى كلّ مواجهه لهم مع الكفر، و الطغيان، و تعطيم روح النصر، و تزوّدهم بوقود الاستقامه و الصبر.

و هكذا كانت هذه البصيره-ضمن السياق القرآنى-تعبئه روحيه لمن يريد التجاره مع الله و التفرغ للجهاد فى سبيله، بأنّه آنثذ يصبح ضمن تيار حركه التاريخ فى اتجاه التكامل و إتمام نور الله و إظهاره على الدين كله.

بلى. هذه الحقيقه تهدينا أيضا إلى أنّ ذلك الأمل يتحقّق على أيدي المؤمنين و بما يبذلونه من تضحيات.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ و النجاه من النار أعظم طموحات المؤمنين لعلمهم بأنّ الإنسان واقع فى العذاب ما لم يسعى للخلاص منها. و يحدّد القرآن طريق النجاه فى الالتزام بثلاثة شروط أساسيه هي: الإيمان بالله، و التسليم للقياده الإلهيه، و الجهاد بالمال و النفس من

أجل الحق.

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَيَبْدُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدَّمَ الْجِهَادَ بِالْمَالِ عَلَى النَّفْسِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَبْدَأُ بِالْجِهَادِ بِالْمَالِ فَيَصْعَدُ دَرَجَاتٍ فِي الْإِيمَانِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ، كَمَا أَنَّ الْجِهَادَ بِالْمَالِ يَهَيِّئُ وَسَائِلَ الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ. هَلْ رَأَيْتَ حَرْبًا أَوْ مَقَاوِمَهُ إِلَّا وَیَسْبِقُهَا الْإِعْدَادُ لَهَا بِالسَّلَاحِ وَالْعِتَادِ وَالزَّادِ وَالْإِعْلَامِ، وَكُلُّهَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْمَالِ.. وَحَيْثُ يُعْتَبَرُ الْبَعْضُ الْجِهَادَ خَسَارًا لِلْأُمَّةِ يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ بِأَنَّهُ خَيْرٌ عَظِيمٌ لِلْمَجْتَمَعِ، وَأَيُّ خَيْرٍ أَعْظَمَ مِنَ الْعِزَّةِ، وَالْإِسْتِقْلَالِ، وَالْحُرِّيَّةِ، وَإِقَامَةِ حُكْمِ اللَّهِ، وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ ثَمَارِهِ وَنَتَائِجِهِ.

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَخَيْرُ الْجِهَادِ يَعْمُ الْإِنْسَانَ وَالْمَجْتَمَعَ الْمَجَاهِدُ فِي الدَّارَيْنِ: فِي دَارِ الْآخِرَةِ مَثَلًا فِي الْغَفْرَانِ، وَسَكَنِي الْجَنَّةِ وَهُوَ أَعْظَمُ الْخَيْرِ..

يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

جاء في تفسير هذه الآية خبر مأثور عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- أنه قال: «قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوته حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمّده خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام، في كل بيت سبعون

ص: ٣٥٦

وصيفه، وقال: و يعطى الله المؤمن من القوه فى غداه واحده ما يأتى على ذلك كله « (١).

و فى دار الدنيا متمثلا فى النصر و الفتح و التحرر..

وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصِيرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ قِيلَ: بشّرهم بالنصر لما فى ذلك من السرور و رفع المعنويات، و يبدو لى أنّ البشاره هنا تنصرف أيضا إلى أشياء أخرى غير الجنه و النصر، من أبرزها لقاء الله و رضوانه. و هنا ملاحظه نستوحىها من أمر الله للرسول بتبشير المؤمنين هى أنّ على القائد أن يثبت روح الأمل و الرجاء فى صفوف أتباعه على الدوام، ليرفع من معنوياتهم، و لكى لا يفقدوا حماسهم و أملهم بسبب التحديات التى فى الطريق.

و هذه الآيات الكريمة تحدّد الإستراتيجيات الأساسيه للجهد، فهو على صعيد الآخره و قبل كل شىء يجب أن يستهدف النجاه من النار و غفران الله و كذلك الجنه، و على صعيد الدنيا النصر و الفتح، و الفتح أشمل من النصر، فالنصر هو هزيمة العدو عسكريًا و قد يكون محدودا، بينما الفتح هو الإنتصار الشامل و فى كلّ الأبعاد.

و تأكيد ربنا على أنّ الهدف الأخرى هو الغايه العظمى للجهد من شأنه السمو بروح المؤمنين إلى سماء القرب من الله، و علاج أى حاله من حالات التوقف التى قد يبتلى بها المجاهدون بسبب اليأس من طول الإنتصار، فإنّ الجهد ليس موضوعا للإنتصار على العدو و حسب بل لنيل رضوان الله، و هو واجب شرعى و فريضه كالصلاه و الصيام لا- يسقطها عن كاهل المجتمع أو التجمعات الرساليه مجرد أن

ص: ٣٥٧



يكون الانتصار صعباً أو بعيد المنال.

[١٤] وتأتى خاتمه السوره لتشير إلى المراحل الأساسيه فى الحركات الرساليه، وهى أربع مراحل:

الأولى: انبعاث القائد الرسالى فى المجتمع، و الذى يمثل البذره الأولى و الأساسيه للحركه و التغيير.

الثانيه: التفاف مجموعه من الناس حوله، و إيمانهم بفكره، و تسليمهم لقيادتهم، و هم الطلائع.

الثالثه: توسيع دائره الحركه و تيارها فى المجتمع، الأمر الذى يقسمه إلى جبهتين: جبهه الحق، و جبهه الكفر، ممّا ينتهى به إلى الصراع.

الرابعه: انتصار الحق و أهله على جبهه الباطل كعاقبه نهائيه للصراع.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ جَمِع حَوَارِي وَ هُم الْخُلَصُ الْخَوَاصُ مِنْ أَتْبَاعِهِ، قِيلَ: سَمَّوْا حَوَارِيْنَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَصَارِينَ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ -حَسَبَ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ قِتَادَهُ- أَمَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ -فَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ الْقَرْيَةَ فَاتِ النَّهْرَ الَّذِي عَلَيْهِ الْقَصِيَارُونَ فَاسْأَلْهُمْ النَّصْرَةَ، فَأَتَاهُمْ عِيسَى وَ قَالَ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالُوا: نَحْنُ نَنْصُرُكَ، فَصَدَّقُوهُ وَ نَصَرُوهُ. (١)

ص: ٣٥٨

---

١- (١) القرطبي/ج ١٨-ص ٩٠ و لعل القصار الذى يبذل قصارى جهده.. و سَمَّوْا بذلك لمبالغتهم فى العباده و الطاعه لله.

وقيل: أصل الكلمه من الحور و هو البياض، و إنما سمّوا كذلك لبياض قلوبهم أو نقاء قلوبهم و صفائها في الولاء لعيسى، و يبدو أنّ هذا أقرب و أبلغ دلالة على معناها المصطلح الذي يدل على أقرب الناس من الرسل و الأوصياء، و هذا المعنى يقابل النفاق و يرادف معنى المخلص.

و قيل أنّ عيسى -عليه السلام- بعث كلّ واحد من الحواريين إلى منطقته في أنحاء المعموره لإبلاغ الرساله، ممّا يعكس مدى تفانيهم في سبيل الدعوه حيث أنّ الواحد منهم كان يمثّل أمه في دفاعه عن الحق و تحديه للباطل. (١)

مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرْتَ طَائِفَهُ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ عَدُوَّهُمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ وَ هَذَا الشَّاهِدُ مِنَ التَّارِيخِ يَهْدِينَا إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، وَ يَنْصُرُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ وَ عَدُوَّهُمْ.

ص: ٣٥٩

---

١-١) راجع المصدر تاريخ الطبري/ ج ٣- ص ٧٣٧ (طبعه أوروبا).



سوره الجمعه

اشاره

ص: ۳۶۱



**فضل السوره:**

في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبي عبد الله-عليه السلام - «الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلاه الجمعة بالجمعه و سبح اسم ربك الأعلى، و في صلاة الظهر بالجمعه و المنافقين، فإذا فعل ذلك فكأنما يعمل بعمل رسول الله- صلى الله عليه و آله- و كان جزاؤه و ثوابه على الله الجنة».

نور الثقلين/ج ٥ ص ٣٢٠

قال رسول الله-صلى الله عليه و آله-: «من أدمن قراءتها كان له أجر عظيم، و آمنه مما يخاف و يحذر، و صرف عنه كل محذور»

ثواب الأعمال/ص ٢٠٩

ص: ٣٦٣



تذكرنا سورة الجمع بفضل الله الأكبر المتمثل في رسالات الله والتي سببت إصلاحا شاملا لحياه البشريه، وبالذات الذين تنزلت في محيطهم آيات الله، فبالرساله طهر النبي أتباعه من أرجاس الجاهليه و أغلالها، و علمهم الكتاب و الحكمه، و رسم خطا إصلاحيا ممتدا عبر الزمان و المكان، و لولا الرسول لكان البشر يعود إلى جاهليته الأولى.

لأن حمله الرساله و ورثه علمها قد خانوا مسئولياتهم، يتعرض السياق إلى الذين لم يتحملوا مسئوليه التوراه بعد أن حملوها مشبها لهم بالحمار الذى يحمل أسفار العلم دون أن يتفجع بها فى شىء، و فى ذلك تحذير من طرف خفى للمسلمين ألا يصبحوا مصداقا آخر لهذا المثل.

و إذا يذكر بشىء من واقع الانحراف لدى اليهود-الذين من أبرز صفاتهم التشبث بالماده و الحياه الدنيا و لتجدنهم أحرص الناس على حياه (١)- يعطينا

ص: ٣٤٥



مقياسا دقيقا لمعرفة الداعيه للحق عن المدعى له و هو أن من يحمل الرساله و يؤمن حقًا بمحتواها لا يبالى بالموت دفاعا عنها.

ثم يؤكد أهميه صلاه الجمعه ليركز فى المؤمنين التوجه نحو القيم بدل اللهو و الماده، و لكى يثبت للأمة الناشئه تميزا عن الأمم الاخرى و شخصيه مستقله بفرضها مناسبه دينيه اجتماعيه فى مقابل سبت اليهود و أحد النصارى.

و عند ما نتعمق فى تدبرنا نجد علاقته وثيقه بين ابتداء السوره بالتسبيح و انتهائها بالدعوه إلى الصلاه و الصبر عليها أمام إغراء التجاره و اللهو، ذلك أن الصلاه هى أظهر مصاديق التسبيح فى حياه المؤمن.

ص: ٣٦٦

## [سوره الجمعه (٦٢): الآيات ١ الى ١١]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا الْمَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَيُّدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَيُوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَأَيُّهَا مَلَائِكَتُكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

## اللغة

٥]أسفارا]:الأسفار الكتب،واحدها سفر،و إنما سُمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره،يقال سفر الرجل عمامته إذا كشفها،و سفرت المرأة عن وجهها فهي سافره،و منه:

«و الصبح إذا أسفر».



**بينات من الآيات:**

[١] لأنَّ الله خلق الخلق للعباده فقد أودع في ضميرهم الحاجه إليه، و فطرهم على الإحساس بما هو مرتكز فيه من النقص و العجز، و المهم المعرفه به حيث لا حدّ و لا نقيصه و لا ضعف، لذلك فإنّ الخلق لا يرون لأنفسهم وجودا من دون فضله و لطفه و هباته، و لا هدفا أسمى من التقرب إليه عبر تنزيهه و تسيححه و الاستزاده من فضله بذكر أسمائه الحسنی، لذلك فالخليقه في تسيح دائم له عز و جل.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ كُلٌّ بِطَرِيقَتِهِ، هذه هي مسيره الكائنات و وجهتها، و إذ يضع القرآن الإنسان أمام هذه الحقيقه الكبرى فلکی يدفعه نحو الالتحاق بها، و يبين له أنّ عدم خضوعه لله شذوذ خطير يضعه في مسيره معاكسه لإرادته ربه و للخليقه جميعا، و بالتالي فإنه يواجه تحديات كبيره تسحقه و تؤدي به إلى الدمار، فلا طريق للنجاه منها

و الوصول إلى الأهداف و التطلعات إلا بمساييره الوجود بقيمه و سننه فى مسيرته الصواب، من خلال الاعتراف بالعجز و النقص المرتكز فيه و معرفه بكمال ربه المطلق، و من ثمّ تسبيحه و الخضوع له. و لأنّه تعالى لا- تدرك ذاته الأبصار و لا العقول و لا الأوهام فقد جعل أسماء و سيلتنا إليه و ذكرنا بها فقال:

الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

قال أبو جعفر (عليه السلام): «خلقها وسيله بينه و بين خلقه، يتضرعون بها إليه، و يعبدونه، و هى ذكره» (١) و

عن الرضا (عليه السلام) قال: «هو نفسه، و نفسه هو، قدرته نافذه فليس يحتاج أن يسمّى نفسه، و لكنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها، لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف» (٢) و إذا كنّا نريد معرفته بأسمائه فلا بد أن نتيقن بأنّها غير ذاته سبحانه،

□  
ففى الخبر عن الصادق (عليه السلام): «فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهًا، و لكنّ الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء و لكنّها غيره» (٣) و لا- بد أن يتذكر الإنسان هذه الحقيقه و هو فى طريق العرفان بربه حتى لا تذهب به المذاهب، فيحاول كما فعل بعض الفلاسفه و المجسمه أن يتصور ربه بوجهه أو بعقله المحدود فيضلّ عنه إلى خلقه، فقد «تاهت هناك عقولهم، و استخفت حلومهم، فضربوا له الأمثال، و جعلوا له أندادا، و شبّهوه بالأمثال، و مثّلوه أشباها، و جعلوه يزول و يحول، فتأهوا فى بحر عميق لا يدرون ما غوره، و لا يدركون كنه بعده» (٤)، فسبحان الله عمّا يصفون و يشركون. و أنّى للإنسان أن يتصوّر خالقه؟!

ص: ٣٧٠

١-١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٩٥

٢-٢) المصدر

٣-٣) المصدر

٤-٤) المصدر عن الإمام الكاظم عليه السلام

بلى. نحن نقول الملك و القدوس و العزيز و الحكيم و لكن دون حدّ و تشبيه، فهو واسع الملك، عظيم القداسه، دائم العزه، و نافذ الحكمه. و تتجلى هذه الأسماء حينما يعود الإنسان إلى نفسه يتفكر فيها أو يرمى ببصره فى الآفاق من حوله.

نعم. إنّ ربنا الملك الذى لا حدّ لملكه، و إنّما يملك كلّ شىء ملكا، يملك شهوده و غيبه، حاضره و مستقبله، و يهيمن عليه بجميع أبعاده، و لا يملك شىء و لا شخص شيئا إلا بما يملكه. و كلّ هذا آيات ملكوته و أكثر من هذا مما لا يمكن لنا أن نتصوره.

و هو قدوس بمعنى النزاهه المطلقه من كلّ نقص و عيب و حد، فليس شىء و لا أحد أولى منه بالتسبيح و العباده. كما أنّه القادر بالعزه على ما يشاء، و الذى لا يذل أو يحتاج إلى غيره. و حيث نستبحه أو يدعوننا إلى تسبيحه فليس لحاجه منه إلينا و لا إلى ذلك، لأنّه سبوح و عزيز و ملك و قدوس بذاته، و إنّما بحكمته تفضّل علينا بأن جعل تسبيحه طريقا لنا إلى رضوانه و ثوابه و هو الحكيم. و هناك علاقات متينه بين الأسماء الحسنى المذكوره فى الآيه الكريمة بعضها مع بعض، فالملك الحق لا بد أن يكون نزيها و قويّا و حكيمًا، لكى يكون مهيمنا على ملكه. و العزه لا تكون إلاّ بالملك، كما لا يكون الملك إلاّ بها، و هكذا توجب القداسه العزه. و لم يقل تعالى عزيزا و حسب بل ذكر الحكمه أيضا فهو ملك ذو قوه فى حكمه، لا يدبّر الحياه بالقوه وحدها إنّما يهيمن عليها بالقوه و يدبّر بها بالحكمه.

□  
و هنا ينبغى التأكيد على مسأله مهمه و هى أنّ ما تقدم من التحقيق حول أسماء الله لا يعدو كونه محاوله محدوده لتقريب معانيها ليس أكثر، و إلاّ فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يفى بالمعنى حينما يتحدث عنها.

□  
[٢] و الأسماء الأربعة الحسنى لله تجلّت عند ما انبعث إلى الناس رسولا من أنفسهم فجاء ليهديهم من الضلال و يعيدهم إلى مسيره الكائنات بعد الابتعاد

عنها، وهكذا انطلقت مسيره المجتمع الإصلاحية حيث تحوّل من الشتات إلى الألفه، و من الضعف إلى القوه، و من الجاهليه و التخلف إلى العلم و الحضاره.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِرِينَ أَنَّ «الأميين» هم الذين يتسبون إلى مكة أم القرى، و يحتمل أنهم المتفرقون أمما و قيما، و الأظهر أنهم الجاهليون، إلا أنه ينبغي القول بأن الأمي و الجاهلي ليس الذي لا يقرأ و لا يكتب فإن ذلك هو المعنى الحرفي الظاهر للكلمه، فقد ينسب العالم الذي يقرأ و يكتب إلى الجاهليه و الأميه لأنه لا يتفاعل مع معارفه (١)، و عدم القراءة و الكتابه مظهر واحد من مظاهر التخلف و الجهل، و للجاهليه مظاهر شتى تصدق عليها جميعا كلمه الأمي التي يبدو أنها غلبت لتشمل كل أبعاد الجاهليه، و نستوحى ذلك من استخدام القرآن الحكيم لها في سياق حديثه عن أهل الكتاب و هم يقرأون و يكتبون و فيهم دعاه العلم إذ قال: وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَ إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢)، و لكن لماذا بعث الله في الأميين بالذات؟ ١/ إذا أخذنا بالتفسير الأول (أنهم أهل مكة) فذلك تجلّ لحكمه الله حيث يبعث رسله في مركز البلاد و أكبر مدنها و أهمها و حيث بوره الفساد و الضلال، فإن ذلك أكبر أثرا في التغيير.

٢/ و على التفسير الأظهر (أنهم الجاهليون) نهتدى إلى أنّ الله يستنقذ البشرية

ص: ٣٧٢

---

١- ١) قال الصادق (عليه السلام): «كانوا يكتبون و لكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، و لا بعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين» نور الثقلين ج ٥ ص ٣٢٢

٢- ٢) البقره ٧٨/

حينما تتجه حضارتها نحو الدمار والانتها.

□  
ثم إنَّ الله حين بعث رسوله في هذا الوسط المتدنى في العلم عرفنا بأنَّ الرساله لم تكن تكاملاً ذاتياً وصلت إليه البشريه و  
المدنيه، كلاً..إنَّها كالغيث الذي ينزل من السماء على أرض جرداء فيملأها خصبا و جمالا.إنَّها كما أشعه الشمس تهبط على و  
ديان الظلام فتنشر عليها الضياء و الروعه.إنَّها تأتي من خارج إطار السياق التاريخي فتحدث فيه ثوره بديعه و تحولا عظيما لا نجد  
له أى تفسير إلا- في الرساله، و ليس كما يدعى البعض بأنَّها حجر و عامل مساعد لعوامل حضاريه لدى العرب، فإنَّ الدلائل  
التاريخيه كلها تشير إلى وجود جاهليه(أميه)شامله في كلِّ الأبعاد في المحيط الذي بعث فيه الرسول(صلى الله عليه و آله)

□  
عبرت عنها فاطمه بنت محمد (عليها السلام) بقولها عن أبيها: «ابتعثه الله إتماماً لأمره، و عزيمة على إمضاء حكمه، و إنفاذاً لمقادير  
حكيمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابده لأوثانها، و منكروه لله مع عرفانها، فأنازل الله بأبي محمد(صلى الله عليه  
و آله) ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها، و جلى عن الأبصار غممها، و قام في الناس بالهدايه، فأنقذهم من الغوايه، و بصّرهم من  
العمايه، و هداهم إلى الدين القويم، و دعاهم إلى الصراط المستقيم» (١)، و

قالت(عليها السلام): «و كنتم على شفا حفره من النار مذقه الشارب، و نهزه الطامع، و قبسه العجلان، و موطئ الأقدام، تشربون  
الطرق، و تقتاتون القد، أذله خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» (٢).

و هناك سؤال: لماذا سمى النبي أمياً، و قال الذكر «رَسُولاً مِنْهُمْ» فما هى النعمه فى أن يكون النبي أمياً؟ قال الماوردى: الجواب من  
ثلاثة أوجه: أحدها لموافقته ما تقدّمت به بشاره الأنبياء، الثانى: لمشاكله حاله لأحوالهم فيكون أقرب

ص: ٣٧٣

١-١) الاحتجاج/ ج ١ ص ٩٩

٢-٢) المصدر/ ص ١٠٠



إلى موافقتهم، الثالث: لينتفى عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها و الحكم التي تلاها (١).

يبد أن الجواب الأفضل هو ما ذكر في حديث شريف مأثور عن الامام الباقر (عليه السلام) كما سيأتي.

و هناك شبهه حاول البعض أن يدسها عند قول الله عن الرسول (صلى الله عليه و آله): «منهم» إذ نسبوا إلى النبي الأكرم الأميه و الجهل، و أئمه الهدى من جهتهم سعوا لدفعها بصوره منطقيه،

فقد قيل للإمام الباقر عليه السلام: إن الناس يزعمون أن الرسول (صلى الله عليه و آله) لم يكتب و لا يقرأ، فقال: «كذبوا لعنهم الله. أنى يكون ذلك و قد قال عز و جل: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ..»

و يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ فيكون يعلمهم الكتاب و الحكمه و ليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟، فسئل: فلم سمى النبي الأمي؟ قال: «نسب إلى مكه، و ذلك قوله عز و جل: وَ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا فَأُمُّ الْقُرَىٰ مَكَّةُ، فقيل أمى لذلك « (٢) و

قد جاء في حديث مأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن تسميه العرب بالأميين كان بسبب حرمانهم عن كتاب إلهي، و على هذا فإن نسبة الرسول إلى ذلك كان بسبب انتمائه إلى ذلك القوم جغرافيا و نسيًا، و ليس لأنه شخصيًا لم ينزل عليه الكتاب، فقد نزل عليه أحسن الكتب فكيف يكون أميا بهذا المفهوم؟! و السؤال هنا: ما هو منهج الرسول في الإصلاح و السير بالإنسان نحو الحضاره و الهدى؟ [١] هدايه الناس إلى الله عز و جل، بيث آياته بينهم و بيانها لهم آيه تلو آيه، و الذى من شأنه تفجير الطاقات الخيره الكامنه داخل النفس البشريه، و من أهمها

ص: ٣٧٤

١- (١) القرطبي/ج ١٨ ص ٩٢

٢- (٢) نور الثقلين/ج ٥ ص ٣٢٢

استثارة العقل فى البحث عن الطريق لأن الآيات تبين معالم الطريق و هى أساس الهدى، إلا أن هنالك حاجه إلى تميمها بتذكره الإنسان بها مما يقوم به الأنبياء (عليه السلام)، و هكذا نهتدى إلى أن أول ما يجب على الحركات الرساليه القيام به هو بث الثقافه الصحيحه بين الناس لكي يقتنعوا بالإصلاح و يتحسبوا ضرورته.

و لعل الآيه الكريمه تشير أيضا إلى ميزه الرسالات الإلهيه عن الدعوات البشريه و هى كونها تبدأ من الله لتنتهى إليه.

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ [٢] تطهير الناس من عقد النفس و أغلالها التى تمنع انطلاقهم نحو الهدى كما قال تعالى: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (١) و لا يمكن لأمه مثقله بعقد الأحقاد و الأضغان، و الأغلال و الحسد و الاستثثار، و أصر الخوف و التهيب و الانطواء، لا يمكن لمثل هذه الأمه أن تنهض بمسؤوليه الإصلاح و التقدم أو أن تكون أهلا لوحى الله و هداه، لذلك عمد الرسول (صلّى الله عليه و آله) و هو ينشد النهضه بذلك المجتمع إلى تطهيره من أدران الشرك و التخلف و الجاهليه.

و يُزَكِّيهِمْ قال ابن عباس: يجعلهم أزكيا القلوب بالإيمان، و قال بعضهم: يعنى يأخذ زكاه أموالهم، و هو بعيد.

٣- و إذا ما تفاعل المجتمع مع الآيات، و اهتدى بها إلى غاياتها، و تزكى بها

ص: ٣٧٥

و بتوجيهات المصلح، أصبحت لديه القابليه العقليه و النفسيه لتلقى تعاليم الرساله و التفاعل معها، و لعلّه لذلك تقدّمت تلاوه الآيات و التركيزه على التعليم.

وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ الْكِتَابَ هُوَ الْقُرْآنَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله) أَوَّلَ مُفَسِّرٍ وَ مُؤَوَّلٍ لِمَعَانِيهِ، وَ مَا أَحْوَجُنَا وَ بِالذَّاتِ مَجَامِينَا الْعَلْمِيَّةُ أَنْ نَتَعَلَّمَ وَ نَعَلَّمَ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ حَبْلُهُ وَ بَابُهُ إِلَى الْهُدَى وَ الْفَلَاحِ. إِنَّ الرُّسُولَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله) طَهَّرَ النُّفُوسَ وَ الْعُقُولَ مِنَ الْأَغْلَالِ وَ الْعَقْدِ، ثُمَّ رَاحَ يَعَلِّمُ الْأُمَّةَ مَعَانِيَ الْكِتَابِ بَعْدَ تَلَاوَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَ يَسْتَخْرِجُ لَهُمْ مِنْهَا مَنَاجِجَ الْحَيَاةِ، فِي السِّيَاسَةِ وَ الْاِقْتِصَادِ وَ الْاجْتِمَاعِ وَ الْعَسْكَرِيَّةِ، حَتَّى أَصْبَحَ الْقُرْآنُ بَدِيلًا حَضَارِيًّا شَامِلًا عَنِ الْمَنَاجِجِ الْجَاهِلِيَّةِ الضَّالَّةِ بِقَضَائِهَا وَ قَضِيضِهَا. وَ الْيَوْمَ حَيْثُ نَرِيدُهُ الْعُودَةَ إِلَى الْاِسْلَامِ بِاعْتِبَارِهِ الْحُلَّ الْأَمْتَلِ لِلْمَشَاكِلِ الْمَعْوُزَةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ الْبَشَرِيَّةُ الْفِرَارَ مِنْهَا لِأَنَّ نَعُودَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي وَلَجَهُ الْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ لِلرَّسَالَةِ نَبِيَّنَا الْكَرِيمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله)، فَنَشْرَعُ بِآيَاتِ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَى النَّاسِ، وَ نَذَكِّرُهُمْ بِرَبِّهِمْ حَتَّى يَنْصَهَرُوا جَمِيعًا فِي بُوْتَقِهِ الْوَحْدَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، ثُمَّ نَعَلِّمُهُمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ حَتَّى يَتَشَبَّعُوا بِقِيَمَةِ الْمَتَسَامِيَّةِ، وَ يَتَسَلَّحُوا بِرُؤَاهِ وَ بَصَائِرِهِ، وَ يَنْبَعَثُوا مِنْ آيَاتِهِ فِي كَافِهِ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَ مَوَاقِفِهِمْ.

ليكن القرآن أهمّ ماده دراسيه في مجاميعنا العلميه و مدارسنا و جامعاتنا و مراكز دراستنا حتى نُنظر من خلاله إلى كلّ شيء و نصبغ بصبغته كلّ عمل و موقف.

و حيث يريد الرسول لمن حوله أن يقودوا الحياه عمليًا بالقرآن علّمهم الحكمة أيضًا، ليحسنوا فهمه و تطبيقه على الواقع حسب اختلاف الظروف و تقدم الحياه و تطورها، فبالحكمة تستنبط الحلول لمشاكل الحياه و مفرداتها. و لو كان الرسول

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقتصر على تعليم نصّ القرآن للمسلمين و حسب دون إرشادهم لأصول الاجتهاد و مناهجه لكانوا يقعون فى مشاكل لا تنتهى.

و يبدو أنّ الحكمة الإلهية تستوحى من الآيات المحكمه التى يردّ إليها كل آيات القرآن و كل الحوادث الواقعة فى الحياه، ذلك لأنّ محكمات القرآن هى التى تذكّر الإنسان بالقيم الفطريه المرتكزه فى ضميره، و تثير دفائن عقله بالحقائق الكبرى التى يعرفها بذاته بعد التبصير بها.. و بكلمه: المحكمات القرآنيه هى مرتكزات العقل الإنسانى كالتوحيد و العدل و الحريه و المسؤليه و ما أشبه، و هى التى تعتبر مصدرا للتشريع الإلهى، كما يزعم المشرّعون الوضعيون أنّهم يعتمدونها فى تشريعاتهم.

و حينما يبلغ الإنسان درجه متقدمه من الوعى بهذه المرتكزات، و يعقلها عقل درايه، و يتعمّق فى معرفتها، هنا لك يصبح فقيها قد أوتى الحكمة، و آئذ يستطيع أن يستنبط سائر أحكام الشريعه منها، كما يتمكن من اعتمادها فى مواقفه السياسيه و الاجتماعيه المتغيره.

و أعرف الناس بالحكمه، و أقدرهم على استنباط الأحكام الفرعيه منها، و أوعاهم لبصائرها، هو الجدير بحكم الأمه، لأنه أقرب إلى القرآن من غيره، و لأنّ القرآن هو الحاكم الأوّل فى الأمه الإسلاميه، و إنّما يمثّله أوعى الناس له و أقرب الناس إليه..

لذلك فإنّ الحكمة هنا تعنى الولايه الإلهيه و القياده الشرعيه، لأنها وعاء الحكمة، و عيبه المعارف الربّانيه، و مرتكز البصائر القرآنيه.

من هنا جاءت النصوص المأثوره عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) تفسّر من جهه الحكمة بالولايه، و تبين من جهه أخرى أنّ الحكمة هى التفقه فى الدين.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله سبحانه: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»: «طاعه الله، و معرفه الإمام»  
(١)و

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الآية ذاتها: «إنَّ الحكمة المعرفة و التفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، و ما أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه» (٢)و

روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ آتَانِي الْقُرْآنَ، و آتَانِي مِنَ الْحِكْمَةِ مِثْلَ الْقُرْآنِ، و ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلا كان خراباً.

ألا تفقهوا و تعلموا و لا تموتوا جهالاً» (٣)و

في تفسير آخر مأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام): «و الحكمة هي النجاه، و صفه الحكمة الثبات عند أوائل الأمور، و الوقوف عند عواقبها، و هو هادى خلق الله إلى الله» (٤)و تكاد كلمات المفسرين في الحكمة تكون واحده، فقد فسرها مالك بن أنس أنها الفقه في الدين، و قال بعضهم: و يعلمهم الحكمة فيدر كون حقائق الأمور، و يحسنون التقدير، و تلهم أرواحهم صواب الحكم و صواب العمل، و قال آخر:

الكتاب: الوحي، و الحكمة: العقل، و قال آخر: إنَّ الحكمة هي العلم الذي يعمل به فيما يجتبي أو يجتنب من أمور الدين و الدنيا..

و هكذا تتواصل تفسيراتهم للحكمة لتوضح أنها بلوغ مستوى من علم الدين

ص: ٣٧٨

---

١-١) نور الثقلين/ ج ١ ص ٢٨٧

٢-٢) المصدر

٣-٣) المصدر

٤-٤) المصدر/ ص ٢٨٨

يُمكن الإنسان من معرفه متغيرات الشرائع و هو الفقه بلى. لا- يمكن فقه الإسلام بعمق من دون فقه الزمن، لأنَّ حكم الله يختلف من حادثه لأخرى و واقعه و ثانيه و إنما أصبح الفقهاء مرجعا لأحكام الدين لأنهم يعرفون الدين، و يعرفون شروط الزمن و متغيرات الحوادث، فيستنبطون أحكامها منه، و لذلك

جاء في الحديث الشريف: «و أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواه حديثنا».

و هكذا كانت الحكمة هي العقل المزكى بالدين، و هي لا تتأتى عادة إلا بعد الإلمام بسائر أحكام الشريعة و قيم الوحي.

و لأنَّ القرآن آخر رساله بعثها الرب إلى عباده، و هي التي تستمر حتى قيام الساعة برغم تطور الظروف، فإنَّ البشريه احتاجت إلى الحكمة المرتكزه في أئمة الدين لملاحقه المتغيرات.

و هكذا دعا إبراهيم (عليه السلام) ربه أن يبعث في العرب من يعلمهم الحكمة و الكتاب، فقال هو و ابنه إسماعيل: «رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»..

و استجاب الله لإبراهيم و بعث النبي محمدا (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى أولئك الأُميين فجعلهم الله به في مستوى رفيع، حتى

قال في بعضهم الرسول (صلى الله عليه و آله): «علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الفقه أنبياء» (1) و إن كانوا من قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

ص: ٣٧٩

لقد بلغوا من الضلال أبعد مدى حيث اتسموا بالتخلف فى جميع شؤونهم، فمن وأد البنات إلى قتل الأولاد و إلى التناسخ و التطاحن، إلى الفقر و المسكنه، و هكذا كانت حركة الرساله التى أنقذتهم من تلك الوهده العميقه حركه من خارج السياق التاريخى لمجتمعهم. و لو كانت مجرد تكامل طبيعى داخلى لما استطاعت القفز بهم إلى تلك القيم السامقه و بتلك السرعه الخياليه..

[٣] من غياهب ذلك التخلف البعيد و ذلك الضلال المبين تعالى ذلك الصوت الميمون يدعو العالمين إلى ولاده جديده، إلى الانبعاث من ضمير الجاهليه، إلى حياه الحضور الفاعل، و سوف تتواصل أمواج الملتحقين بالركب من شعاب الأرض و على امتداد التاريخ لأنها ليست دعوه مكيه للعرب، و لا دعوه قريشيه لقريش، و لا دعوه سياسيه لذلك العصر. إنها دعوه إلهيه تتجاوز الجغرافيا و العنصر و الزمن.. إنما دعوه رسول الله رب العالمين إلى الناس كافة..

و سوف تتزود المسيره الحضاريه من القيم التى جاءت بها، و تظل تأخذ بيد الإنسانيه نحو الهدى و الخير، كما تتزود من الخط الرسالى و قياده الشرعيه التى تشكل الامتداد الحقيقى للرسول قياده و ذكرا، و هو لا ينقطع فى كل زمان و جيل، حيث لا تخلو الأرض من حجه إلهيه، و لذلك يبقى الالتحاق بمدرسه النبى (صلّى الله عليه و آله) مركبه مستمرا مدى الحياه. تنتشر رسالته و تتوسع أمته بين الناس.

وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مِنْ هُم الْآخِرُونَ الَّذِينَ يَتَوَقَّعُ التَّحَاقُّهُمْ بِرُكْبِ الرَّسَالَةِ؟ قَالُوا: إِنَّهُمْ سَائِرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِ. وَ جَاءَ فِي حَدِيثٍ مُسْتَفِيزٍ مَأْثُورٍ

عن رسول الله أنهم قوم سلمان الفارسي..

□  
الحديث يقول: عن أبي هريره قال: كنا جلوسا عند النبي (صلى الله عليه وآله) إذا نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ:

□ □ □  
« وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ » قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي (صلى الله عليه وآله) حتى سأله مره أو مرتين أو ثلاثا، قال: و فينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي (صلى الله عليه وآله) يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لنالته رجال من هؤلاء» (١) و

□  
جاء في حديث آخر عن الرسول (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ فِي أَصْلَابِ أُمَّتِي رَجَالًا وَ نِسَاءً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ « (٢) وَ قَدْ اخْتَمَتِ آيَةُ الْكَرِيمِ بِاسْمِي الْعَزِيزِ وَ الْحَكِيمِ لِأَنَّ لِحَاقِ الْآخِرِينَ بِمَسِيرِهِ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَ امْتِدَادِ الرِّسَالَةِ فِيهِمْ عِبْرَ الزَّمَنِ، مَظْهَرٌ لِهَدْيِ الْأَسْمِينِ، إِذْ يَعَزُّ اللَّهُ بِهِمْ دِينَهُ بَيْنَ الْأُمَمِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ، وَ تَتَجَلَّى فِيهِمْ عِزَّتُهُ بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا أَنَّ مِنْ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ امْتِدَادَ الْمُؤْمِنِينَ بِرِسَالَتِهِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمَعَاوِرِ لِلرَّسُولِ وَ حَسَبِ، إِنَّمَا جَعَلَهُ عِبْرَ الْأَجْيَالِ وَ الْأَزْمَانِ أَيْضًا لِيَبْقَى مَشْعَلُ الْحَقِّ يَحْمِلُهُ الْوَالِدُونَ بَعْدَ السَّابِقِينَ، تَتَوَسَّعُ بِهِمُ الْأُمَّةُ وَ تَسْتَمِرُّ مَسِيرَتُهَا.

و من تجليات اسم الحكمة لربنا العزيز أنه لم يخص الجيل المعاصر للرسول بفضل الإسلام بل جعل الآخرين شركاءهم في الفضل بقدر درجاتهم الإيمانية و مساعيهم الحميدة، و هو القائل: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ».

[٤-٥] و تنتظم الآيه الرابعه فى هذا السياق لتلغى أى تصوّر محدود عرقى أو قومى للرساله بأنّها تخص أهل مكه أو العرب فقط، مؤكده بأنّ الهدايه إلى الحق

ص: ٣٨١

١- (١) القرطبي/ج ١٨ ص ٩٢

٢- (٢) المصدر/ص ٩٣



مكرمه إلهيه يهبها البارى لمن يشاء من خلقه.

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ أَمَّا اللُّغَةُ وَ اللُّونُ وَ الحسبُ وَ سائر الصفات وَ المقاييس الماديه فليست فضلاً بذاتها حتى يفتخر العربى على العجمى، أو الأبيض على الأسود، أو ذى القرايه على البعيد، كلاً..و حيث يختص هذا الفضل باللّه عزّ و جلّ و هو صاحب الخيره الذى لا يسأل عمّا يفعل فليس لأحد أن يدعى اختصاصه به من دون الناس، كما صنعت اليهود و النصارى، و اختلقت لذلك ألوانا من الفلسفات الشركيه التى تصوّر الله مغلولاً أو رهن إرادات خلقه، سبحانه عمّا يصف المشركون.

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فى إنقاذ الناس من الجاهليه و الضلال الميين إلى نعمه الطهاره و العلم و الهدى، و ليس ما زعمها البعض فى تحليله للتغير الحضارى الذى حدث فى تاريخ شبه الجزيره بأنّه راجع إلى حاله من التكامل الطبيعى الذى يقع عند الأمم، كلاً..بل هو فضل إلهى، و ينفى قوله: «يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» أنّ التاريخ ليس بالضروره فى مسيره هابطه، كما زعم البعض اعتقاداً منهم أنّ الجيل الأوّل يكون أبداً أفضل الأجيال، كلاً..إنّ ربّنا ذو فضل عظيم، فأىّ جيل فى أىّ عصر و فى أىّ بقعه اتجه إلى الله عمّه الله بفضل الكبير.

و هذه الآيه من جهه أخرى مدخل لانعطاف السياق نحو الحديث عن اليهود، الذين زعموا بأنّ فضل الله (رسالته و رسله) خاص بهم، و لم يتحمّلوا مسؤوليه رساله، إنّما راحوا يتشبثون بالقشور، و جعلوا مجرد اختيار الله لهم لرسالته فضل،

يفتخرون به، و يتَهَرَّبون باسمه من الالتزام بمسؤولياتهم..بلى. إنَّ رساله الله فضل عظيم، و لكنَّ أحدا لا يبلغ الفضيله و الكرامه بها إلاّ بالعمل و تحمّل المسؤليه، أمّا أن يكتفى العرب بمجرد أن الرسول كان منهم، و أنّ الآيات تنزلت بينهم، فإنّه أمر خطير ينتهى بهم إلى ما انتهى إليه اليهود من قبلهم فصاروا كما وصف الله تعالى:

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا تحتوي العلم و لكنّه لا يتنفع بها شيئا، و فى هذا التشبيه دقه بالغه، فإنَّ حمل الرساله ليس باقتناء نصوصها فى الجيب و رفوف المكتبه أو بجمعها و حملها على الرأس و الكتف، كلاً..و إلاّ فالحمار أقدر على حمل عدد أكثر و وزن أكبر من أسفار الرساله، إنما حمل الرساله بتطبيقها و الالتزام بها فى الحياه، لأنّها قيم و ليست مادّه. و لعل المثل موجه إلى علماء السوء الذين لم يراعوا أمانه العلم و الدين، بل استغلّوها فى الوصول إلى المصالح الشخصيه و الشهوات، لأنّهم أبرز مصاديق المحمّلين لمسؤوليه الرساله، و ليس من أحد يشك فى أنّ الانحراف الذى وصل إليه اليهود، و لا زالوا مرتكسين فيه، كان بسبب ادعاء العلم و الدين. أو ليسوا اليوم يحاربون الإسلام باسم التوراه؟ أو ليسوا ينتهكون حرمة المسجد الأقصى باسم الدين و بفتاوى الأحرار؟ أو ليسوا يمارسون الظلم و الإرهاب ضد الناس؟ بلى. فليست التوراه إذن هى التى تملى عليهم ذلك، لأنّها رساله الله- رساله الألفه و المحبّه و السلام-. إنّ الله كرم الإنسان على كثير ممّن خلق و فضّله تفضيلاً، و لكن بأى شىء؟ هل بضخامه جسده و قوته الماديه؟ كلاً..فإنّ كثيرا من الأحياء أقوى منه جسداً و أكبر، و لكن إنّما كرامه الآدمى بالعقل و باتباع رسالات الله، فما ذا بقى لدعاء التوراه و هم يخالفون هدى العقل، و يكذبون رساله الله، سوى أن يشبّهوا

بالحمار؟ بئس مثلُ القومِ الذينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وحيث أنها النهج الذى يقود الإنسان إلى الصلاح وقيم الخير (الهدى) فقد ضلوا الطريق إلى ذلك، وتخطوا فى الضلال والظلم، وقد نظم الشعراء فى هذا المثال شعرا لعل أطرافه قول بعضهم:

إن الرواه على جهل بما حملوا مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لما ذا اعتبر هؤلاء من الظالمين؟ يبدو أن السبب أن مثل هؤلاء -تجار الدين و أدياء العلم- إنما يتركون تطبيق روح الآيات، و يكذبونها، و يحرفونها عن مواضعها، ليحصلوا على دراهم معدودات من المتطفلين و المستكبرين، فيلحقون بهم عند الله، و يعتبرون من الظالمين. و لأن الله لا يهدى الظالمين فإنهم يخرجون من إطار العلماء بالله، و لا يمكن أن يكونوا سفراء بين الله و عباده المؤمنين، و لا تكون آراؤهم حجة شرعية، لأنها تنبعث من وساوس الشيطان و ليس من وحي الرحمن، و من هنا لا يعتبر الشرع المقدس الفقيه غير العادل فقيها أبدا.

[٦-٧] و لقد تورط اليهود فى التكذيب و الظلم بالآيات فكانوا مصداق مثل الله فيهم « كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا »، و لكنهم سعوا للاحتفاظ بعلاقه ظاهرية مع رساله الله ليستغلوا السذج من الناس باسمها، فزعموا أن الدين حكرا عليهم، و أنهم وحدهم يمثلون الشرعية الدينية، و أن من يجراً على الكلام فى

فضائحهم إنما هو مارق يجب قتله، فهم من دون الناس شعب الله المختار، بيد أن القرآن يضعهم أمام محك وجداني ليفضح مزاعمهم، بامتحانهم من خلال أعمق الصفات تجذرا في نفوسهم ألا وهي حب الحياه و البقاء، وَ لَتَجِدَنَّهْم أَلْحَرَصَ النَّاسِ عَلَيَّ حَيَاهِ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سِنِهِ (١) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ و السؤال: هل يصلح هذا التحدى محكاً لمعرفة صدقهم أو عدمه، فهب أنهم سألوا الله الموت فهل يثبت ذلك أنهم أولياء الله؟ و نجيب أن هذا التحدى يحمل على ثلاثه معانى:

□  
الأول: أن اليهود الذين باهلهم الرسول (صلى الله عليه و آله) يومئذ كانوا يموتون لو تمنوا الموت تلك اللحظه،

□  
قال رسول الله: «لو تمنوا الموت لماتوا عن آخرهم» (٢).

□  
الثانى: أن أولياء الله بصدق يموتون لو طلبوا منه لقاءه بالموت لثقل دعائهم فى ميزانه عز و جل.

الثالث: أن التمنى هنا مقياس من زاويته الوجدانيه، و ليس مجرد الحديث عنه، بينما اليهود أشبعوا فى قلوبهم حب الدنيا و حب البقاء بحيث لم يكن يتمنى أحدهم الموت أبدا، و ذلك بسبب كفرهم بالآخره و علمهم بأنهم لا يملكون فيها شيئا، و هذا مقياس يميز أولياء الله عن غيرهم، فإنه مكتوب فى التوراه:

ص: ٣٨٥

١-١) البقره ٩٦/

٢-٢) تفسير البصائر/ ج ٤٦ ص ١٨٧

أولياء الله يتمنون الموت (١)، و

□  
□  
في الخبر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب» (٢)، أمّا الأولياء الذين عمروا آخرتهم فهم يحبون الانتقال إليها، و ليس اليهود كذلك.

□  
□  
وَ لَا يَتَمَنُّونَهُ أَيَّدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيُّدِيهِمْ وَ كَيْفَ يَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ وَ هُوَ الْجَسْرُ الْمُوَصَّلُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ وَ الْجَزَاءُ مِنْ عِنْدِهِ وَ قَدْ قَدَّمُوا الْخَطَايَا وَ الذُّنُوبَ؟ إِنَّ أَعْمَالَهُمْ وَ أَفْكَارَهُمْ تَوَكَّدُ فِيهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَ حُبُّ الْبَقَاءِ، وَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ تَكَرَّرَ لَهُمْ لِقَاءُ اللَّهِ وَ الْآخِرَةَ وَ إِذَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَخْدَعُوا النَّاسَ بِأَنْهَمُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَ يَخْفُوا حَقِيقَتَهُمْ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْدَعُوا اللَّهَ أَبَدًا.

□  
□  
وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ تَصَدَّقُ فِي سَائِرِ الْيَهُودِ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ التَّوْرَةِ فَإِنَّهَا أَصْدَقُ فِي أَحْبَارِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا مُتَشَبِّهِينَ بِحَيَاهِ. أَيُّهُ حَيَاهُ، فِي مَقَابِلِ أَيِّ ثَمَنٍ؟! حَيَاهِ الذُّلِّ وَ التَّبْعِيَّةِ وَ الْمَهَانَةِ، وَ بِثَمَنٍ فَقْدَانِ دِينِهِمْ وَ عَزَّتِهِمْ، وَ رُبَّمَا رَاحَتِهِمْ. وَ أَعُوذُ بِاللَّهِ عِنْدَ مَا يَصْبِحُ الْعَالَمُ جَبَانًا، فَإِنَّهُ لَا يَجْعَلُ نَفْسَهُ فَقَطْ تَابِعًا ذَلِيلًا لِلْجَبَّارِينَ، بَلْ وَ أَيْضًا يَجْعَلُ مِنْ أَتْبَاعِهِ مَجْمُوعَةً ذَلِيلَةً وَ خَاضِعَةً لِكُلِّ حَاكِمٍ ظَالِمٍ، وَ يَرَسُمُ خَطًّا انْهَازَمِيًّا تَبْرِيرِيًّا فِي وَاقِعِ الْمَجْتَمَعِ بِمَا يَبْتَهُّ مِنْ أَفْكَارٍ سَلْبِيَّةٍ وَ بِمَا يَحْرَفُهُ مِنْ نصوصٍ دِينِيَّةٍ.

و هذه السنه جرت في علماء اليهود و النصرارى و في بعض علماء المسلمين الذين

ص: ٣٨٤

١- ١) تفسير القمى / ج ٢ عند الآيه

٢- ٢) نور الثقلين / ج ٥ ص ٣٢٤

ما زالوا متسكعين على أبواب الملوك سرا وعلنا، يوقعون على جرائمهم بكل الأصابع، و يكيلون لهم سيل الفتاوى الكاذبه أنى شاؤوا، و يزورون إراداه الجماهير، و يحرفون نصوص الدين. إنهم بحق قطاع طريق الله، كما جاء في حديث قدسى، و إن خطرهم على الإسلام أشد من خطر ألف سيف و ألف بندقية، «هُمَّ الْعِيدُ وَ فَاخْذَرَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ». و ليعلم هؤلاء أنهم مهما خدعوا الناس أو أنفسهم فإن الله عليم بهم، و سيقدمهم للحساب حسب علمه سبحانه لا حسب خداعهم أو التباسهم، و سيلقيهم فى الجحيم و هم مهانون.

[٨] قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ و

فى الخبر خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) الناس فقال:

«أيها الناس! كل امرء لاق فى فراره ما منه يفر، و الأجل مساق النفس إليه، و الهرب منه موافاته» (١)، و

قال الصادق (عليه السلام): «تعدّ السنين، ثم تعدّ الشهور، ثم تعدّ الأيام، ثم تعدّ الساعات، ثم يعدّ النفس، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعه و لا يستقدمون» (٢).

و هكذا الإنسان و كل حى لعلى موعد مع الموت، و إنما العمر مطيه تحث بنا الخطى نحو ميعادنا المصيرى، و إن كل لحظه تمر بنا لهى تنتقص من أجلنا بقدرها، فعلينا ألا نحسب تقادم الأيام طولا فى أعمارنا، فنقول مثلا فلان طويل العمر عمره سبعون عاما أو ثمانون، و إنما الحقيقة أنه انتقص من عمره هذا القدر. ثم هل ينتهى بالبشر المطاف عند الموت حتى يطلق لنفسه العنان، و يسير فى الحياه حيث يريد؟! إنما الموت قنطره إلى الحساب و الجزاء، و المحاسب هو الله الذى لا يخفى

ص: ٣٨٧

١- ١) تفسير القمى / ج ٢ عند الآيه

٢- ٢) نور الثقلين / ج ٥ ص ٣٢٤

عليه شيء، أما الحياة الدنيا فإنها ليست حياة اللهو واللعب، إنما هي عرصه المسؤولية والالتزام أمام الله بما يأمر به وينهى عنه.

ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وحرى بالإنسان الذى يواجه تحدى الزمن والموت أن يتسلح بالإيمان والعمل، لأنهما الطريق الوحيد لانتهاز فرصه العمر، وإذا كان البشر عاجزاً عن الفرار من الموت فهو لا ريب قادر على اختيار العاقبه الحسنی بالعمل الصالح، الذى هو سفینه النجاه والميزان الأوحد عند الله، لا الحسب والنسب أو الانتماء الظاهر.

[٩] وهكذا مهّد الله -بالآيه السابقه- للحديث عن الجمعه واعتبارها عيداً للأمم، ويؤكد استقلالها فى شعائرها بالإضافة إلى استقلالها فى رسالتها عن الأمم الأخرى، كالنصارى واليهود الذين لهم رسالتهم (التوراه والإنجيل) وعيدهم (السبت والأحد) (١)، ويعطى القرآن فى هذه السوره صلاه الجمعه ويومها الموقوع والمفهوم الحقيقى فى منهج الإسلام، فالجمعه على الصعيد الخارجى رمز الاستقلال، وعلى الصعيد الداخلى رمز الوحده والائتلاف.

ومن هذه الحثيات وأخرى غيرها تأتى الدعوه الإلهيه بالسعى لصلاه الجمعه وترك كل ما سواها لهوا أو بيعا أو ما أشبه من شؤون الدنيا، وهكذا أصبح السعى إلى الجمعه لدى بعض المسلمين (مذاهب و علماء) أمراً مفروضاً يجمع الأمة عند توافر شروطها، و

جاء فى كتاب من لا يحضره الفقيه مروى: إنّه كان بالمدينه إذا أذن المؤذن يوم الجمعه نادى مناد حرم البيع، لقول الله: «آيه الجمعه» (٢). وقال

ص: ٣٨٨

١- ١) وهناك إشارات لهذه الفكره فى الأخبار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنتم إذا تهيأ أحدكم الجمعه عشيه الخميس كما تهيأ اليهود عشيه الجمعه لسبتهم؟» تفسير البصائر/ ج ٤٦ ص ٣٤٥

٢- ٢) نقله نور الثقلين/ ج ٥ ص ٣٢٥

الإمام الباقر (عليه السلام) يصف اهتمام الرعيل الأول من المسلمين بالجمعه:

«و الله لقد بلغنى أنّ أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) كانوا يتجهّزون للجمعه يوم الخميس» (١)، و

عن جابر بن عبد الله قال: أقبل غير (جمال محمله) و نحن نصلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانفضّ الناس إليها فما بقى غير اثني عشر رجلا أنا فيهم، فنزلت الآية: «(١١)» (٢)، و

قال الحسن أبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع و غلاء سعر فقدم دحيه بن خليفه بتجاره زيت من الشام، و النبي (صلى الله عليه وآله) يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشيه أن يسبقوا إليه، فلم يبق مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلا رهط، فنزلت الآية، فقال (صلى الله عليه وآله): «و الذى نفسى بيده لو أنه تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادى نارا» (٣).

إلا أنّ كثيرا من فقهاء الإسلام اعتبروا وجود الحكم الإسلامى و الإمام العادل شرطا لإقامه صلاه الجمعه، و لعلّ ذلك مرتكز على كونها من الشعائر الدينيه السياسيه التى ينبغى أن لا ينتفع منها الظلمه فى تضليل الناس و تمكين أنفسهم، فهى من أهم و أبرز المناسبات التى يجتمع فيها المسلمون ممّا يسمح للطغاه اتخاذها منبرا جماهيريا لتضليل المجتمع، و نحن نقرأ فى التاريخ كيف أصبحت خطبها مركزا لحرب أولياء الله، كما فعل ذلك الحزب الأموى تجاه الإمام على و أهل البيت (عليهم السلام)، كما ترى اليوم كيف حوّل علماء السوء خطبتي الجمعه بوقا من أبواق الطغاه إلى حدّ صاروا يتسلّمون خطبهم من الحكومات نفسها، و يستلمون لذلك الأجر.

ص: ٣٨٩

١-١) المصدر/نقلا عن الكافى

٢-٢) المصدر

٣-٣) المصدر



و هكذا

جاء فى الحديث المأثور فى كتاب الدعائم عن على (عليه السلام) أنه قال: «لا يصلح الحكم و لا الحدود و لا الجمعة إلا للإمام أو من يقيمه الإمام» (١).

و هكذا

روى سماعه فى موثقه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

□  
سألت أبا عبد الله عن الصلاه يوم الجمعة، فقال: أمّا مع الإمام فركعتان، و أمّا من يصلى وحده فهى أربع ركعات، و إن صلّوا جماعه (٢) و

فى خبر مأثور عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: «فإن قال: فلم صارت الصلاه الجمعة إذا كان مع الإمام ركعتين، و إذا كان بغير إمام ركعتين ركعتين؟ قيل لعل شتى، منها: إن الإنسان يتخطى إلى الجمعة من بعد، فأحبّ الله عزّ و جلّ أن يخفّف عنهم لموضع التعب الذى صاروا إليه، و منها: إن الإمام يجسهم للخطب، و هم منتظرون للصلاه، و من انتظر الصلاه فهو فى صلاته فى حكم التمام، و منها: إن الصلاه مع الإمام أتمّ و أكمل لعلمه و فقهه و عدله و فضله، و منها: إن الجمعة عيد و صلاه العيد ركعتان، و لم تقصر لمكان الخطبتين. فإن قال: فلم جعل الخطبه؟ قيل: لأنّ الجمعة مشهد عام فأراد أن يكون للإمام سبب إلى موعظتهم، و ترغيبهم فى الطاعه، و ترهيبهم من المعصيه، و توفيقهم على ما أراد من مصلحه دينهم و دنياهم، و يخبرهم بما ورد عليه من الأمان من الأهوال التى لهم فيها المضره و المنفعه. فإن قال: فلم يجعل الخطبتين؟ قيل:

□  
لأن يكون واحده للثناء و التمجيد و التقديس لله تعالى، و الأخرى للحوائج و الإعذار و الإنذار و الدعاء و ما يريد أن يعلمهم من أمره و نهيه و ما فيه الصلاح و الفساد» (٣).

ص: ٣٩٠

١-١) موسوعه جواهر الكلام ج ١١ ص ١٥٨ الطبعة الثانيه

٢-٢) المصدر/ص ١٦٠

٣-٣) المصدر/ص ١٦٥

و هكذا نقل العلامة الشيخ حسن النجفي إجماع الطائفة على اشتراط الإمام العادل (الحاكم) حتى بلغ أربعين شهاده على هذا الإجماع (١)، منها: قول الكركي: يشرك لوجوب الجمعه السلطان العادل و هو الإمام أو نائبه عموما أو في الجمعه. بإجماعنا (٢).

و لكنّ السؤال: هل هذا الإجماع يدل على أنّ شرط وجوب الجمعه وجود إمام عادل أنّى كان أم إمام معصوم من أهل البيت (عليهم السلام) خصوصا؟ يبدو لى أنّ القضيّه تتصل بموضوع الولاية العامه للفقهاء العدول، فمن رأى أنّهم امتداد لحكم المعصومين (عليهم السلام) ينبون عنهم نيابه عامه، و أنّ عليهم تطبيق كلّ واجبات الشريعة من إقامة الحدود، و فرض الجهاد و الزكاه، و. و. و الظاهر أنّ الجمعه ليست أعظم من اقامه الحدود، و الدفاع عن حرّات المسلمين، فهي الأخرى من شؤون وليّ الفقيه الحاكم، أمّا الذين لا يتصورون إقامة حكومه إسلاميه في غيبه الإمام المعصوم فإنّهم لا يرون الجمعه فيها أيضا لأنّهم في الأغلب يشترطون إذن الإمام فيها، و يعتبرونها من شؤونها كالحدود و القصاص و الجهاد.

بلى. مسوّغ أغلب الفقهاء اختيار الجمعه بالمجتهد العادل أو حتى بإمام جماعه عادل في ظروف الحرّيه، و مع عدم وجود حكومه إسلاميه عادله، من هنا قال في المعتبر:

السلطان العادل أو نائبه شرط وجوب الجمعه، و هو قول علمائنا. و قال أبو حنيفه: يشترط وجود إمام و إن كان جائرا. و قال الشافعي: لا يشترط. و ردّه بأنّ معتمدنا فعل النبي فإنّه كان يعين لإمامه الجمعه - و كذا الخلفاء بعده - كما يعين للقضاء، و كما لا يصح للإنسان أن ينصب نفسه قاضيا من دون إذن الإمام كذا

ص: ٣٩١

---

١-١) راجع المصدر/ص ١٥٦

٢-٢) المصدر/ص ١٥٤

إمامه الجمعة. ثم قال: و هل للفقهاء المؤمنين- حال الغيبه-و التمكّن من الاجتماع و الخطبتين صلاه الجمعة؟ أطبق علماؤنا على عدم الوجوب، و اختلفوا فى استحباب إقامتها فالمشهور ذلك (١).

□  
و يوم الجمعة يوم عيد للمسلمين و هو سيّد الأيام، و ليلتها ليله عبادته و تهجّد، و يندب فيها المزيد من الابتغال إلى الله، و الانشغال بالمستحبات، و زياره القبور لتذكر الموتى و التحريم عليهم و الإعتبار بصيرهم، و بالذات قبور أئمه الهدى (عليهم السلام) و مرقد سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين (عليه السلام)، و تجديد العهد مع الرسول و آل بيته و الإمام الحجه (عليهم السلام) بالاستقامه على خطّ رساله.

كما ينبغى صله الأرحام، و التوجّه إلى المساكين، و التراور مع الإخوان، فى هذا اليوم الشريف.

كما ينبغى محاسبه الذات لتجديد العزم على متابعه الخطط السليمه و مقاومه الانحرافات و الضلالات.

□  
و عموما فإنّ يوم الجمعة ليس يوم اللعب و اللهو و الانشغال بالتوافه، و إنّما هى فرصه المؤمنين للتفرغ للعباده و ذكر الله بخير الأعمال يومئذ حيث صلاه الجمعة المتميزه بفروضها و خطبتها و مظهرها الاجتماعى. و هذا نداء الله و دعوته للالتزام بها و إقامتها إذ يقول:

□ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ

ص: ٣٩٢

فكل مؤمن إذن مكلف بالامتثال لهذا الأمر الإلهي ما لم يمنعه مانع مشروع عند الله، وحيث يدعو الله للصلاه جمعه كل أسبوع فإن هذه الفريضة تبقى مقياسا لوحده الأمه و مصداقيه إيمانها بنسبه التفاعل مع هذا التكليف الرباني الحكيم.

□  
و إذا ينادى الوحي المؤمنين بالسعي للفضيله و ذكر الله-سعيًا بالروح قبل الجسد- فلا بد لنا أن نتحرر من شتى الأصر و القيود التي تثقلنا و تشدنا إلى الأرض أولاً، أتى كانت ماديه أو معنويه، و هذه الفكره تفسير لنا العلاقه بين الدعوه للسعي إلى ذكر الله و بين الأمر بترك سائر شؤون الدنيا كالبيع وقت صلاه الجمعه.

و قد أفتى كثير من فقهاء المسلمين بحرمه البيع حينها، بل قال بعضهم ببطلان العقد أساسا إذا صارت الجمعه واجبه لازمه بتوافر شروطها، قال المحقق في الشرائع: إن باع (عند النداء) أثم و كان البيع صحيحا على الأظهر. ثم قال العلامة الشيخ حسن النجفي عن هذا الحكم: الأشهر بل هو المشهور نقلا و تحصيلا (1).

و لعل الإنسان يتحسس للوهله الأولى الذي يقع فيها فكره على هذا الحكم الإلهي أنه يخالف مصالحه، و لكنّه إذا ما درسه من أبعاده المختلفه، و ارتقى درجه في الوعي بحقائق الحياه، و جدّه منظويا على خير الدنيا و الآخره بالنسبه له، كما وصف القرآن:

□  
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ و من ذلك الخير وحده المجتمع المسلم، و ما يتلقاه من الوعي و الهدى في شؤون الدين و الدنيا حيث خطبتى الصلاه، و كذلك التوفيقات الإلهيه التي يختص بها

ص: ٣٩٣

المصلين المستجيبين لدعوته. وهذه بعض الأخبار التي تبين جانباً من فضائل الجمعة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أف لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعه لأمر دينه فيتعاهده و يسأل عن دينه» (١).

و

قال (صلى الله عليه وآله): «إن لكم في كل جمعه حجه و عمره، فالحجه الهجره إلى الجمعة، و العمره انتظار العصر بعد الجمعة» (٢).

و

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إذا كان يوم الجمعة نزل الملائكة المقرَّبون معهم قرطيس من فضه و أقلام من ذهب، فيجلسون على أبواب المسجد على كراسى من نور، فيكتبون الناس على منازلهم الأوَّل و الثاني حتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم، و لا يهبطون في شيء من الأيام إلا في يوم الجمعة» (٣).

و

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرّم الله جسده على النار» (و قال): من صلى معهم في الصّف الأوَّل فكانت ما صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الصّف الأوَّل» (٤) و

قال (عليه السلام):

«و إنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة، و إن أبواب السماء لتفتح بصعود أعمال العباد» (٥) [١٠] و لأنّ الإسلام جاء منهجاً كاملاً و شاملاً لأبعاد الحياه الإنسانيه جعله

ص: ٣٩٤

١-١) تفسير البصائر/ج ٤٦ ص ٣٤٣

٢-٢) المصدر/ص ٣٤٦

٣-٣) المصدر/ص ٣٤٣

٤-٤) المصدر/ص ٣٤٦

٥-٥) المصدر/٣٤٤

اللّٰه متوازنا في أصوله و أحكامه بحيث لا- يتضخم بسببه جانب في حياة الإنسان على حساب جانب آخر، فهو منهج الدنيا و الآخرة، و الدين و السياسة، و الروح و الجسد، و حيث تتكامل شخصيه الإنسان بالوصول إلى المصالح المشروعه من جانب و بالتزام الواجبات المفروضة من جانب آخر فقد دعاه الدين إلى مصالحة جنباً إلى جنب دعوته للالتزام بواجباته، و لم يجعل فروضه بديلاً عما يطمح إليه الناس من المصالح و التطلعات، و لذا نجد القرآن فور ما يأمر بالسعى إلى صلاة الجمعة يأمر بالانتشار لممارسه الحياة الطبيعيه و بلوغ المآرب و الأهداف، و الحصول على الرزق و لقمة العيش. و إنّ الدعوه للصلاه يوم الجمعة و تحريم البيع حينها هي منهجيه لتأسيس انتشار الإنسان المؤمن لابتغاء فضل اللّٰه على هدى القيم و الإيمان.

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ كُلِّ إِلَى مَقْصَدِهِ. و هذه الدعوه المنطويه على الأمر بالسعى لشؤون الدنيا تهدينا إلى أنّ الصلاة و العباده ليست بديلاً عن ممارسه الحياة الطبيعيه و الاجتماعيه، كما فهمها بعض المتصوّفه، فالدين منهج لتوجيه الإنسان و قياده الحياه، يجد الناس فيه فرصه للعباده و منهجا للسعى و العمل، و

قد قال الإمام الصادق (عليه السلام) يفسّر هذه الآية: «إني لأركب في الحاجه التي كفاها اللّٰه. ما أركب فيها إلا التماس أن يراني اللّٰه أضحي في طلب الحلال. أما تسمع قول اللّٰه عزّ اسمه: الآية أ رأيت لو أنّ رجلاً دخل بيتاً و طين عليه بابه ثم قال: رزقي ينزل على أ كان يكون هذا؟ أما إنه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم، قال الراوي قلت من هؤلاء؟ قال: ... و الرجل يكون عنده الشىء فيجلس في بيته فلا ينتشر، و لا يطلب، و لا يلتمس حتى يأكله، ثم يدعو فلا يستجاب له» (1) بلى. إنّ فضل اللّٰه و رزقه ينال بالسعى و العمل الحثيث من أجله، لذلك يقول تعالى بعد الدعوه للانتشار:

ص: ٣٩٥

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَيَّ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ فِي مَوْضِعٍ يَرْتَجَى فِيهِ الْفَضْلُ وَالرِّزْقُ أَوْ تَجِدُونَ أَنْفُسَكُمْ أَمَامَ فَضْلِ اللَّهِ تَصِيْبُونَ مِنْهُ رِزْقَكُمْ.

وَإِذْ كُرِّمُوا بِاللَّهِ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأهميه الاستمرار في ذكر الله للإنسان حيث ينتشر في الأرض و يبتغى من فضل الله أنه يجنبه الانحراف و الوقوع في الأخطاء بسبب نسيان الله، فإن ذكر الله لا يسعى نحو الحرام، ولا يسلك الطرق الملتويه، ولا يغش الناس و يضرهم، فهو يرتجى له الصلاح و الفلاح.

و من اللطائف الواردة في هذه الآيه أنه تعالى قال: فَإِذَا قُضِيَ بِتِ الصَّلَاةِ بِنَاء الفعل للمجهول بينما يفترض أن يقول: فإذا قضيتم الصلاة، وصلا بخطابه الأنف للمؤمنين، إلا أن هذه الصيغه للفعل تعطى حرمة لوقت الصلاة بالذات، بحيث يكون المفهوم أن البيع وقت صلاة الجمعة المستوفيه شروطها حرام لمن شهد الصلاة مع المسلمين و لمن لم يشهدا عمدا، و لو جاء التعبير للمعلوم: فإذا قضيتم الصلاة لكان الحكم منحصرًا للمصلين فقط و لا يشمل غير المصلين.

[١١] و بعد أن يرسم الوحي للمؤمنين الموقف المطلوب تجاه صلاة الجمعة -و هو السعي لذكر الله و ترك البيع وقتها- ينشئ السياق القرآني لنقد ظاهره الانفضاض إلى شؤون الدنيا و تقديمها على الصلاة، مما يشير إلى وجود ضعف في الإيمان لدى المجتمع، و انخفاض في مستوى التفاعل مع شعائر الدين و برامجها.

وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِمًا

خوف أن يفوتهم ذلك أو يسبقهم الآخرون إليه، وهذه الظاهره تنطوي على هزيمه أمام جموح النفس و ميلها العظيم للدنيا، ممّا يكشف عن ضعف الإيمان الذى يريد الإسلام مقدّما و ما يتصل به على كلّ شىء فى حياه أبنائه. وقد استفاد الفقهاء و المفسرون حكما باستحباب الوقوف أثناء خطبتي الجمعة من هذه الآية إذ وصفت الرسول قائما بعد الانفضاض. و عن أبى بصير أنّه سئل عن الجمعة: كيف يخطب الإمام؟ قال: يخطب قائما فإنّ الله يقول: وَ تَرَكُوكَ قَائِمًا (١).

و يعالج القرآن هذه الظاهره السلبيه التى تنم عن ترجيح التجاره و اللهو على حضور الصلاه بيان أنّ ما عند الله الذى يتأتى بالتزام مناهجه خير من ذلك كلّ.

و الآية نفسها فضح للاعتقاد بالتناقض بين الالتزام بالدين و بين الدنيا، و الذى يقع فيه البعض عمليًا فلا يرون إمكانيه الجمع بين الإثنين فيرجحون الدنيا باعتبارها الأجر المقبوض على الآخره المؤجله. و الحقيقه أنّ خير الالتزام بمناهج الله فى الحياه ليس مقتصرًا على الآخره فقط، بل يشمل الدنيا أيضا.

قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّاكِبِينَ فالذى يريد كلّ الخير معنويًا و ماديًا، و فى الدنيا و الآخره «ما عند الله» فإنّ سبيله اتباع نهجه القويم، و أى خير فى تجاره لا تقوم على هدى الوحي و تقوى الله؟ إنّها تزرع الطبقيه المقيته، و الفقر، و تسبب الانحطاط فى الإقتصاد.

و فى ترتيب كلمات الآية الكريمه ملاحظه جديره بالالتفات، ففى البدايه عند ما أراد الله بيان ظاهره الانفضاض عن الصلاه قدّم التجاره - و هى الأهم - على اللهو، و ذلك ليبيّن مدى ترجيح البعض لأموال الدنيا على شؤون الدين، فهم ليس

ص: ٣٩٧



تستخفهم التجاره و حسب بل يتأثرون بما هو أبسط و أقل شأنًا منها و هو اللهو.

□  
و حيث أراد التأكيد على أنّ ما عنده أفضل ممّا ينفضّ له الناس قدّم الأدنى على الأهم تدرّجًا، فما عند الله ليس خيرا من اللهو بل حتى ممّا هو فوقه كالتجاره.

□  
بلى. إنّ البعض و منهم التجار لا يلتزمون بالشعائر الدينيه خشيه الخساره أو أن تفوتهم أرزاقهم، و لكنّ الله يؤكّد لهم العكس و هو أنّ الصلاه و بالذات صلاه الجمعه تجلب الرزق، باعتبارها صله الإنسان بضامن الرزق و معطيها، بل بخير الرازقين.

ص: ٣٩٨

سوره المنافقون

اشاره

ص: ۳۹۹



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فضل السوره:

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: «من قرأها برىء من الشرك و النفاق فى الدين».

ثواب الأعمال و عقابها/ ص ٢١٠

ص: ٤٠١



فى هذه السوره يفضح الوحى خطّ النفاق فى الأسمه، و ذلك ببيان معالم مسيرتهم، حيث التكلّف فى إظهار الإيمان و الطاعه للقياده الرساليه، و العيش بوجهين و شخصيتين: إحداهما التظاهر بالإيمان المؤكّد بالإيمان و الاهتمام بالمظاهر الدينيه و المظاهر المختلفه، و الأخرى الكفر العملى المبطن، فهم يستنكفون الاعتراف بالقياده و الذهاب إليها لتستغفر لهم، و هكذا يصدّون أنفسهم عنها لإضعاف مركزها بشتى الطرق و الأساليب، و من بينها الحرب الاقتصاديه ضدها لفضّ الناس عنها و تعطيل مشاريعها. و لكنّ الآيات تتركز عند نقطه محوريه هى موقفهم من الحياه الرساليه مبدئيًا و نفسيًا و اجتماعيًا و اقتصاديًا.

و يقف السياق فى نهايه السوره ضد هذه الخطه الغادره ليدفع المؤمنين نحو حركه معاكسه و مضاعفه ضد مكر المنافقين، بدعوتهم لعدم التلهّى بالأموال و الأولاد عن ذكر الله و الجهاد فى سبيله (كما يريد المنافقون) لما فى ذلك من عظيم الخساره، و بتحريضهم من جهه أخرى على سبق الأجل بالإنفاق من مال الله فى سبيله، بصوره تضعهم فى سياق التحدى مع الموت و العدو، سباقا معطيته (الأجل

القادم، و الفرصه الوحيده القليله، و المصير الحاسم، فإمّا الانتماء للخاسرين حيث العذاب، و إمّا الانتماء لفريق الصالحين حيث الجنه)، و هكذا سباق لا يدّخر العاقل فيه جهداً، و لا يضع فرصه أبداً.

و نقرأ فى آيات هذه السوره بيانا لجانب من ركائز النفاق كمخالفه القياده الرساليه، و الاستكبار على من حولها من المستضعفين و الفقراء، و الاغترار بما عندهم من الأموال، و هنا يطرح السؤال التالى نفسه: لماذا هذا الحديث العريض عن النفاق و المنافقين فى كثير من مواضع القرآن إلى حدّ يخصّص الله سوره باسمهم؟ و الجواب كما يبدو لى لثلاثه أمور رئيسيه:

الأول: لتحذير المؤمنين من خطر الوقوع فى النفاق، بالذات و أنّ المؤمن أقرب للتورط فى مرض النفاق منه إلى الكفر، إذن فهو بحاجه لمعرفة حدود هذه المنطقه الخطره، و صفات أهلها، و سبل تجنّب الدخول فيها للخلاص من شرورها.

الثانى: لتوجيه اهتمام القياده الرساليه و المجتمع الإسلامى إلى خطر هذا الفريق على مسيره الأممه و مستقبلها.

الثالث: ثم أنّ تنوع الحديث عن النفاق فى القرآن الكريم ضروره يفرضها البحث فى هذه القضيه، فالنفاق كما أعتقد هو انهزام الإنسان أمام الحقيقه، فلا هو يقبلها بإخلاص، و لا هو يردّها بصراحه، و هذه الحاله تختلف باختلاف الحقائق، فهناك نفاق يقع فيه الذين لا يؤمنون بالله عزّ و جل، و آخر فى مواجهه القياده الرساليه، بل هناك نوعه منه فى مواجهه بعض التشريعات الإلهيه.

و بتعبير آخر: النفاق هو الاتجاه المعاكس للإيمان، و باعتبار الإيمان يمتد على مساحه الحقائق كلها فان النفاق يمتد بالتضاد على المسافه ذاتها، و تناول القرآن لموضوع النفاق فى سور كثيره يستهدف معالجته من جوانبه المختلفه علاجاً شاملاً.

## [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ١ إلى ١١]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ  
لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى  
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَهُ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ  
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعِيدُ فَاخِرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤْسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ  
يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)  
هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)  
يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَعْزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَانْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ  
نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

## اللغة

٢ [جنه]: أى وقايه، و الجنه هى الستره المتخذة لدفع الأذيه كالسلاح المتخذ لدفع الجراح، و الجنه البستان الذى يجنه الشجر، و  
الجنه الجنون الذى يستر العقل.



٥]لّوا رؤوسهم]:أمالوها إعراضا عن الحق، وقيل:

إكثار التحريك لها بالهزاء.

ص:٤٠٦

## بينات من الآيات:

[١] حينما يهدف الحديث عن المنافقين فضيحتهم تتركز الآيات عن علاقه هذا الفريق بالقيادة الرسالية، لأنها أظهر شاخص يميزهم عن غيرهم، إذ من السهل أن يخضع الإنسان لمجموعه من الشعائر و التقاليد، كصلاه الركوع و السجود، و صوم الجوع و العطش، و يتقن التستر بها على نواياه الحقيقيه، و لكن من الصعب جدا أن يخضع في سلمه و حربيه، و في اقتصاده و سياسته، و في اجتماعه و أسرته، و في كآفه جوانب حياته اليوميه، لقياده إلهيه خضوعا دائما و شاملا دون تكلف أو تناقض أو تمرد. ثم إن أبرز دوافع المنافقين السعى وراء السلطه، و أهم استراتيجيه يسعون لتحقيقها هي الوصول إلى مركز القيادة في الأمه الإسلاميه، بالتأثير على قراراتها، أو بالسيطره التامه عليها، و هم يتحركون لتحقيقها بكل مكر و حيله.

و من وسائلهم في ذلك التظاهر بالإخلاص لها و القرب منها بالملق و التكلف، من هنا تراهم أكثر الناس تظاهرا بالولاء للقياده، يخفون به ما تنطوى عليه قلوبهم من

النوايا الخبيثة تجاهها، ولا بد من اليقظة التامة لكي لا يصدّعوا جبهه الحق في الساعات الحرجه عند ما يخضون حربا أو يعيشون حاله التحدى أو تعيش الأمم فراغا قياديا يشغلونه لمصلحتهم أو فراغا توجيهيا فيحزفون مسيرتها، من هنا قرعت الآيات الأولى جرس الإنذار بقوه.

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ فَهُمْ قَدْ يَتَعَوَّنُونَ قاصدين القيادة دون أية مناسبة تستدعى تجديد الولاء و البيعه ليشهدوا للرسول بالقياده بتكلف و ملق.

قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ و هنا ثلاثه تأكيدات لفظيه: (نشهد) و(إن)، و(اللام)، إذ كان من الممكن أن يقولوا (إنك رسول الله) فقط، إلا أنهم أضافوا كلمه «نشهد» بغرض التأكيد. و كل ذلك لا يضيف شيئا فى الواقع، بلى. لو صدرت هذه الشهاده من مؤمن صادق فهى تضيف شيئا جديدا باعتبارها تدفعه إلى المزيد من التسليم للقياده، و تكشف عن ارتقائه فى الإيمان درجه، و هى حاله الشهود و الحضور عند حقيقه الرساله و التى تستدعى البوح بها و تحمّل مسؤولياتها و تحدى الأعداء من أجل ترسيخها.

بيد أن المنافقين كاذبون فى ادعائها فلن تنفعهم شيئا.

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ إذن فشهادتهم لم تضيف إلى الواقع شيئا كما لم تضيف إلى حياتهم شيئا جديدا.

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ وَ فِي الْآيَةِ ملاحظه أدبيّه رفيعه حيث لم يقل الله مباشرة: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ..»، إنما قَدَّمَ قوله: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ..»، وذلك ليؤكد رساله نبيه بعلمه من جهه، وليؤكد كذب المنافقين في ادعائهم الإيمان و الولاء من خلال شهادتهم بشهادته دون نفى ما شهدوا عليه. فليس الكذب هنا بمعنى مخالفه الكلام للواقع، إذ رساله النبي حق و هم عبروا عنها، ولكن الكذب بمعنى مخالفه لازم الكلام لواقعهم و هو اعتقادهم بالرساله و بلوغهم مستوى الشهاده عليها، ولكن لماذا لم يقل ربنا: (والله يشهد إنك لرسوله)؟ ربما لأن علم الله كله علم حضوري بالغ مستوى الشهاده، بينما الشهاده عندنا كبشر تختلف عن العلم إذ لها مفهوم أوسع منه، لأن العلم يحصل بطرق مختلفه، أما الشهاده فلا تكون إلا بالحضور و المعايينه و هو مستوى رفيع من العلم.

[٢] الكذاب يحتاط لنفسه بمبالغه لفظيه يغطي بها خواء كلامه، و الدّين لا يعترف بالادعاءات و التمنيّات لأنّه دين الواقعيّات و المصاديق (١)، و لذلك يمكن فضح كل دعوى كاذبه يصطنعها المنافقون (٢).

و لأنّ الكذب هو مخالفه الكلام أو الادعاء مع الحقيقه فإنّ المنافقين كاذبون، لأنّهم لا يلتزمون بمقتضيات الولاء للقياده و الإيمان بها، بل يخالفون شهادتهم في سلوكهم تجاه القياده الرساليه.

إِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

ص: ٤٠٩

١- ١) حينما نراجع ماده (صدق و الصادقين) و نقرأ الآيات التي وردت فيها هذه المفرده تتضح لنا هذه الحقيقه و هي أنّ الإسلام لا يكتفى بمجرد الادعاء بل يطالب بالمصدق و يضع كل مدّع و لو كان مؤمنا أمام المحكّ العمليّ و الامتحان، «لَيْسَ يَكُنَّ الْمُؤْمِنُ حَتَّىٰ يَصِدَّقَ» (١) الصّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ «الأحزاب/٨»

٢- ٢) هناك بحث للمؤلف حول شهاده الله تجده في كتاب الفكر الإسلامى مواجهه حضاريه ص ٢٥٨

و الجنه هي الترس و السترو، و المنافقون يتدرعون بكثرة القسم و الأيمان المغلظه في إظهار الإيمان بهدف إخفاء ما هم عليه من الكفر و الانحراف، و هذه من طبيعتهم في كل زمان و مكان، و ليس الأيمان منحصره في صيغ القسم المتعارفه: و الله، و بالله، و تالله) بل هي شامله لكل ما من شأنه تأديه نفس الغرض من كلام أو سلوك يقوم به الإنسان ليصدقه الناس و ليطمئنوا إليه، مثل رفع الشعارات المتطرفه و المبالغه في الاهتمام بالقشور، فمثلاً: نجد بعض الأنظمه العميله للغرب ترفع شعارات يساريه متطرفه لإخفاء واقعها المناقض، كما نجد بعضها تبالغ في بناء المساجد و اتهام الآخرين بالمروق من الدين، فيما نجد هذا النظام كما ذاك متورطاً حتى النخاع في العماله و الخيانه و الفسق.

و قد سمى القرآن الأيمان جته ليس لأنها تستر حقيقه المنافقين بل لأنهم يتحصنون بها عن ردات فعل المؤمنين و المجتمع التي تتوجه ضدهم لو انكشفت لهم حقيقه هذا الفريق الضال.

و ثمه دور خبيث و خطير يقوم به المنافقون في الخفاء هو صد الناس عن سبيل الله المتمثل في القيم الرساليه، و المتمثله هي بدورها في حربه و خطه في المجتمع، و كلاهما يتجلبان في نقطه مركزيه هي القيادة الرساليه فهي سبيل الله (١). و مع ما يتكلف المنافقون إظهاره بمختلف الإيمان من الإيمان بها إلا أنهم يحاربونها و يصدون الناس عنها. و ما شهاداتهم و أيمانهم المعلنه إلا فخاخ الشيطان، و هذه صورته لكذبهم الذي يشهده الله.

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ص: ٤١٠

---

١- ١) هناك اخبار كثيره تفيد هذا المعنى، قال الامام ابو الحسن عليه السلام: «و السبيل هو الوصي» نور الثقلين/ ج ٥ ص ٣٣٤

و تأتي هذه الخاتمه لتؤكد بأن المنافقين يحسنون صناعه الكلام و الشعارات البرّاقه، و بيرعون فى إظهار الولاء للقياده، و لكن ينبغى أن لا يندع المؤمنون بهم فإن أعمالهم مناقضه لأقوالهم بالكامل. و هاتان الآيتان تعطيان صورته واضحه للنفاق و المنافقين يمكن التعبير عنها بعمله ذات وجهين: أحدهما المظهر الحسن و الآخره المخبر السيء، أحدهما الورده النضره الجميله و الآخره الشوكه الساقه.

□  
و من منهجيه القرآن فى نقد الأعمال و الأشخاص أنه عند ما يذكر عملا سيئا (كالصد عن سبيل الله) يؤكد سوءه حتى لا يصبح القائمون به مثلا يحتذى به، بل أمثوله يحذر منها. و لعل كلمه «ساء» تهدى إلى أنّ أعمال المنافقين تترك آثارا سيئه فى أنفسهم و فى المجتمع.

و ليس بالضروره أن يتحقق الصد فى لا-وعى الناس، بل يكون أحيانا فى نتيجة الضغوط المختلفه التى يمارسها المنافقون ضدهم، كالإرهاب البدنى و الفكرى و السياسى و الضغط الاجتماعى و الاقتصادى جنبا إلى جنب الإشاعات المؤذيه و نشر الثقافه السلبيه التى هى وسائل الطغاه و المنظمات العميله لتضليل الناس و محاربه القيادات الرساليه، و إنّ أخطر فئات المنافقين على الدين و الناس هم علماء السوء.

و قد أكد أمير المؤمنين على-عليه السلام- هذه الحقيقه لأنهم يتلبسون بمظاهر الإسلام ليخدعوا الناس،

قال-عليه السلام-: «و إنما أتاكم الحديث عن أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثم و لا يتحزج أن يكذب على رسول الله-صلّى الله عليه و آله- متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه و لم يصدق، و لكنهم قالوا هذا صحب رسول الله-صلّى الله عليه و آله- و رآه و سمع منه و أخذ عنه و هم لا يعرفون حاله، و قد أخبر الله تعالى عن المنافقين بما أخبره و وصفهم فقال عزّ و جل: وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِن يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُمْ فَتَقَرَّبُوا إِلَى

أئمه الضلال و الدعاه إلى النار بالزور و الكذب و البهتان، فولّوهم الأعمال، و حمّلوهم على رقاب الناس، و أكلوا بهم الدنيا، و إنّما الناس مع الملوّك و الدنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة « (١).

[٣] و نستفيد من خاتمه الآيه السابقه أنّ النفاق الذى وصل إليه هذا الفريق لم يكن وليد لحظته، إنّما كان نتيجة تراكمات لسوابق أعمالهم السيئه التى لم يتطهّروا منها حينما دخلوا دار الإسلام، و هذه الفكره تقودنا إلى التأمل فى قوله عزّ و جل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢)، فلا تستقيم مسيره الإنسان العاكف على الخطايا فى ربح من عمره إلّا بالتطهّر عن السوابق السيئه بالتوبه المستمره، لأنّ آثار الذنب تهدّد بالانحراف فى أى لحظه. لذلك يقول ربنا سبحانه:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا فَهَمَ حِينَ اخْتَارُوا الْإِيمَانَ رَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ نَتِيجَةً نَفَحَهُ إِلَيْهِ تَعَرَّضُوا لَهَا وَ لِحِظِهِ إِشْرَاقَ عَمَّتْ صُدُورَهُمْ وَ قَرَّرُوا الْإِيمَانَ (٣)، و لكنّهم لم يكنسوا من أنفسهم رواسب الضلال السابقه فنمت من جديد إلى حدّ غيرت مسارهم إلى الطريق الآخر.

ثمّ كفّروا و كان ينبغى لهم أن يرسخوا الإيمان فى قلوبهم و سلوكهم و يعمدوا إلى التطهّر من سوابق الضلال و دواعيه فلم يفعلوا فعادوا إلى الكفر اتباعاً للأهواء و المصالح، أو كان إيمانهم إيمانا سطحياً دعّتهم إليه الظروف و المصالح فلّمّا وجدوا الفرصه

ص: ٤١٢

---

١- ١) المصدر نقلا عن أصول الكافي. و أنّه لجدير بنا أن ندرس تاريخنا و واقعنا على أضواء هذه الروايه العظيمه

٢- ٢) البقره ٢٢٢/

٣- ٣) لقد مرّت الإشاره إلى هذه الفكره عند تفسير الآيتين: ١٧- ٢٠ من سوره البقره فراجع

المناسبه رجعوا إلى شخصياتهم الحقيقيه.

و حينما يتمادى الإنسان فى الانحراف و يصير على الكفر يصل إلى درجه تموت فى نفسه جذوه الإيمان، و ينطفئ عنها نور الهدى (العقل و الفطره و الإيمان) فلا يحدث نفسه بالهدايه و لا يرتجى له ذلك. و هذه المرحله يسميها القرآن بالطبع.

فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ و لكن لم يكن هذا الطبع جبرا من الله فرض عليهم، وإنما كان نتيجة اختيارهم الحر للكفر بعد الإيمان و التماذى فيه. و لأن حكمه الخلق كانت الرحمه الإلهيه إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِتَذَلِّكَ خَلَقَهُمْ (١) فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَطْبَعُ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، و لا يمكن أن يهتدى فى المستقبل. و الطبع فى أحد وجوهه لون من العذاب فى الدنيا بسلب حلاوه الإيمان و الهدى، أما فى الآخره فإنه يؤدى إلى الخلود فى العذاب الأليم.

و فى هذه الآيه بيان المراحل الانحطاط التى يمرّ بها المنافقون و هى ثلاث:

الإيمان، الكفر بعده، الطبع على القلوب، كما تنطوى على تحذير للمؤمنين بأنهم معرضون للوقوع فى النفاق عبر تلك المراحل. أو ليس أولئك بدأوا مؤمنين و انتهوا إلى منافقين؟ إذن فكل مؤمن يمكن أن يصبح منافقا فى يوم من الأيام إن لم تبق أسباب إيمانه، لأنّ الإيمان كيان متكامل قائم على أساس مجموعه من العقائد و السلوكيات و الأعمال، و الكفر هو الكيان المناقض له، فكلما انسحب الإنسان خطوه من دار الإيمان و كيانه دخل بقدرها دار الكفر و كيانه، فالصدق و الأمانه و الوفاء من الإيمان، و الكذب و الخيانه و الخلف من الكفر، و التعبير الحسن عن هذه الحقيقه نجده فى نصوص الروايات أنّ الخلق الفلانى شعبه من النفاق أو خصله من

ص: ٤١٣



جاء في حديث نبوي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- قوله :

«أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصا، و من كانت فيه خصله منهنَّ كانت فيه خصله من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، و إذا حدَّث كذب، و إذا عاهد غدر، و إذا خاصم فجر» (١).

فإذا تمحّض أحد في الشر صار كافرا، و إذا أصرَّ على الشر المحض طبع على قلبه (٢)، و قد طبع على قلوب المنافقين بالكفر و النفاق إلى حدِّ لم تبق معه وسيله حسيه و لا عقليه يهتدون بها إلى الإيمان و الصلاح أو يفترقون بها بين الكفر و الإسلام.

فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَي لَا يَفْقَهُونَ دَلَالَاتِ الْآيَاتِ فِيهِتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، لَيْسَ لِأَنَّ اللَّهَ يَسْلِبُهُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْتِدَةَ فَهِيَ مَوْجُودَةٌ وَ لَكِنْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ:

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (٣).

و إذا تعطلَّ العقل عند الإنسان، و فقد الوعي و القدره على التمييز، فهل يبقى منه سوى مظهره الخارجى و صورته الماديه؟ و ما هو الفرق إذن بينه و بين الحيوان أو الجماد؟! و لا عجب أن يشبه القرآن المنافقين آنئذ بالخشب المسند.

[٤] و يعرض السياق لبيان جانب من الصفات اللصيقه بالشخصيه المنافقه،

ص: ٤١٤

١-١) القرطبي/ج ١٨ ص ١٢٢

٢-٢) و قد وردت في الروايات تحذيرات كثيره من الاغترار بالإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «العلماء كلهم هلكي إلا العاملون، و العاملون كلهم هلكي إلا المخلصون، و المخلصون على خطر عظيم» تنبيه الخواطر/ص ٣٥٨

٣-٣) الأعراف/١٧٩

و التي يتميز بها المنافقون عن غيرهم في المجتمع، و هي:

١-المزيد من الاعتناء بالمظاهر الدينيه بهدف خداع الناس و إثارة إعجابهم، فقد تراهم و قد أكلت ثننات السجود جباههم و ركبهم، أو تسابقوا إلى حضور المسجد و القيام في الصفّ الأول من الجماعة، و يتماوتون في صلاتهم، و يقصرون ثيابهم، و يطلقون اللحي، و يتراءون بسمات البطوله و الشهامه..و هكذا تلاحق عقده المظهر المنافقين أينما كانوا لإحساسهم الملحّ بأهميه المظهر، فهم لا- يملكون جوهرًا سلّما فلا- بد أن يبحثوا عما يسترون به خبثهم و كفرهم، بالذات و هم يعيشون في مجتمع المسلمين.

وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ لَعَلَّ الْجِسْمَ أَعَمَّ مِنَ الْبَدَنِ، فهو كلّ ما يتصل بكيان الإنسان المادى.

٢-الكلام المنمّق، فالمنافقون يحسبون لكلّ كلمه تصدر منهم حسابها و يفكرون في كلامهم قبل نطقه كثيرا، أو لا: لكى لا يحكى ما يخبّون. أو ليس المرء مخبوء تحت لسانه؟ أو لم يقل ربّنا سبحانه و تعالى عنهم: وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ؟ و ثانيا: لكى يدعموا آراءهم الباطله التي لا رصيد لها من حقائق الواقع شيئا فيعوّضون نقص الأدله بزخرف الكلام، و ينتقون مفرداته واحده واحده، ليتمكّنوا من قلب السامع فيضلّونه، فظاهر كلامهم الطيب و الحلاوه و لكنك إذا تطلّعت على خلفياته و ما بين سطوره تجد السّم الذعاف.

وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ وَ الْقَوْلُ كُلُّ مَا يَحَاكِي بِهِ الْإِنْسَانُ الْآخِرِينَ كَالْكَلَامِ وَ الْكِتَابَةِ، و ما أكثر الأفواه و الأقلام المأجوره التي ترقى منابر المسلمين، و تقبع في دوائر التثقيف و الاعلام،

تضلّل الناس، و تمكّن الطغاه منهم، مستفيدة من الوسائل الدعائيه المتقدمه و الإمكانيات الكبيره لتسخير أسماع الناس و اهتمامهم. و ما أكثر الشعارات البرّاقه (التقدم..الديمقراطيه..الرفاه..العدل) التي يطلقها الحكام المنافقون لخداع الناس، و بالخصوص في المناسبات السياسيه و الاجتماعيه العامه، و لكنك تطلع على الخواء و السراب عند ما تواجه الواقع! كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ و الخشب هي الأغصان اليابسه التي لا ينتظر منها نماء و ثمر، و لا ينفعها تعديل أحد، بلى. إنها تنفع لو تحوّلت سقفاً أو باباً أو وقوداً أو أى شىء يستفيد منه الإنسان في حياته، و لأنّ القرآن شبّه المنافقين بالخشب قال عنها: «مسندة» لينفى أدنى دور إيجابى لهم في المجتمع الإسلامى.

٣-الهزيمه النفسيه أمام الانتقاد، لأنّ المنافقين لا يستطيعون مواجهه الحقيقه الواقعيه، و موقف القياده و المجتمع من شخصيتهم الاخرى، كما أنّ دورهم الخبيث يعتمد كلياً على مظهرهم الخادع، و لو أنّهم افتضحوا لفشلوا في الوصول إلى مآربهم و لنبذهم الناس. و قد أكد العلم الجنائى وجود هذه الصفه في كلّ مجرم، بل اعتبرها المحققون و علماء النفس مرتكزاً في معرفه المجرمين، و أسسوا عليها منهجاً في التحقيق الجنائى الحديث. و مضى القول: (كاد المرّيب أن يقول خذونى).

يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حقيقه أنفسهم و أعمالهم السيئه، لذلك تراهم يهّبون للدفاع عن أنفسهم أمام أدنى اتهام أو انتقاد بصوره ملفته (كما يدافع المجرم عن نفسه في المحكمه) بغضّ النظر إن كان الانتقاد ضدهم أو ضد غيرهم أو بصوره عامه. و من طرائف ما جاء في قضاء أمير المؤمنين -عليه السلام- أنّه جىء له بعدّه أشخاص

مشكوك في قيامهم بجريمه ما، فأمر بأن تعمل في الجدار فتحات بعددهم، وأمرهم أن يضعوا رؤوسهم فيها ولا يخرجوها، ثم صاح بصوت عال: اضرب عنقه، فأخرج المجرم رأسه، وافتضح أمره. وعبر القرآن عن هذه الصفه النفسيه للمنافقين في موضع آخر بقوله تعالى: **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ (١).**

ولكن المنهجيه الإسلاميه في تقييم الأشخاص لا تعتمد على المظاهر وحدها حتى تمر عليها أساليب المنافقين و حيلهم، فكيف و هي مدعومه بعلم الله المطلق و توفيقه الدائم لأوليائه و المؤمنين به؟ لذا لا يعبا القرآن بشهادتهم عند الرسول و أيمانهم المغلظه، و لا- بأجسامهم و أقوالهم، إنما ينظر إلى حقيقتهم حيث الأعمال السيئه المعاديه للأمه و للقياده الربانيه، و حيث النوايا الخبيثه المبيته ضد الإسلام، و كلها صوره للعدو اللدود، و كذلك وصفهم الله:

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ وَ نَسْتَلْهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِصِيرَتَيْنِ:

الأولى: أن تظاهر المنافقين بالمحبه و الودّ و ممارستهم للطقوس و الشعائر قد يفقد المؤمن الجراه على اتخاذهم عدواً، أو يشكّهم في كونهم من الأعداء، و قد أشار القرآن إلى صورته من الاختلاف في الموقف تجاههم، قال تعالى: **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَ اللَّهُ أَرَكْسَىٰ لَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَمْ تُلِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٢)**، فتأتى الآيه تبصرنا بأنهم هم العدو لرفع التردد بالقول الفصل.

الثاني: تحدّد الآيه الموقف العملي تجاه المنافقين، ففي البدايه ينبغي أن تؤمن

ص: ٤١٧

١- (١) التوبه ٦٤/

٢- (٢) النساء ٨٨/

بعداوتهم ثم نأخذ الحيطه و الحذر منهم و بالذات القائد الذى تتوجّه إليه ضغوطهم المختلفه الهادفه إيقاعه فى فخاخهم، فإن من الخطأ الفطيع أن تتعامل قياده المسلمين سياسيه أو دينيه بصوره ساذجه أو مائه مع هذا الخط الذى همّه- كما تقدّمت الإشاره- الالتفات حولها و تغيير آرائها و مسارها بالاتجاه الذى يخدم مصالحه.

□ □ □  
قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ و هذه الخاتمه من الآيه تعطى شرعيه للعداء معهم بل و مقاتلهم، فما دام الله يقاتلهم يجب على المؤمنين الذين هم جنده أن يقاتلوهم أيضا. و من قاتله الله فهو مهزوم لا ريب، أما الإفك فهو الكذب و الضلال، و يؤفكون هنا يصرفون عن الحق إلى الباطل، قال تعالى: إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (١)، فإلى أين و أى حدّ يصرف المنافقون عن الحق؟! و كأنّ فى الآيه إشاره إلى وجهه تضللهم كالشيطان و الزعامات المنحرفه التى يسيرون تحت لوائها، و يصنعون من أنفسهم عملاء أجراء لمصالحها. و هذه نتيجه طبيعیه، لأنّ المنافق لا يفقه شيئا بتعطيله ضميره و عقله، فليس ثمّ مقياس يميّز به الحق عن الباطل، و لا حدّ يقف عنده سوى المصالح و الأهواء التى لا تعرف لها نهايه. و قال المفسرون فى معنى « قَاتَلَهُمُ اللَّهُ » أنّه لعنه أى أبعدهم الله.

[٥-٦] و يبيّن القرآن صوره أخرى من حالات المنافقين و مواقفهم فيما يتصل بالقياده الرساليه، و هى رفضهم الاعتراف بشرعيّتها، و بالتالى الصّد عنها و الاستكبار عليها. إنّهم مستعدون للتظاهر بكثير من الشعائر الدينيه كالصلاه و الصيام و الحج لأنّها لا تكلفهم مسئوليّه كبيره، أمّا أن يخضعوا للقياده الشرعيه فذلك أمر لا تطيقه نفوسهم. و من هذا المنطلق أصبحت الطاعه للقياده الرساليه

ص: ٤١٨

مقياس الإيمان، كما قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١).

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِاعْتباره (كما القيادات التي تمثّل امتدادا له) باب من أبواب رحمه الله.

لَوْوَا رُؤْسَهُمْ ماذا تعنى تلويه الرأس؟ إمّا باعتبارها علامه للرفض، و إمّا لأنه العضو الذى يحدّد به الإنسان وجهته، فهم يصرفون وجهتهم خلاف تلك الدعوه.

و بوضع هذه الآيه إلى جنب الآيه الأولى التي تحدّثنا عن تكلفهم فى إظهار الإيمان بالرسول القائد نهتدى إلى أنّهم يعاشرون القيادة بوجهين: أحدهما وجه الإيمان و الصلاح الذى يظهره فى حضره الرسول، و الآخر وجه الصدّ و التكبر الذى يعيشون به فى المجتمع ضدها. أو أن تكون الآيه الأولى تحكى ظاهرهم، و الرابعه تحكى واقعهم و حقيقتهم. ثم إنّ صدق الإيمان بالقيادة لا يثبت بالقول «قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»، إنّما يثبت بالعمل، و ليس فى واقع المنافقين ذرّه من الشهاده بذلك، بل على العكس تجدهم يحاربون الرسول. و بالمقارنه نجد فى الآيتين لفته لطيفه، فهناك قال الله: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ، و هنا قال: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا» أى أنّهم حين التظاهر بالشهاده و الإيمان هم الذين يتعنّون و يجيئون للقياده، و لكنهم عند العمل بها يستنكفون عن المجيء رغم دعوه الآخرين و إلحاحهم، فالشهاده كما يراها الإسلام ليست مجرد التلفّظ و القول، بل هى الشهاده للحقيقه بالقلب و القول و العمل، و مسيره المنافقين تناقض ذلك كلّه.

ص: ٤١٩

و نستوحى من الآيه أن المنافقين كانوا يتعاملون مع الرسول باعتباره قائدا سياسيا، يخشون صلوته، و يطمعون فى منائحه، و ليس باعتباره إنسانا ربانيا يوصلهم إلى ربّ العزّه و العظمه، و لذلك تراهم لا يقبلون حتى استغفاره لهم، بينما الاستغفار فى مصلحتهم، و يهدف تخفيف ذنوبهم.

وَ رَأَيْتَهُمْ يَصْطَلُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ وَ هَذَا الْمَوْقِفُ الْجَاوِدُ تَجَاهُ الرَّسُولِ (الْتِمَرْدُ وَ التَّحَدَّى) يَمَيِّزُ الْمُنَافِقِينَ عَنِ الْعَصَاةِ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى رِشْدِهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُوا لِدَى الْقِيَادَةِ. وَ لَعَلَّ الصَّدَّ وَ الِاسْتِكْبَارَ عَنِ الْخُضُوعِ لِلرَّسُولِ نَابِعٌ مِنْ تَشْرِبِهِمْ بِالْقِيمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ اتِّبَاعِهِمْ مَقَائِمَهَا فِي تَشْخِصِ الْقَائِدِ الْحَقِّ، فَالْمُنَافِقُونَ وَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَالِ وَ الْجَاهِ كَانُوا يَرُونَ الْأُولَى بِالزَّعَامَةِ هُوَ ابْنُ بَلَدِهِمْ (وَ لَيْسَ الْمُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَيْهِمْ) وَ يَشْرَطُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهُمْ مَالًا وَ وِلْدَانًا، وَ لَيْسَ تِلْكَ مِنْ صِفَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - فَصَدَّوْا عَنْهُ وَ اسْتَكْبَرُوا عَلَى قِيَادَتِهِ، وَ ذَلِكَ لَوْنٌ مِنْ مِحَارِبِهِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مِحَارِبَتِهِمُ الْوَحْيَ مِمَّا يَجْعَلُهُمْ فِي صَفِّ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَ لَيْسَ تَنْفَعُ أَعْدَاءَ اللَّهِ شَفَاعَةُ أَحَدٍ وَ لَوْ كَانَ حَبِيبَهُ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ -.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسَأَلْتَ غُفْرَتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ تَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَ نَقْرَأُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَدَّةَ أَفْكَارٍ تَتَّصِلُ بِمَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَضِيَةِ الشَّفَاعَةِ:

الأولى: أن السعى الذاتى هو الركيزه الأولى لتأثير الشفاعة فى مسيره الإنسان عمليا و فى مصيره عند الله، حيث أن الشفاعة تقبل فى من يكون أساس مسيرته سليما، فتشفع له صالحاته، و يقبل فيه استغفار المقرّبين، أمّا لو كان منافقا أو كافرا أو مشركا فلن يستغفر له المقرّبون، و لو فعلوا فإنّما يفعلون ذلك بصورة ظاهره،

لأنَّ المقربين (الأنبياء و الأوصياء) يرضون بمرضاه الله و يسخطون لسخطه فلا يحبون المنافقين و لا يرغبون في نجاتهم إذا تبين لهم أنهم أعداء الله، كما أنَّ إبراهيم -عليه السلام- استغفر لأبيه قبل أن يتبين له أنه عدو لله فلما تبين له ذلك تبرأ منه. كما أنَّ مجرد استغفار الآخرين لا يحيل المنافق مؤمناً إذا لم يغيّر هو ما بنفسه، و لا يغفر الله له إذا لم يستغفر لنفسه. قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (١).

الثانية: أنَّ الشفاعة في التحليل العميق هي أنَّ حسنه كبيره كحب الرسول و طاعته و العمل بما يقول تذهب بالسيئات التي لا تمس بجوهر الإيمان و أساسه.

الثالثة: أنَّ الآيه توضّح الفاصل بين نظريه الفداء و شبيهاها القائمه على الإيمان بتعدّد الآلهه، و أنَّ بعضها يفرض رأيه على البعض الآخر، و التي ترى بأنّ شفاعه الأولياء و الملائكه تفرض على الله فرضاً، و بين نظريه الإسلام التي ترى أنّها مجرد دعاء من قبل المقربين، و لله أن يتقبله أو يرده من دون فرض أو حتم. و الفارق المهم بين النظريتين أنَّ الأولى تبرّر للإنسان عدم تحمّل المسؤوليه اعتماداً على اختلاف الملائه الأعلى و تعدّد إداره الكون، بينما تؤكد الثانية ضروره تحمّلها إذ ليس مؤكداً أن يقبل الله شفاعه الآخرين و استغفارهم.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ وَ الْآيَه هذه تختصر المعادله كالتالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوَفِّقُ الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ فَاسِقُونَ، و بالتالى لا يتمّ التحول الإيجابى فى حياتهم فلا يستغفر لهم الرسول -صلّى الله عليه و آله-، و إذا لم يستغفر لهم لن يغفر الله لهم. و بالتدبر فى خاتمه الآيه قد يتضح لنا أنَّ مغفره الله تتجلى فى هدايته للإنسان إلى الحق، و أنَّ الفسق هو

ص: ٤٢١



سبب النفاق، و أنّ من تجاوز حدود الله يقع في تيه النفاق و الضلال.

[٧] و من أظهر مصاديق صدّ المنافقين و استكبارهم و فسقهم هو حربهم الاقتصادية التي يشنونها على الرساله و الرسول، حيث لا يكتفون بعدم إنفاقهم إنّما يوجهون الآخرين إلى عدم الإنفاق، بهدف إضعاف المسيره الرساليه من خلال تفرّق الناس عن القياده، و تعطيل مشاريعها نتيجة فقدان العامل الاقتصادي الذي هو جزء من القوانين الاجتماعيه.

هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۚ وَ هَذِهِ سِيَاسَةُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عِبْرَ التَّارِيخِ، وَ لَكِنَّهَا لَا يَتَحَقَّقُ لَهُمْ مَا يَرِيدُونَ لِأَسْبَابٍ وَاقِعِيهٍ، وَ أَهْمَهَا:

أولاً: أنّ الذين حول القياده الرساليه من المؤمنين الصادقين لم يكن الدافع لهم نحو الانتماء إلى خطّها و الطاعه لها هو الإقتصاد، كما يتصوّر المنافقون المنهزمون أمام الماده، إنّما تبصّروا طريق الحق، و أنّهم لعلّى استعداد للبقاء معها حتى الشهاده بالسيف أو الموت جوعاً، فهذا أحدهم (عبد الله بن حذاقه) و قد أسرته الروم و عرضت عليه التنصير فأبى فأغلى الزيت في إناء كبير، و أتى برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه التنصير فأبى فألقى في الزيت المغلى، فإذا عظامه تلوح، ثم عرض على عبد الله هذا النصرانيه فأبى، فأمر به أن يلقى في الزيت المغلى فبكى، فقالوا: جزع، قد بكى! قال كبيرهم: ردّوه، فقال: لا ترى أنّى بكيت جزعاً ممّا تريد أن تصنع بي و لكنّى بكيت حيث ليس لى إلاّ نفس واحده يفعل بي هذا فى الله، كنت أحبّ أن يكون لى من الأنفس عدد كلّ شعره فىّ ثم تسلط علىّ فتفعل بي هذا (١).

ص: ٤٢٢

ثانياً: أن الموارد الاقتصادية ليست حكراً على المنافقين حتى يكون منعهم أو حصارهم سبباً في شل الحركة الرسالية، إنما الموارد و أسباب الغنى موجوده في طبيعه و لها سبلها و مناهجها التي يمكن أن يأخذ بها المؤمنون فيستقلون عن الآخرين. و إن الله الذي أغنى أولئك لقادر على إغنائهم لو توكّلوا عليه و فتحوا خزائنه بالتسليم له و العمل بمناهجه.

وَ لِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وَ هٰذِهِ الْاٰيٰهٖ وَ آيٰتِ اٰخَرٰى فِى الْقُرْاٰنِ تَشِيْرٌ اِلٰى اَنَّ الْمَنَافِقِيْنَ الَّذِيْنَ يَتَمَوْنُ فِى الْاَغْلَبِ اِلٰى الطَّبَقَةِ الْمَتْرَفَةِ يَحٰوِلُوْنَ بِمَا لَدِيْهِمْ مِنْ قُوَّةٍ اِقْتِصَادِيَهٗ اَنْ يُّؤْثِرُوْا عَلٰى مَسِيْرِهِ الْحَرَكَاتِ الرَّسَالِيَهٗ وَ الْمَجْتَمَعِ وَ تَحْرِيفِ مَسِيْرَتَهُمَا، وِ حَيْثُ يَدْعَمُوْنَ بَعْضَ الْمَشَارِيْعِ فَلِكٰى يَجِدُوْا مِنْ وَّرَائِهَا بَعْضَ الْمَكَاسِبِ الْاِقْتِصَادِيَهٗ وَ الْاجْتِمَاعِيَهٗ وَ السِّيَاسِيَهٗ، وِ الْاَلَمَ فَاِنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَعِدِيْنَ لِلْاِنْفَاقِ الْمَخْلَصِ لُوْجِهِ اللّٰهِ فَقَطْ! وِ لٰذٰلِكَ تَرٰهُمْ يَتَوَقَّفُوْنَ عَنِ الدَّعْمِ وَ يَرْفَعُوْنَ سِلَاحَ الْاِقْتِصَادِ فِى وُجْهِ الْقِيَادَةِ بِمَجْرَدِ اَنْ تَكُوْنَ مَصَالِحُهُمْ وَ شَهْوَاتُهُمْ غَيْرَ مُؤْمَنَةٍ مِنْ قَبْلِهَا. وِ تَكْفِيْ هٰذِهِ الْاٰيَهٗ تَحْذِيْرًا لِّلْقِيَادَةِ الرَّسَالِيَهٗ مِنْ مَكْرِ الْمَتْرَفِيْنَ وَ خَطْطِهِمْ السِّيْئَةِ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَهُمْ. وِ لَعَلَّنَا نَسْتَفِيْدُ مِنْ هٰذَا السِّيَاقِ تَحْرِيفًا لَطِيْفًا لِّلْمُؤْمِنِيْنَ نَحْوِ وُجُوْبِ الْاِسْتِقْلَالِ وَ الْاِكْتِفَاءِ الْذَاتِيْ فِى الْاِقْتِصَادِ بِاعْتِبَارِهِ رَكِيْزَهُ الْاِسْتِقْلَالَ السِّيَاسِيَّ وَ الْعِزَّةَ، وِ ذٰلِكَ كَلَّمَا مِنْ فِى التَّوَكُّلِ عَلٰى اللّٰهِ وَ الْاِعْتِمَادِ مِنْ بَعْدِهِ عَلٰى سِوَاعِدِ الرَّجَالِ وَ اَلْبَابِهِمُ التِّيْ يَفْتَحُ اللّٰهُ بِهَا خَزَائِنَهُ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ اَنَّ الْحَرْبَ الْاِقْتِصَادِيَهٗ وَاحِدَةً مِنْ اَسَالِيْبِ صِرَاعِ الْمُسْتَكْبِرِيْنَ مَعَ الرَّسَالَةِ وَ عَلٰى حَمْلِهِ الرَّسَالَةَ اَنْ يَسْتَعِدُوْا لِهٰذِهِ الْحَرْبِ مِنْذُ الْبِدَايَةِ بِالْاِجْتِهَادِ فِى جَمْعِ الْمَالِ، وَ التَّقَشُّفِ فِى صَرْفِهِ، وَ الْاِكْتِفَاءِ الْذَاتِيْ فِى مُخْتَلَفِ الْحَقُوْلِ.

و قد استطاع الرسول-صلى الله عليه وآله- أن يبنى حركة مستقلة لا يضرها المحاصره الاقتصادية شيئاً. و هذه الحقائق كلها غائبه عن أذهان المنافقين لكونهم

لا يعلمون إلا ظاهر الحياه الماديه، أما عمقها فهم بعيدون عن فهمه، لأنه يحتاج إلى البصيره النافذه.

وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ □ ولذا تجدهم يزعمون أنّ المؤمنين سوف تتوقف حركتهم أو يموتون جوعا إذا لم ينفقوا عليهم من أموالهم، بينما تراهم قد حصلوا عليها عبر قوانين موضوعيه يمكن للمؤمنين أن يتبعوها فيحصلون على المال أيضا.

[٨] كما أنّهم يزعمون بأنّ عزّه المؤمنين في المجتمع مستمدّه منهم، و بالتالي فهي رهن إرادتهم، بينما الحقيقه أنّ عزه المؤمنين هي من عزّه الله و بالقيم الحضاريه الجديده التي يؤمنون بها و يلتزمون بحدودها.

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا □ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ و تأكيدهم على رجوع المدينة حيث يجدون القدره هناك لأسباب  
ثلاثة:

١- لأنّهم اعتمدوا على القيم الوطنيه و حيث أنّ الرسول و المهاجرين من مكّه فهم ليسوا (حسب زعم هؤلاء المنافقين) وطنيين، فتراهم يقومون بإثارة الحس الوطنى لدى أهل المدينة و اعتماده مقياسا فى العزّه و الذلّه، و بالتالى إخراج الرسول و أصحابه باعتبارهم أجنب.

□  
٢- لأنّهم حينذاك كانوا خارج المدينة و فى غزوه بنى المصطلق، بالذات و أنّ الجيش يمثله خلّص أصحاب الرسول-صلى الله عليه و آله- المنضبطون فى تنفيذ أوامره، و بالتالى فأى محاوله هناك لمواجهه القياده ستؤدى إلى الفشل حيث لن يجدوا لهم أنصارا، أما فى المدينة حيث المجتمع العام فإنّهم يمكنهم تضليل البعض

٣- كما تشير الآية إلى أنّ المنافقين قد بنوا لهم قاعده فى المجتمع حيث أعطوا الرجوع إلى المدينة تلك الأهميه، لأنهم يتحرّكون داخلها بجبهه عريضه هى جبهه النفاق و أنصارها.

و قد غاب عن أذهانهم وعى ذلك التحوّل العظيم فى القيم الذى أحدثه الإسلام فى المدينة، و كيف تسامى أهلها فوق قيمه الوطن و العشيره و المال و السنّ و كلّ القيم الجاهليه الأخرى، و استعاضوا عنها بالإيمان و الكفاءه و العلم، و هكذا أصبحوا لا يرون العزّه إلاّ من خلالها، فكيف يستطيع المنافقون إذن أن يمشوا خطّهم و يصلوا إلى أهدافهم فى مجتمع هذه أفراده؟ و لله العزّه و لرسوله و للمؤمنين و ليست العزّه بالمال فقط، فقد يكون تجمّع المؤمنين فقيرا نسبيا و لكنّه مجتمع مستقل متماسك فاعل و يعتمد من القيم ما يعطيه قدره على التوسع و الامتداد، و مجتمع المدينه المؤمن ليس مستعدا للدفاع عن العظام الباليه، و لا عن الرجعيه المهترئه بما تعنيه من القيم الفاسده.

وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَقَدْ تَبَدَّلَتِ الشَّرِيعَةُ فِي مَجْتَمَعِ الْمَدِينَةِ فَأَصْبَحَ مَحْوَرِ الْمَجْتَمَعِ الْمَدَنِيِّ الْوَحْيُ، فَبَيْنَمَا كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى قِيمَةِ الْقَبِيلَةِ أَصْبَحَتْ الْآنَ قَائِمَةً عَلَى الْقِيمِ الرَّبَّانِيَةِ. إِنَّ اللَّهَ قَالَ كَذَا.. و نحن عباده فيجب أن نطيعه و نعمل بقوله. و قد تمثلت هذه الشرعيه الجديده فى موقف عبد الله بن عبد الله ابن أبى حيث منع أباه (رأس المنافقين) من دخول المدينة فلم يدخلها إلاّ بشفاعه الرسول- صلى الله عليه و آله-، و أعظم من ذلك

أنه جاء النبي -صلى الله عليه وآله- فقال: يا رسول الله إن كنت عزمت على قتله فمرني أن أكون أنا الذى أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الأوس و الخزرج أنني أبرهم ولدا بوالدى» (1). وهذه صورته للتحوّل الحضارى الجديد، وطغيان الشرعيه الجديده على الشرعيه القديمه التى ليس فيها أقرب من علاقه الابن بأبيه.

و نساءل: لماذا اختتمت الآيه السابقه بأن المنافقين «لا يفقهون» بينما اختتمت هذه الآيه بأنهم «لا يعلمون»؟ الإجابة هي: أنّ معرفه القوانين الاقتصاديه، و أنّ المال يأتى نتيجة الجهود التى تستخرج خزائن الله فى الأرض، إنّ معرفه ذلك بحاجة إلى الفقه و هو الفهم العميق، بينما لا- تحتاج معرفه القوانين الاجتماعيه، و منها تبدل القيم عند الناس إلى ذلك الفهم، بل يستطيع أى إنسان أن يعلمها. و هكذا نفت الآيه فقه المنافقين للقوانين الاقتصاديه، ثم نفت الثانيه علمهم (و هو أقل من الفقه) حتى من فهم التحوّلات الاجتماعيه.

[9] و لأنّ المنافقين يسعون لتعميق الروح الماديه فى المجتمع، و بالتالى تجبيره فى صالح حربهم الاقتصاديه السياسيه ضد الإسلام و قياده الرساليه، نجد القرآن ينمى فى ضمير الأئمه القيم المعنويه التى تستلهم من الإيمان بالآخريه، لكى لا- يقع فى حبال النفاق، و لكى يفشل خطط المنافقين ضد الإسلام. و الدعوه التاليه للمؤمنين فى ظروف المحنه و الحرب الاقتصاديه تغنى بصوره أكبر أغنياءهم فإنّهم مسئولون، و الرساله تواجه هذا اللون من التحدى أن ينهضوا بأعباء المسؤوليّه فى دعم مسيره قياده و الدوله و الأئمه الإسلاميه بالمزيد من الإنفاق، و لا يمكن ذلك إلا إذا حلّق الإنسان فى سماء ذكر الله، و ترفع عن شح النفس و التلهّى بالأموال و الأولاد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

ص: ٤٢٤

و هما زينه الحياه الدنيا و أجلى صورها، و المؤمن ينبغي أن يجعل ذكر الله محوره الذى يتحرك ضمنه دون أن يخرج عنه شىء. و الأموال هنا ليست الدراهم و الدنانير و الذهبات فقط، بل كل ما يملكه المجتمع من أرض و إمكنه و مصلحه اقتصاديه و ما أشبهه، و هكذا الأولاد ليسوا الأبناء و حدهم، إنما المقصود هنا صله الإنسان بالماده و صلته بالآخرين و الأموال و الأولاد أظهر المصاديق للإثنين. و لعلّ الدعوه إلى عدم التلهى بالأموال تقابل سياسه المنافقين الاقتصاديه ضد الرساله و الرسول (الآيه ٧)، بينما الدعوه إلى عدم التلهى بالأولاد تقابل سياستهم العنصريه و الوطنيه التى أرادوا الاعتماد عليها بعد الرجوع إلى المدينه (الآيه ٨).

ثم يحذر القرآن المؤمنين من عواقب السير فى ركاب المال و الأولاد فيقول:

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ و ليس الإسلام هو الذى يخسر، و خسارتهم بخساره معطيات الإنفاق حيث الطهاره و التزكيه، و بالمصير الوبيل فى الآخره حيث العذاب، و الحسره على التفريط فى جنب الله. و هذه الآيه تجتث جذور النفاق الذى يقوم على أساس المصالح الماديه و العنصريه، إذ تتجلى بأبهى صورها فى علاقه الإنسان بماله الشخصى، و تتجلى الثانيه بأظهر مصاديقها فى علاقه بولده.

[١٠] أمّا الطريق للتخلص من شح النفس فهو بالإنفاق، و هذا ما تذكر به الآيات و تثيره فى أذهانهم، حيث تضع المؤمنين أمام حقيقه الدنيا أنها فرصه قصيره حاسمه، كما تضعهم فى سباق خطر مع الأجل الذى يطوى صفحه الحياه ليلاقى الإنسان بعدئذ مصيره الأبدى فإما مع الصالحين فى الجنه و إما مع أصحاب النار فى العذاب.

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

و حينئذ يواجه مصيره لوحده، و يقدم على الله فردا لا مال و لا أولاد و لا معين.

و إذ يذكر القرآن الإنسان بمسؤوليته الفرديه فلكي يفصله عن المؤثرات السلبيه الماديه و الاجتماعيه التي تمنعه من الإنفاق و الاستجابه لدعوه الله.. و لماذا يبخل الإنسان بماله على ربّه الذي رزقه إياه و هو منتقل عنه لا محاله بالموت؟! فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ إِنَّهُ حينئذ لا يطلب من الله التأخير لألف سنه، إنّما يريد أجلا قريبا كاللحظه لينقذ نفسه من الحسره و العذاب، و هذا يدل فيما يدل على أن باستطاعه الإنسان أن يتغير جذريا بقرار واحد و خلال لحظه، فينتقل نفسه من جبهه الى أخرى، و من مصير إلى مصير. و نهتدى من الآيه الكريمه إلى أنّ الصدقه (و الإنفاق) معراج المؤمن إلى الصالحات و الصالحين، و هنا نجد إichاء لقول الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا (١).

[١١] و كما يكشف الوحي للإنسان واقعه المستقبلى و هو يعالج سكرات الموت، يؤكّد له أنّ الدنيا هي الفرصه الوحيديه، و أنّ الموت هو نهايتها.

وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَ هذه حقيقه حاسمه لو تفكّر فيها البشر لاهتدوا إلى الحق حيث الانصياع لأوامر الله، و إنّ عدم استجابته الله لتمنّيات الإنسان بالتأخير تنطوى على حكمه هامه، فلو كان يستجيب لكان الناس يستبدلون السعى بالمعنى، و العمل بالتسوييف. كيف و الله يعلم بأنهم لو ردوا لعادوا لما كانوا عليه من الأعمال؟!

ص: ٤٢٨

وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فعلى افتراض أن الله يؤخر أحدا فإنه يعلم بأنه سوف يعمل ما كان يعمل قبل الموت.

و فى ختام السوره نقل القصة التاريخيه التى تناقلها المفسرون فى تفسير هذه السوره و سبب نزولها، قال صاحب المجمع:

نزلت الآيات فى عبد الله بن أبى المنافق و أصحابه، و ذلك أن رسول الله -صلى الله عليه و آله- بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه، و قائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويريه زوج النبى -صلى الله عليه و آله-، فلما سمع بهم رسول الله -صلى الله عليه و آله- خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيج من ناحيه قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس و اقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق، و قتل منهم من قتل، و نقل رسول الله -صلى الله عليه و آله- أبناءهم و نساءهم و أموالهم، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت وارده الناس و مع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه ابن سعيد يقود له فرسه، فازدحم جهجاه و سنان الجهنى من بنى عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار! و صرخ الغفارى: يا معشر المهاجرين! فأعان الغفارى رجل من المهاجرين يقال له جعال و كان فقيرا، فقال عبد الله بن أبى لجعال: إنك لهتاك، فقال: و ما يمنعنى أن أفعل ذلك، و اشتد لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله: و الذى يحلف به لأزرنك و يهملك غير هذا، و غضب ابن أبى و عنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم حديث السن فقال ابن أبى: قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا، و الله ما مثلنا و مثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعنى بالأعز نفسه، و بالأذل



رسول الله -صلى الله عليه وآله- ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جعالم وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم، ويلحقوا بعشائهم، فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد -صلى الله عليه وآله- في عز من الرحمن، وموذه من المسلمين، والله لا أحببك بعد كلامك هذا، فقال عبد الله: أسكت فإنما كنت ألعب.

فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله- وذاك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وآله- وبالرحيل، وأرسل إلى عبد الله فأتاه، فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط، وإن زيدا لكاذب، وقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه، فعذره رسول الله -صلى الله عليه وآله- وفشت الملامه من الأنصار لزيد، ولمّا استقل رسول الله -صلى الله عليه وآله- فسار لقيه أسيد بن الخضير فحيّاه بتحيه النبوه، ثم قال: يا رسول الله لقد رحمت في ساعه منكروه ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله-: أوما بلغك ما قال صاحبكم، زعم أنه إن رجعت إلى المدينه إخرج الأعرز منها الأذل، فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، وإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله -صلى الله عليه وآله- فقال: يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل أبي فإن

كنت لا بد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا- تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي أن يمشى في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال: بل ترفق به و تحسن صحبته ما بقي معنا.

قالوا: و سار رسول الله -صلى الله عليه و آله- بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، و ليلتهم حتى أصبح، و صدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما، إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن أبي، ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء، فهاجت ريح شديده آذتهم و تخوفوها، و ضلّت ناقه رسول الله -صلى الله عليه و آله- و ذلك ليلا، فقال: مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينه، قيل: من هو؟ قال: رفاعه، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب و لا- يعلم مكان ناقته، ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي؟! أفأتاه جبرئيل فأخبره بقول المنافق و بمكان الناقه، و أخبر رسول الله -صلى الله عليه و آله- بذلك أصحابه، و قال: ما أزعم أنني أعلم الغيب و ما أعلمه، و لكنّ الله تعالى أخبرني بقول المنافق و بمكان ناقتي هي في الشعب، فإذا هي كما قال فجاءوا بها و آمن ذلك المنافق.

فلما قدموا المدينه وجدوا رفاعه بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع، و كان من عظماء اليهود و قد مات ذلك اليوم. قال زيد بن أرقم: فلما وافى رسول الله -صلى الله عليه و آله- المدينه جلست في البيت لما بي من الهّم و الحياء. فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد و تكذيب عبد الله بن أبي، ثم أخذ رسول الله -صلى الله عليه و آله- بأذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال: يا غلام صدق فوك، و وعت أذناك، و وعى قلبك، و قد أنزل الله فيما قلت قرآنا.

و كان عبد الله بن أبي بقر المدينه، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينه فقال: مالك ويلك؟ قال: والله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله، وتعلمن اليوم من الأعرّ و من الأذلّ، فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله -صلى الله عليه و آله- فأرسل إليه أن: خلّ عنه يدخل، فقال:

أما إذا جاء أمر رسول الله -صلى الله عليه و آله- فنعم، فدخل، فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى و مات، فلما نزلت هذه الآيات و بان كذب عبد الله قيل له:

نزل فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله -صلى الله عليه و آله- يستغفر لك، فلوى رأسه، ثم قال: أمرتموني أن أو من فقد آمنت، و أمرتموني أن أعطى زكاه مالى فقد أعطيت، فما بقى إلا أن أسجد لمحمد؟! فنزل: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا.. إِلَى قَوْلِهِ:

وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (١).

ص: ٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

